
الملح وتجارته بالمغرب الإسلامي
من القرن الرابع إلى التاسع الهجري /العاشر إلى الخامس عشر الميلادي
د/ صلاح أحمد عيد خليفة
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
كلية الآداب - جامعة المنيا

إهـــــــداء ٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

# الملح وتجارته بالمغرب الإسلامي

## من القرن الرابع إلى التاسع الهجري / العاشر إلى الخامس عشر الميلادي


دكتور

صلاح أحمد عيد خليفة

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كليـــة الآداب - جامعة المنيا

# الملح وتجارته بالمغرب الإسلامي

## من القرن الرابع إلى التاسع الهجري/العاشر إلى الخامس عشر

دكتور
صـــلاح أحمـــــد عيـــــد خليـــفة
أســـتاذ التاريـــخ الإسلامي المســاعد
كليـــة الآداب-جامـــعة المــــنيا

# المقدمــــــــــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونصلى ونسلم على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسـلم) رسول الله أشرف الخلق وسيد المرسلين وبعد ،

إن موضوع البحث وهو" الملح وتجارته بالمغرب الإسلامى من القرن الرابع إلى القرن التاسـع الهجري/ العاشر إلى الخامس عشر الميلادي " لم تأت فكرته من فراغ أو كان كصيد الخـاطر وإنما جاءت نتيجة أسباب دفعتنى للكتابة فيه دفعا أولها : عدم معرفتى بمدى تواجد هذه المـادة فى بلاد المغرب من عدمه وقد حضرت يوما من أيام ندوة التاريخ الإقتصادي للعـالم العربـي ولفت نظرى أستاذين متخصصين فى تاريخ المغرب يتناقشان ويتحاجان فى وجود الملح وعـدم وجوده ببلاد المغرب ولم يتوصلا إلى نتيجة مقنعة على الأقل بالنسبة لظروف الندوة والوقـت وهو ما دفعنى إلى الاهتمام بهذا الموضوع لأنى لم أخرج بكثير أوعلى الأقل بفكرة مقنعة عـن الملح فى بلاد المغرب خاصة وأن الحديث عن الملح بين المتناقشين لم يكن أساسيا بل كان على أطراف موضوع قدمه أحدهما فى الندوة وهوعن مدينة تمبكتو المالية، فوضعت الموضوع فـى ذهنى وقلت نبحث فيه لعل الأمر يتضح لنا ، وبعد الندوة اشتريت كتابا ظننت أنه سيكفينى مؤنة البحث فى هذا الموضوع وهوكتاب متخصص فى الملح وعنوانه " تاريخ الملح فى العالم" لمؤلفه كيرلانسكى الأمريكى وقرأت الكتاب ورغم جدية العرض وثراء معلوماتـه وطرافتهـا ورغـم استفادتي العظيمة من هذا الكتاب إلا أنه –وعلى غير المتوقع والمأمول فيه– لم يـسعفنى بمـا أحتاج إليه من معلومات وصدمت لتجاهله الذى يكاد يكون تاما للملح بعالم الإسلام فى العصور الوسطى وكأنه لا يعرف شيئا عن هذه الحقبة التاريخية مسقطا إياها عن عمد أوعن تجاهل من خطته فى الكتاب إلا من نتف نذره يحتاج إليها احتياجا شديدا من أجل السياق ، ولكن فى الغالب كانت المعلومات تسعفه ليتخطى هذه الحقبة التاريخية ويقفز قفزات واسعة عابرً بها من العصور القديمة إلى العصور الحديثة غير ملتفت إلى هذه المادة موضوع كتابه فى الحضارة الإسـلامية رغم أنه طوف بتاريخ العالم أجمع قديمة وأوسطه وحديثه راصداً فيه الملح وتاريخه عند أمـم الأرض قاطبة فى ستة وعشرين فصلا مستفيضا فى الحديث عـن الأمـم القديمـة كالـصين والفراعنة واليونانيين وأوربا الوسيطة بكافة شعوبها ثم الأمم والـشعوب الحديثـة الأوربيـة وغيرها ثم أمريكا وطنه وتاريخها مع الملح فى وجوده واسـتخراجه واسـتعماله ودوره فـى العادات والتقاليد وأهميته لهذه الأمم دون أن يفرد فصلا عن عالم الإسلام فى العصر الوسيط أو

حتى يهتم خلال السياق بالملح فى هذا العالم ولو من قبيل مراعاة الترتيب التاريخى ، فقلت فى نفسى لعل غيره قام بهذا المجهود ولذا لم يجعله من موضوعات كتابه فبحثت فلم أجد أحدا كتب عن الملح فى الحضارة الإسلامية ولا بلدانها فى العصر الوسيط ، ورجعت إلى موقع أشهر معهد متخصص فى الملح فى العالم على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) علنى أجد المعلومات عن الملح فى العالم الإسلامي وبلدانه فى العصر الوسيط وهو www.saltinstitute.org فوجدت نفس التجاهل رغم أن الموقع يحتوى على معلومات قيمة عن الملح فى كل بلدان العالم قديماً وحديثا وكل صغيرة وكبيرة تتعلق بهذا المعدن .وهنا تزاحمت الأسئلة فى فكرى لماذا هذا التجاهل ؟! ألم يكن عالم الإسلام فى العصر الوسيط جزءا من العالم ؟! بل كان هوالجزء الهام بل الأهم باعتراف المنصف وغير المنصف من المستشرقين ؟! أفقدت المصادر التى يمكن أن تعطى هؤلاء المعلومات الكافية لدراسة تاريخ هذه المادة فى عالم الإسلام الوسيط ؟ ومن ثم أسقطوها من خططهم البحثية؟ أم كان عدم اهتمامهم بهذه الحقبة التاريخية عن جهل بتاريخ ومصادر هذا العالم ؟ أم كل ذلك عن تجاهل متعمد إسقاطا لهذه الحقبة التاريخية وطمسا لهوية حضارة زاهرة وتقليلا بل محاولة التعتيم على دورها فى الحضارة الإنسانية ونسفه إن أمكن ذلك ؟ وغيرها من التساؤلات التى كان يجب أن أصل إلى إجابات شافية لها ، فبدأت القراءة المتوسعة فى مصادر التاريخ والحضارة الإسلامية ومراجعها فوجدت معلومات غزيرة عن الملح فى العالم الإسلامي تواجدا أو استخراجا وتجارةً ما لا أستطيع بمفردى الكتابة فيه لأنه يحتاج إلى وقت طويل أوعلى الأقل فريق عمل من المتخصصين حتى يمكن كتابة تاريخ الملح فى العالم الإسلامي فى العصور الوسطى، ولكن وبحكم التخصص الدقيق تابعت القراءة المتأنية فى مصادر تاريخ المغرب والأندلس فى هذا الموضوع فخرجت فى النهاية بهذه الورقات مقتصراً فيها على تاريخ الملح فى المغرب الإسلامي معنوناً إياها بالعنوان الذى صدرت به هذه المقدمة دارسا فيه الملح تعريفا كعنصر هام فى غذاء الإنسان وعرجت على الاهتمام الزائد فى الإسلام بهذا العنصر معالجا ذلك من خلال القرآن والسنة مبيناً فى النهاية أهمية هذه المادة فى حياة المسلمين مركزا على الشواهد من التاريخ على بلاد المغرب على كافه الأصعدة وبالذات الحياتية والسياسية . ثم درست فى عنصر خاص أماكن تواجد الملح فى بلاد المغرب من خلال مسح جغرافى للمغرب من مشرقه إلى المحيط الأطلسى . وتحدثت بعد ذلك عن كيفية استخراج المسلمين فى المغرب للملح وتقدمهم فى هذا الأمر شارحاً الطرق التى استخدموها فى سبيل أن

يصل الملح لمستهلكيه فى الداخل والخارج، ومن هذه النقطة انطلقت لدراسة تاريخ الملح بـبلاد المغرب محدداً لها فترة الازدهار الكبرى من القرن الرابع إلى القرن التاسع الهجرى موضـحا تجارته الداخلية وازدهارها وكيف فاض إنتاج الملح عن هذه السوق مما دفع المغاربة لتصديره إلى الخارج بعد أن لمسوا حاجة المجاورين فى المتوسط والسودان الغربي إليه فانـدفعوا فـى تجارته الخارجية التى رصدتها على محورين فقط وهى تجارة الملح بين المغرب وأوربا وتجارة الملح بين المغرب وبلاد السودان لسبب بسيط هوغنى عالم الإسـلام فـى المـشرق ومـصر والأندلس بالملح آنذاك بحيث لم يكن فى حاجة إلى ملح المغرب ، خاتماً البحث بمردود اهتمـام المسلمين بالمغرب بهذه المادة بحثاً واستخرجاً وتجارة على بلاد المغـرب وأوربـا والـسودان واضعاً فى النهاية النتائج التى توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.

"""""" والله أسأل التوفيق والرشاد """"""

# التمـــهيـــد

## أ- التعريف بالملح:-

الملح اسم لمواد كيميائية تنتج عن تفاعل عناصر مختلفة بعنـــصر الكلوريـــد فيتكـــون عنـــدنا مجموعة من الأملاح ذات الأهمية للأحياء على الأرض وبعضها شائع ومشهور ومستعمل بكثرة وهوكلوريد الصوديوم ورمزه الكيميائى "Nacl" وهولنوع الذى يؤكل مباشرة صخرياً كـــان أو متبلورا أو جريشا كان أو ناعما وهوملح الطعام فى حـــين أن بقيـــة الأمـــلاح مثـــل كلوريـــد الماغنسيوم ورمزه الكيميائى "$Mgcl_2$" وكلوريد البوتاسيوم ورمزه الكيميائى "kcl" يؤكل مخلوطا مع مواد أخرى وبنسب معينة [1] . فى حين هناك أملاحا أخـــرى إمـــا مـــره أو لاذعـــة لهـــا استخدامات أخرى .وما يعنينا من هذه الأملاح هوملح الطعام أو كلوريد الصوديوم تلك المـــادة الهامة فى حياة الإنسان والحيوان من أجل مواصلة الحياة على وجه البسيطة ، إذا اكتشف حديثا أهمية هذه المادة للجهازين الهضمى والتنفسى وبدونها لايستطيع الجسم الاستفادة من الأوكسجين ولا تنتقل الإشارات العصبية ولاتتحرك العضلات بما فى ذلك أهم عضلة وهى عضلة القلب [٢] . والجسم الطبيعى للبالغ يحتوى على ٢٥٠ جرام من الملح ويفتقد الجسم كثيرا منها عند بـــذل المجهود وعند العرق لأي سبب من الأسباب ولهذا يحتاج الإنسان تعويض هذا النقص باستمرار والإ أختل توازن الإنسان وأرتبك عمل أجهزته وأحـــس بأوجاع فى الرأس وغثيانا دائما [٣]وإذا

---

[١] فيحتوي حليب الأطفال مثلاً بالإضافة إلى كلوريد الصوديوم علـــى نـــوعين مـــن الأمـــلاح همـــا كلوريـــد الماغنيسوم وكلوريد البوتاسيوم .راجع مارك كيرلانسكي :تاريخ الملح فى العالم "الأمبراطوريات، المعتقدات ، ثورات الشعوب والاقتصاد العالمي ،" ترجمة أحمد حسن مغربي ، سلسلة عالم المعرفـــة رقـــم ٣٢٠ الكويـــت أكتوبر سنة ٢٠٠٥ صـــ١٠.

[٢] كيرلانسكي : المرجع السابق صـــ١١.

[٣] المرجع السابق صـــ١٤

[٣] نفسه.

استمر النقص والحرمان من الملح لمـــدة طويلة ربما أدى ذلك إلى الموت [١] ، فالملح إذاً كالماء يشكل حاجة بيولوجية لكل من البشر والدواب وتناوله باستمرار وانتظام من ضرورات البقاء[٢].

ومن هنا أيضا كانت غريزة الإنسان تدفعه للبحث عن هــذه المـــادة التـــى أدرك أهميتهـــا واستخراجها والاحتفاظ بها لاستعمالها فى أطعمته إذ لا يصلح طعام إلا بها .

ومع التقدم فى الحياة وتطور أحوال الإنسان اكتشفت ميزات متعددة للملح فكما استطاع الإنسان بفضل ربه أن يحفظ حياته وذريته بوصوله إلى أسباب الحياة ومواردها الأساسية اللازمـــة لـــه ومنها الملح ،استطاع كذلك ان يكتشف ما أودعه الله تعالى من خصائص هذه المواد ما يفيده فى استمرار حياته وتقدمها فاستخدم الملح منها كمادة حافظة لأطعمته خوف التغير والفساد وذلـــك قبل ان يكتشف التبريد ، فارتفعت قيمته عند الإنسان وازداد اهتمامه بها ونتج عن ذلك اكتشافات متواصلة لفوائد هذه المادة فاستشرى استعمالها فى شتى المجالات وعلى كافه الأصعدة الزراعية والصناعية فضلاً عن استعمالاتها المنزلية والطبية،بما أكد نفاسة هذه المـــادة وقيمتهـــا العاليـــة وأكدته لنا الإحصائيات الحديثة لاستعمالات هذه المادة والتى بلغت مائة وواحد استخدام بـــأكثر من أربعة عشر ألف طريقة[٣] .

فلا غرابة إذاً ان يكون الملح أساسا متيناً فى عادات وتقاليد ومعتقـــدات الـــشعوب القديمـــة ومحوراً للصراع التجارى بين العديد من القوى البحرية الأوربية فى الحصول عليه فى العصور الوسطى وسبباً فى استقلال بعض البلدان عن محتليها فى العصور الحديثة كالهند من بريطانيـــا بعد أن اختاره غاندى ليكون مدخلا للاستقلال[٤] وأخيرا أن يكون الملح مخلدا فـــى الجغرافيـــا التاريخية لبعض البلدان التى انتشر فيها الملح ومناجمه مثل سالزبورج النمـــساوية وهالـــشتات الألمانية ومعنى اسم المدينتين واحد وهو"مدينة الملح" [٥].

---

**[١] وبالذات فى المناطق الحارة التي يعد الحرمان من الملح فيها مشكلة حادة لكثرة العرق وانخفاض استهلاك اللحوم والاسماك بوجه عام راجع ا.ج هوبكنز: التاريخ الإقتصادي لأفريقيا الغربية، تقديم محمد عبد الغني سعودي، ترجمة أحمد فؤاد بليع، المشروع القومي للترجمة رقم ٣٣ ،المجلس الأعلى للثقافة القـــاهرة ســـنة ١٩٩٨ صـــ٩٢**

**[٣] كيرلانسكي : المرجع السابق صبـــ١٠**

**[٤] كيرلانسكى: المرجع السابق صـــ٢٦٨ ومابعدها**

**[٥] راجع المرجع السابق صـــ١٢٩ وما بعدها**

ولكن السؤال الآن أين المسلمون من هذه المادة ، معرفة واستخراجاً واستخداماً ؟

### ب- المسلمون والملح :-

إن المسلمين الذين برعوا منذ أن بعث الرسول محمد (ﷺ)فى معرفة الأرض والسماء بتفكيرهم الخالص فيهما بأمر من الله تبارك وتعالى ليتعرفوا على قدرته فى خلقه وآياته المتفرد بها المنتشرة فى الكون أى أن النظر فيها له معنى دينى عميق، فالسماء وارتفاعها بلا عمد والشمس وأحوالها والقمر ومنازله والنجوم وأفلاكها دلائل صدق وشواهد عدل على وجود الخالق وقدرته العظيمة وعلمه الذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء،ومن هذه البداية كذلك كان تقدم المسلمين فى علوم اتصلت بهذه الآيات كعلم الفلك أو الهيئة وحساب المثلثات والرياضيات .... إلخ.

أما الأرض التى يعيش عليها المسلم فالله قد أمرهم -جل فى علاه- أن يسيروا فيها ويمشوا فى مناكبها من أجل الرزق والتفكير فى مظاهرها المختلفة من مياه متمثلة فى البحار والمحيطات وما تحمله على ظهرها وما تخبئه في بطنها وما ينبت قعرها وما يرسو على جوانبها ..... الخ ومن يابسة وما يميزها من تضاريس من جبال وهضاب عالية وتلال مرتفعة وسهول ممتدة وأودية منشقة ... إلخ تلك اليابسة التى أودع الله فيها سبحانه أقواتها وقدر فيها ما يلزم للحياة عليها للإنسان والحيوان والأحياء عامة . قال تعالى (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ) "[1]

وفطر الله سبحانه الإنسان على التفاعل مع تلك الأرض التى يعيش عليها فعرفه كيف يستغلها لحياته ويسخرها لمصلحته وتطويع ما أودعه الله فيها من نعم ظاهرة وباطنة لاستمرار حياته ، ومن هنا كان اهتمام المسلم بالأرض ظاهرها وباطنها ، بحرها ويابسها عبادة لله واستغلالا لما سخره الله لهم [2]، فساحوا فى الأرض راكبين البحر والمحيط قاطعين الصحارى والقفار ،تجاراً

---

[1] سورة فصلت آية ١٠.

[2] عن تسخير الله السموات والأرض ما فيهن للإنسان راجع الآيات فى سور: الأعراف آية ٥٤، الرعد ٢ ، إبراهيم ٣٢-٣٣ ، النحل ١٢،١٤ ، الحج ٣٦-٣٧ ، ٦٥ ، العنكبوت ٦١، لقمان ٢٠، الزخرف ١٣، الجاثية ١٢-١٣.

وحجاجا وعلماء وهم الذين قال شاعرهم[1] بعد أن اتسعت دولتهم شرقاً وغرباً واتصلوا بكل أجزاء المعمورة بطريقة أو بأخرى :

| | |
|---|---|
| فنحن الناس كل النا | س فى البر والبحر |
| لنا الدنيا بما فيها | من الإسلام والكفر |
| نصطاف على الثلج | ونشتو بلد التمر |

وعليه فقد سبق المسلمون غيرهم فى ميدان الرحلات ونبغوا فى علم الجغرافيا ، فوصفوا الكرة الأرضية وبسطوها بالطول والعرض محددين أماكنها وأصقاعها وأقاليمها ومدنها ، جبالها وسهولها . بحارها وأنهارها ،وبحيراتها وعجائبها ، واصفين كل ذلك وصفاً دقيقاً ،طبيعة وحياة لإحيائها من البشر وغيرهم معتمدين فى كل ذلك على الرحلة والمشاهدة لما خلق الله وأمرهم أن يتفكروا فيه ،وتعدى اهتمام المسلمين بالأرض وظاهرها إلى باطنها لكشف أسرارها واستخراج كنوزها فى البحر والبر على حد سواء ومن هنا كان النبوغ الإسلامى فى علم الأرض أو الجيولوجيا فكانوا "أعظم من أرسى الأساس الحقيقى لعلم الجيولوجيا من الأقدمين وأغزرهم فيه إنتاجا[2] " لأنهم خبروا كنوزها من معادن وجواهر[3] وأماكن تواجد كل منها وبرعوا فى استخراجها رغم ضعف الإمكانات المادية مستخدمين كل ذلك فى بناء حضارة مادية يشهد بازدهارها الشرق والغرب وذلك لما عرفوا من خصائصها الطبيعية والكيميائية ولذا يقال أن علم الجيولوجيا عند المسلمين تداخل مع علم الكيمياء[4] ، وذلك العلم الذى ارتبط عند المسلمين بالمعادن والتعدين وصناعة الألوان والدواء وكذلك صناعات عديدة أخرى .

وفي دائرة الاهتمام بالأرض وتكويناتها والمعادن وخواصها ، كان اهتمام المسلمين بمعدن الملح " مستفيدين فى التعرف على هذه المادة وخصائصها وكيفية استخراجها من الكتاب والسنة المطهرة اللذين ربطا المسلمين بآيات خالقهم فى الأرض أولاً ووضع لهم أهمية هذا المعدن فى

---

(1) أبو منصور عبد الملك الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،حـ٣،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت١٩٧٣ ط ٢ صـ٣٥٥ .

(2) مصطفى محمود سليمان: تاريخ العلوم والتكنولوجيا فى العصور القديمة والوسطى، مكتبة الأسرة ، القاهرة سنة٢٠٠٦ صـ٢٩٠.

(3) وقد عدد شاعرهم هذه المعادن فى قصيدة دلت على تلك الخبرة وهذا العلم الواسع بما تحتويه الأرض من معادن وغيرها دلت على قدرته ووحدانيته راجع الملحق رقم (١).

(4) مصطفى سليمان :تاريخ العلوم والتكنولوجيا صـ٢٩١.

حياتهم ثانيا . فالقرآن الكريم أشار إلى نوعين من البحار في أكثر من موضع [(١)] هما البحر العذب و البحر الملح وتمثل الأول في الأنهار والثاني في البحار والمحيطات الكبرى وما استوى الصنفان في نوعية الماء ونفعه للإنسان فالأول عذب فرات حلو للشاربين والثاني ملح أجاج شديد الملوحة والتي قد تصل إلى المرارة والحرقة قال تعالى:" وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَـذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ "[(٢)] ومن فضله وكرمه على الإنسان أن حجز بينهما بقدرته رغم أنه جعلهما مختلطين يصب العذب في الملح في لقاء حميم بحيث لا يبغى أحدهما على الآخر فلا الملح يعذب ولا العذب يفسد بالملح أبدا وذلك ببرزخ قدرته إلى يوم القيامة قال تعالى: (وَهوَلّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَـذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـذَا مِلْحٌ أجاج وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً)[(٣)] قال تعالى:(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)[(٤)] (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ) [(٥)] كل ذلك منة منه سبحانه على عباده ، مؤمنهم وكافرهم ، عالمهم وجاهلهم ومصدق بها عند رؤيتها مقراً شاكراً لنعمة ربه ومكذب بها جحودا ونكرانا .

وأودع الله تعال في كلا البحرين الخيرات المشتركة بينهما وكذلك المميزة لكل منهما فإذا كان الإنسان يستخرج من البحرين الأسماك بكافة أنواعها قال تعالى " وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً [(٦)] . فإنه سبحانه وتعالى منحه من البحر الملح خيرات لا يتحصل عليها من العذب إذ أجمع المفسرون[(٧)] على أن اللؤلؤ والمرجان المشار إليهما في سورة الرحمن في قوله (يَخْرُجُ

---

[(١)] راجع سورة الفرقان آية ٥٣، سورة فاطر آية ١٢، سورة الرحمن آية ١٩.

[(٢)] سورة فاطر آية ١٢.

[(٣)] راجع سورة الفرقان آية ٥٣.

[(٤)] راجع سورة الرحمن الآية ١٩

[(٥)] سورة الرحمن الآية ٢٠

[(٦)] فاطر آية ١٢.

(٧) راجع محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، حـ٢، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م الطبعة الأولى صـ٤٤٩ ، حـ٤، صـ٥٧٢، حـ١٢صـ١٢١،حـ١٨صـ٥٧، أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ،جـ٧، دار أحياء التراث العربي ،بيروت سنة١٤٠٥هـ/١٩٨٥م صـ٨٦،جـ١٠صـ٨٦ ، جـ١١ صـ١٢،١٢،حـ١٦صـ١٧،٢٩ صـ١٦٣، أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن

مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ)[١] لا يستخرجان إلا من البحر الملح وفهماً صحيحاً لقوله تعالى في سورة فاطر (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَـذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَـذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [٢] فاجتمع البحران في خيرية اللحوم الطرية وانفرد الملح بالخيرات من الحلي الملبوسة كالخواتم في الأصابع والأسورة في الذراع والقلادات في العنق والخلاخيل في القدم[٣] وهي في الغالب مما تصنع في مادتها كلها أو بعضها من اللؤلؤ والمرجان وكذلك خص الله البحر الملح بحمل السفن وجريانه فيها تمخر عبابه من شاطئ إلى آخر للتجارات وقضاء الحوائج وابتغاء فضل الله (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [٤] ولا شك في أنه مما يدخل تحت الخيرات المستخرجة من البحر الملح وما اختص به دون العذب مادة الملح التي تتكون بطريقة طبيعية على السواحل أو تلك التي يستخلصها الإنسان بناء على خبرات وتراث معرفي في تلك الصناعة ليؤكد تلك الخصوصية .

كما لفت القرآن الكريم انتباه المسلمين على ما أودعه ربنا جل وعلا من نعم وخيرات في الأرض اليابسة ومنها الملح وذلك في قوله تعالى في سورة الرعد (وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[٥] فكلمة القطع دلت على أن الأرض ليست متجانسة الصفات في أنحائها واختلفت مكونات تربتها ،إذ جعلها الله سبحانه وتعالى قطع تتميز إحداها عن الأخرى وتختلف صفاتها عن أختها بل وتضاد في مظاهرها الخارجية ومكوناتها الداخلية وذلك رغم تجاورهذه القطع من الأرض ، وإذا كان السلف الصالح[٦] قد فسروا القطع

---

العظيم، حـ٣، تحقيق سامي محمد سلامة ،دار طيبة للنشر والتوزيع سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ط٢ص٣٤٠،حـ٧ص٤٩٣، وغيرها .

[١] آية رقم ٢٢

[٢] آية رقم ١٢

[٣] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن حـ١٤ صـ٣٣٥.

[٤] فاطر آية ١٢.

[٥] آية ٤

[٦] راجع : الطبري : جامع البيان، حـ١٦ صـ٣٣٣، ٣٣٢،٣٣١. ابن كثير: تفسير، حـ٤ صـ٤٣١.

المتجاورات على اثنتين فقط فقالوا بأنها العذبة والسبخة أى المالحة[١] مقصرين كل منها على صفات تخص ما تخرجه الأرض من نبات وزروع وجنات من عدمها وخصوا العذبة منها بالنفع والصلاحية للزرع والغرس فى حين خصوا الأرض السبخية بالملوحة واستخراج الملح دون النبات والزرع حسبما جاءت به لغتهم فيقال أسبخ الرجل أى استنبط الماء المالح أو بسط الملح ليجف أو كانت لها فوائد أخرى فيقال أملحت الإبل أى صارت إلى سبخة أو ماء مالح ويقال أملحت الإبل أى أطعمتها الملح أو أرعيتها فى سبخة[٢] أى أن السبخات كانت لها منافع أخري غير استخراج الملح ومنها رعى الحيوانات[٣] التى تحتاج أصلا للملح وهوما يدل فهم عميق وخبرة أعمق بآيات الله في الكون وهوما يؤكده لنا عمليا إشارة عقبة بن نافع الفهرى إلى سبخة القيروان واتخاذها مرعى للإبل[٤] وكذلك تنازع بين جماعة يمتلكون أراضى محيطة بسبخة وبين شخص ادعى ملكيتها لها دونهم فاستفتوا فى ذلك الفقهاء الذين أفتوهم بعدم جواز ملكها له دونهم لكونها ملكية عامة ومنفعة لأهل القرية فضلا عن إنه لم يأت بشهود من القرية بل من خارجها[٥]

---

[١] يقول ابن منظور السبخة أرض ذات ملح وجمعها سباخ وقد سبخت سبخاً فهي سبخة والمكان يسبخ فينبت الملح وتسوخ فيه الأقدام والسبخة هي الأرض التي تعلوها الملوحة راجع محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب ، حـ٣، دار صادر ، بيروت ، بدون صـ٢٤.

[٢] راجع فى هذه المعاني ابن منظور: لسان العرب، حـ٢ صـ٥٩٩، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع: كتاب الأفعال ،عالم الكتب بيروت سنة١٩٨٣ ط١،حـ٢ صـ١٢٤ ، ١٢٧،٢٠٩ ،وحـ٣ صـ ١٦٣،١٧٤؟

[٣] وذلك لما ينبت فى هذه الأرض السبخة من أشجار وشجيرات تصلح لرعي الإبل والحيونات كافة وسميت أغلبها باسم النجيل وأنواعه كثيرة ومتعددة مثل التليث ،الغث ،الحر ،الحرض ،الحيهل ،الغويل، الشويلاء والقضام راجع : ابن منظور: المصدر السابق حـ٢صـ١٢١، ١٧٥حـ٤ صـ١٧٧ ، حـ٧صـ١٣٣ حـ١١ صـ١٨٤ ٣٤٥،٤٩٤،٣٧٤، حـ١٢ صـ٤٨٧ على التوالي .

[٤] راجع صـ٣٠ من البحث .

[٥] راجع : أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي : فتاوى ابن رشد ، تقديم وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي ، السفر الثالث ، دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٨٧ط١ ، صـ١٥٨٨، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب ،

وبالرجوع إلى كتب اللغة أيضاً عرفنا أيضاً أن هناك الأرض العرق التى لا تـزرع كالـسبخية ،وإنما يتحصل منها على الملح كذلك[١] وأيضا كانت مرعى للإبل فينقل ابن منظور عـن أبـى حنيفة قوله " العرق أرض أو قال سبخة تنبت الشجر وقيل استعرقت الإبل أى أتت ذلك المكـان العرق ونقل عن آخرين أن الإبل استعرقت أى رعت قرب البحر المالح ولذلك قيل عنهـا إبـل عراقية لأنها ترعى فى الأرض العرق نبات الحمض وبقاياه[٢] .

وجاء فى تفسير قول الله تعالى " بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ "[٣] والمرتبطة بـالبحر المـالح ومنافعـه للإنسان وهى متعددة إن من منافعه استخراج الملح ويذكر أن بعض من طعن في الدين قال إن الله تعالى يقول فى كتابكم " ما فرطنا فى الكتاب من شيء " فأين ذكر التوابل المصلحة للطعـام من الملح والفلفل وغير ذلك ؟ فقيل له فى قوله تعالى " بما ينفع الناس "[٤] ، وورد فى تفـسير قوله تعالى مخاطبا المحرم " أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ " [٥]إن طعامه أى البحر الملـح هـولملح ولا خلاف بين أهل العلم فى جواز أكله وبيعه وشرائه[٦]

وجاء فى تفسير قوله تعالى " أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا" إن المرعى هـولنجم والـشجر والملح والبقل والعشب واليقطين وغيرها فكل ذلك مرعى لان الملح لا يكون إلا بالماء ولا تكون

---

حـ ١٠، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشيئون الإسلامية، المملكـة المغربية سنة١٩٨١ صـ٨٠.

[١] ابن منظور : المرجع السابق صـ٤٢٦.

[٢] ابن منظور: لسان، حـ ١٠ صـ٢٤٠

[٣] سورة البقرة آية ١٦٤

[٤] الجامع لأحكام القرآن، حـ٢ صـ٢ ، حـ٣ صـ١٩٦.

[٥] سورة المائدة آية ٩٦

[٦] راجع الطبري : تفسيره ، حـ ١١ ، صـ ٦٣ وما بعدها ، القرطبي: تفسيره، حـ ٦ صـ ٣١٨ ، أبـو محمد الحسين بن مسعود البغوي :معالم التنزيل ، حـ٣ ، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون ، دار طيبـة للنشر سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م صـ١٠٠

النار إلا بالشجر وهكذا[1] كما جاء فى تفسير قوله " وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ" قيل عن الماعون أنه الماء والملح والنار[2] وكل هذا يعنى موروث ثقافى عميق للمسلمين عن الملح.

أما فى السنة الشريفة فقد شدت انتباه المسلمين إلى أهمية الملح كمادة أساسية ضرورية فى حياة الإنسان عامة وطعامه خاصة فورد عن النبى (ﷺ)أنه قال " سيد إدامكم الملح"[3] وفى ذلك تنبيه أن الملح شريك فى كل طعام .

بل لا يكون الطعام اللذيذ إلا به ، ولذا جاء فى تفسير هذا الحديث[4] أن سيد الشيء هو الذى يصلحه ، فالملح بذلك يكون سيد الطعام بالضرورة، ولذا ضرب به المثل فيما يصلح أحوال الناس ومعايشهم إذا وجد وتتفسد أحوالهم إذا فقد أو حتى قل ، كما ضرب بـه الرسـول (ﷺ) المثل فى الأنصار والصحابة جميعا رضوان الله عليهم بأنهم "كالملح فى الطعام"[5] إذ بهم صلاح الدين والدنيا بسيرتهم وأفعالهم قاطبة فواجب على المسلم متابعتهم واقتفاء سيرهم والإقتداء بأفعالهم.

---

[1] القرطبي : تفسيره ،حـ١٩ صـ١٧٩

[2] البغوي : تفسيره، حـ١ صـ٥٥٢.

[3] راجع : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المشهور بابن ماجة : سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت ، بدون ، حديث رقم ٣٣٠٦ ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني المعجم الأوسط ، تحقيق طارق بن عوض وآخرون ، دار الحرمين سنة ١٤١٥هـ حديث رقم ٩١٠٠،جلال الدين السيوطي وآخرون :شرح سنن ابن ماجة ،مكتبة قديمي كتب خانة ، كراتشي بدون حديث رقم ٣٣١٥ .

[4] الإمام شمس الدين أي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية: زاد المعاد فى هدى خير العباد ، حـ٤ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الآرنؤوط ، دار الريان للتراث ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار الكويت سنة ١٤٠٧ هـ، ط١٥،صـ١٦٥.

[5] راجع : أبو عبد محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي : الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق مصطفى ديب ، بيروت سنة ١٤٠٧هـ١٩٨٧م ؛ ط١ رقم ٣٤٢٩،٣٥٨٩، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني: المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، الموصل سنة ١٤٠٤هـ١٩٨٣م، حديث رقم ٧٠٩٨، ١١٦٨٤، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٤١١هـ ١٩٩٠م رقم ٦٩٧١.

أو قيل بأن الملح سيد الإدام لأنه أقل مؤنة وأقرب إلى القناعة على اعتبـار وفرتـه ورخـص ثمنه[1] ومشاركته الدائمة للطعام وخاصة الخبز ولهذا اقتنع به العارفين والزاهدين طعامـا [2].

وورد فى السنة أيضاً ما يجوز استعمال الملح وهومطعوم فى غسل الثياب وتنقيتها من الـدم و غيره وذلك فى حديث المرأة الغفارية التى ركبت بعيراً على حقيبة فحاضت فأصاب الدم الحقيبة فقال لها (ﷺ)" أصلحى نفسك ثم خذى إناء من ماء فاطرحى فيه ملحاً ثم أعلى ما أصاب الحقيبة من الـدم" [3] .

كما أن للملح فى السنة أهمية طبية دل عليها الرسول (ﷺ)علميا فيذكر عنه (ﷺ)أنه كـان يصلى فسجد فلدغته عقرب فى إصبعه فانصرف رسول الله (ﷺ)وقال " لعن الله العقرب ما تدع نبياً ولا غيره" قال الراوي ثم ذعا بإناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة فى الماء والملح ويقرأ " قل هوالله أحد" والمعوذتين حتى سكنت[4].

لكل هذا فالملح بمحوريته فى الحياة أستن عدم احتكاره أو منعه والتحكم فيه بل جعل كالماء والهواء مشاعاً يتحتم على من يملكه بالإحياء أو الإرث أو الإقطاع عدم منعه ، سواء كان ذلـك فى ملاحة كبيرة أو كمية صغيرة موجودة فى قعر الدار للاستعمال فروى عنه (ﷺ)أنه لما ورد عليه الأبيض بن جمال واستقطعه الملح الذى بسد مأرب فأقطعه إياه فلما ولى قام الأقـرع بـن حابس التميمى فقال : يا رسول الله أنى قد وردت الملح فى الجاهلية وهوبأرض بها ماء ومـن

---

[1] راجع شرح سنن ابن ماجة ،حـ١ صـ٢٣٨.

[2] ويذكر فى ذلك أنه لما ولى يحيى بن أكثم القضاء كتب إليه أخوه عبد الله بن أكثم من مرو وكان من الزهاد الورعين :

| | |
|---|---|
| لقمة بجريش الملح تأكلها | ألذ من تمرة تحشى بزنـبور |
| وأكلة قربت للهلك صاحبها | كحبة الفخ دقت عنق عصفور |

راجع : أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن موسى البيهقي : شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني ، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٠هـ رقم ٥٥٤٥. كما روى عن ابن عباس أنه قال . قضيم الملح فـى الجماعة أحب إلي من أكل الفالوذج فى الفرقة : راجع البيهقي: المرجع السابق صـ٧٢٦١.

[3] راجع أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأسدى : سنن أبي داود ، تحقيق محمد محيي الدين عبـد الحميد ، دار الفكر ، بدون حديث رقم ٣١٣، أبو عبد الله الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: سند الإمام أحمـد ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة قرطبة ، بدون رقم ٢٧١٨٠.

[4] ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، حـ٤ صـ١٨٠

ورده أخذه وهومثل الماء العد فاستقال رسول الله (ﷺ)الأبيض بن جمال فى قطيعته فى الملح فقال : قد أقلتك منه على أن تجعله منى صدقة، فقال رسول الله (ﷺ):" هومنك صدقة وهومثل الماء الرق من ورده أخذه[1] ".

وروى أبو داود وغيره[2] أن النبي (ﷺ) سئل: يا نبى الله ما الشيء الذى لا يحل منعه قال الماء فقيل: يا نبى الله ما الشيء الذى لا يحل منعه قال(ﷺ): الملح قيل: يا رسول الله ما الشيء الذى لا يحل منعه ( أن تفعل الخير خير لك ) ، وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: يا رسول الله (ﷺ)ما الشيء الذى لا يحل منعه فقال(ﷺ):الماء والملح والنار قالت: يا رسول الله(ﷺ)هذا الماء قدعرفناه فما بال الملح والنار؟ قال يا حميراء من أعطى ناراً فكأنما تصدق بجميع ما أنضجت تلك النار ومن أعطى ملحاً فكأنما تصدق ما طيب ذلك الملح[3] .

ولأهمية الملح فى حياة الناس والاحتياج إليه دوماً مع الماء فإن رسول الله(ﷺ) أبلغ أصحابه عن كيفية الحصول على المياه وترشيح الملح خاصة إذا كانت الأرض عرقاً أى مالحة وذلك عن طريق التصعيد فيروى عن عكرمة عن أبى عباس قال ليس فى الأرض ماء إلا ماء نزل من السماء ولكن عروقا فى الأرض تغيره فمن أراد أن يعود الملح عذبا فليصعد الماء من الأرض[4].

هكذا تكون الأساس المعرفى عند المسلمين بالنسبة للملح من القرآن والسنة توجيها وإرشاداً وإعلاماً بأماكن تواجده وأهميته فى الحياة بعامة والطعام بخاصة وقد استوعب المسلمون كل هذا وعرفوا كيف يعلو من هذا البناء المعرفى إيماناً منهم بما جاء فى كتاب ربهم وعلى لسان نبيهم ثم إدراكاً وخبرة بأهمية الملح فى حياتهم العملية بما أوجب عليهم الاهتمام بهذا المعدن كنهه وكيفية تكوينه وأماكن تواجده وكيفية استخراجه واستغلاله بما يحتاج إلى مجهود كبير من أجل

---

[1] راجع ابن ماجة :السنن رقم ٢٤٦٦ راجعه بلفظ أخر عند : أبو داود : السنن رقم ٢٦٦٣ ، محمد بن الترمذي السلمي : الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث بدون رقم ١٣٠١ ، الطبراني : المعجم الكبير رقم ٨٠٦ وغيرهم .

[2] راجع أبو داود : السنن رقم ١٤٢١ ، ٣٠١٥ ، الإمام أحمد مسنده رقم ١٥٣٨١، الطبراني : المعجم الكبير ، رقم ١٨٢٣٧.

[3] راجع :ابن ماجة : السنن رقم ٢٤٦٥ ، الطبراني: المعجم الأوسط ، رقم ٦٧٨٠.

[4] راجع ابن كثير :تفسيره جـ٧ صـ٩٣.

رصده وتكوينه كتاريخ لهذا المعدن فى عالم الإسلام ولكن سأقتصر هنا على أعطاء فكرة عامة عن الملح فى حياة المسلمين العلمية والعملية مركزاً بعد ذلك الحديث عن الملح فى بلاد المغرب أهمية وتواجدا واستخراجا وتجارة.

وبداية نذكر أن معرفة المسلمين لأنواع الأرضين وقطعها المتجاورات والبحر الملح كان يمكن أن تغنيهم عن البحث والعناء من أجل الحصول على الملح دون النظر إلى صلاحيته للطعام من عدمه فإذا كان قد عرفوا أن الأرض السبخية والأرض العرق هى الأرض التى غلب عليها الملح فملحت وهى تلك التى علاها الملح المكون بفعل التبخر[1] أو تلك التى يترسب فيها الملح من أزمان بعيدة وأن البحر الملح مصدرا أساسياً لهذه المادة فكان يمكنهم أن يستغلوا هذه المصادر الرئيسية للملح ويأخذوا ما علاها أو فى باطنها للاستعمال دون تفكير، ولكنهم درسوا الظاهرة دراسة علمية صحيحة وعلموا ماهية الملح وكيف يتكون ؟ وما هى أنواعه ؟ فيذكر[2] عمن اهتموا بدراسة الأحجار والمعادن المتكونة فى الأرض أنهم قالوا " إن الأحجار والأجساد المتكونة فى الأرض أصلها رطوبة تجتمع فى باطن الأرض من بردها فتطبخها حرارة طبقات الأرض والغمر الذى هى فيه فتتعفن وتتجسم حتى تصير جسداً إما من الأجسام الذائبة أو الزرانيخ[3] أو الكباريت أو الزاجات [4] أو الأملاح

---

[1] راجع ما سيأتى صـ ٤٤،٤٧،٨٣ من البحث .

[2] أنظر أباعبد الله شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي :كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تحقيق A. Mehran ليبزج سنة ١٩٢٣ صـ٥٧.

[3] جمع زرنيخ وهو: أحد الفلزات ، يحضر من كبريتات الزرنيخ راجع دونالد .ر. هيل: العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية ، لبنات أساسية فى صرح الحضارة الإنسانية ترجمة أحمد فؤاد باشا ، عالم المعرفة رقم ٣٠٥ سنة ٢٠٠٤ صـ ٢٨٢. وجاء فى لسان العرب لابن منظور(جـ٣ صـ٢١) أن الزرنيخ من زرنخ وهوعجمي وقال ايضا أنه من الحجارة ويصلح لان يتيمم به مثل النورة والكحل (المصدر السابق٢٥١).

[4] ذكرالرازي عدد كبير من هذه الزاجات أوالكباريت فوضع فيها الزاج الأسود والزاج الأبيض "كبريتات الخارصين"، والزاج الأخضر "كبريتات الحديدوز"، والزاج الأصفر والزاج الأحمر والشب أوشب الألمونيوم المتكون من كبريتات البوتاسيوم وكبريتات الألمونيوم المتبلورة مع الماء : راجع الطائى : أعلام العرب فى الكيمياء ، مكتبة الأسرة ، الأعمال العلمية ، القاهرة سنة ٢٠٠٠، صـ١٢١ ويذكر هيل(المرجع السابق صـ١٢٤)أن الزاج كان مصطلحاً يستخدم قديماً للدلالة على بللورات الكبريتات المائية وصاربعد ذلك مرادفاً لحامض الكبريتيك .

والبواريق[1] وسائر الأحجار والأجساد المعدنية "وزادوا الأمر تفصيلاً بالنسبة للأملاح قائلين "أما أن يذوب بالرطوبات فيصير فى عداد المائعات فمنه ما يتكون على سطح الأرض ومنها ما ينبع فيها فالذى يتولدعلى سطح الأرض الأملاح والشبوب والبورقات وكلها ترابية طينية ثم نضجها فى أقل من سنة " [2] وقد عللوا ذلك بالتجربة والمشاهدة قائلين " وعلة تكوينها أن المياه إذا بقيت فى البقاع واختلطت بتربتها وعملت بها حرارة المعدن فحللت أكثر الرطوبات فصارت بخـاراً فارتفع فى الهواء وبقى ما بقى من الرطوبات محبوساً ملاناً فإذا كانت تربة تلك الأرض سبخـة غلظ وانعقد بطبخ الحـرارة له فيتكون عنه ضروب الأملاح والشبوب والبورقات [3] .

ونتيجة لاتساع الأرض الإسلامية وامتدادها فقد عرف المسلمون وعلمائهم أنواعاً متعـددة من ضروب هذه الأملاحِ وعرفوا خواصها واستعمالاتها فمنه الأندرانى [4] وهوصفى الأمـلاح وألطفها وكيفما أنكسرت حجارته ما انكسرت إلا فصوصاً مربعات الزوايا [5]، ثم الـداخل فـى الطعام فأجوده الأبيض العطر الرائحة تشبه رائحته البنفسج [6] والملح الهندى وهو أبيـض[7]

---

[1] قسم البورق إلى ستة أنواع وهي بورق الجرو والنطروق وبورق الصاغة والتنكار والبـورق الزرادنـدى وبورق التربنت هي المواد التي يدخل فى تركيبها عنصر البورون وأهمها ($Na_2B_4O_7$) وهي مـادة بيـضاء اللون تنصهر بدرجة حرارة منخفضة بالنسبة للأملاح الأخرى وإذا ما صهرت مع أكاسـيد الفلـزات الأخـرى تعطي خرزاً ملونة ويكون اللون مثل الفلز الذي يدخل فى منصهر البوراكس ولازالت هذه المادة تستخدم فـى التحليل الكيمياوي إلى اليوم . راجع فاضل أحمد الطائى : المرجع السابق صـ١٥٤ ، صـ١٥٧.

[2] الدمشقي : المصدر السابق صـ ٧٩.

[3] نفسه

[4] وقد صححه أهل اللغة وغيرهم بأنه زرآني وليس أندراني وقالوا بأنه من الذراة والذراة هي البياض راجع ابن منظور : لسان العرب حـ١ صـ٧٩،أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبـة الـدينوري : أدب الكاتـب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية مصر سنة ١٩٦٣ ط٤ صـ٢٩٨. راجع كذلك على بـن بالي القسطنطيني : خير الكلام فى النص عن أغلاط العوام تحقيق حاتم صالح الضامن ، مؤسـسة الرسـالة بيروت سنة ١٩٨٣ ط٢ صـ١٨ .

[5] الدمشقي : المصدر السابق صـ٧٩ .

[6] نفسه

[7] ويذكر الخوارزمي أن منه نوعاً آخر أسود اللون راجع : أبوعبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي الكاتب : مفاتيح العلوم تحقيق فان فلوتن، تقديم د محمد حسن عبد العزيـز ، الـذخائر ١١٨ القـاهرة سـنة ٢٠٠٤ صـ٢٥٩ .

صلب وفيه منافع مذكورة فى كتب الطب[١] والملح السبخي وهولوان متعددة وأنواع فمنه الأبيض والأحمر الدموى المشرق ومنه الأصفر الورسى ومنه الأخضر[٢] كماعرفوا الملح المر ومصدره كان من الجبال والسباخ أيضا[٣] وملح النطرون وله نوعان الأبيض والأحمر[٤] وملح النوشادر وهوشبيه بالنشادر المصنوعة[٥] وقد أضاف الرازى[٦] الذى قسم الأملاح إلى عشرة أصناف إلى الأصناف السابقة الملح النفطى[٧] والملح الصينى وملح النورة[٨] وملح الرماد[٩] وملح القلى[١٠] وكل هذه الأنواع كان لها استخداماتها عند المسلمين وإن كان أكثرها استخداما ملح الطعام الأكثر نقاوةً ونفعا مثل الملح الأندرانى سابق الذكر الذى استخدم فى الطعام وحفظ الأشياء بينما استعملت الأصناف الأخرى فى أغراض قليلة[١١] إما لعدم جودتها ونقاوتها أوعدم تحمل الإنسان لشدة مذاقها من لذوعة أو حرقة ومن هنا شاع ألطفها مذاقا و أكثرها تواجدا بين المسلمين وهوملح الصوديوم المستخدم فى مجالات متعددة ومنها علم الكيمياء إذ استخدمه

---

[١] الدمشقي: المصدر السابق صـ٧٩

[٢] نفسه

[٣] نفسه

[٤] نفسه

[٥] المصدر السابق صـ٨٠

[٦] راجع الطائى : أعلام العرب فى الكيمياء ، صـ ١٥٤.

[٧] وله رائحة كرائحة النفط راجع الخوارزمى: كتاب مفاتيح العلوم ، صـ٢٥٩

[٨] النورة فى الأصل من الحجارة ، استخدمه العرب قديما بعد أن يحرق ويسوى منه الكلس راجع : ابن منظور : لسان العرب، حـ٥ صـ٢٤٠ ، وإذا خلط الرماد بالنورة والحصى فهولجبار أى الجير ،أنظر المصدر السابق صـ١٥٦ .

[٩] وهوملح أو رماد البلوط ويحتوى هذا الرماد إن كان حديثا على أوكسيد البوتاسيوم وأملاح البوتاسيوم الأخرى . الطائى: المرجع السابق صـ١٥٨

[١٠] وهومزيج من أوكسيد الصوديوم وهيدروكسيده وكربوناته راجع الطائى: المرجع السابق صـ١٥٨ والقِلى تم الحصول عليه من إحراق وصهر نبات الجنبات فى سوريا وهوالأشنان واسمه النباتى **Salsola Soda** ويتكون كيميائيا من حوالىَ ٨٠% كربونات بوتاسيوم مع حوالى ٢٠% كربونات صوديوم راجع هيل: المرجع السابق صـ١٢٥

[١١] وقد عده الخوارزمى من العقاقير المستعملة فى هذه صناعة الكيمياء ولذلك أورده تحت مسمى "اسماء الجواهر والعقاقير المستعملة فى هذه الصناعة أى الكيمياء " راجع مفاتيح العلوم صـ٢٥٩

مشاهير علماء المسلمين النابغين فى هذا المجال[1]فى العديد من التركيبات الكيميائيـــة وحـــذقوا استعماله وإبراز فوائده فى هذا العلم بما نفعوا به العالمين فجابر بن حيان مثلا أول من لاحظ ما يحدث من ترسب كلور الفضة عند إضافة ملح الطعام إلى محلول نترات الفضة[2] وهوالقائل:" الفضة إذا شمت رائحة الكبريت أسودت وإذا أصابها الملح أبيـــضت وصــــفت وزاد حـــسنها[3]" وهوما يدل على دراسته الجيدة لمعدن الملح وخواصه الطبيعية الكيميائية ويقول عنه صـــاحب كتاب إعلام العرب فى الكيمياء[4]أنه قد حضر من تجاربه زيت الزاج أى حامض الكبريتيــك وليس ببعيد على من يحضر هذا الحمض أن يحضر حامض الهيدروكلوريك فما هوإلا مزيجـــاً من تفاعل زيت الزاج مع ملح الطعام[5] ويؤكد ذلك محمد غريب جودة[6] بقــوله " كما توصـــل إلى تحضير حمض الهيدروكلـــوريد ( روح الملح )[7]ممزوجاً بحمض النيتريك وعرف المزيج الناتج عن عملية التحضير باسم ماء الذهب أو الماء الملكى لمقدرته على إذابة الذهب وتمثلـــت طريقة التحضير المتبعة فى تقطير خليط من ملح الطعام " كلوريد الصوديوم " والزاج الأخضر وبلورات ملح كبريتات الحديدوز.

---

[1]أمثال جابر بن حيان وابن سينا والبيرونى والرازى وغيرهم، عن هؤلاء العلماء الأفذاذ حياتهم ومؤلفـــاتهم ونبوغهم واسهاماتهم الفاعلة فى الكيمياء وجوانب العلم الأخرى . راجع د/ فاضل أحمد الطائى : أعلام العرب فى الكيمياء ، سليمان فياض : عمالقة للعلوم التطبيقية وانجازاتهم العلمية فى الحضارة الإســلامية ٢٠١ – ١٠٠٠هـــ /٨٠١ – ١٦٠٠م الأعمال العلمية، مكتبة الاسرة القاهرة سنة ٢٠٠١ ، محمـــد غريـــب جـــودة : عباقرة علماء الحضارة الاسلامية فى العلوم الطبيعية والطب ، الأعمال الفكرية ، مكتبة الاسرة سنة ٢٠٠٤م ، مصطفى محمود سليمان ، تاريخ العلوم والتكنولوجيا فى العصور القديمة والوسطى ، صـــ١٨٩ وما بعدها

[2] الطائى : أعلام العرب فى الكيمياء صـــ٤٩ ، محمد عبد الرحمن مرحبا : الجامع فى تاريخ العلوم عند العرب ، بيروت ، باريس سنة ١٩٨٢ط٢ صـــ٣١٩– ٣٢٠

[3] الطائي:المرجع السابق .

[4] نفسه

[5] عبد الرحمن مرحبا : الجامع فى تاريخ العلوم صـــ ٣١٩ .

[6] عباقرة علماء الحضارة العربية الاسلامية فى العلوم الطبيعية والطب – مكتبة الأسرة، الأعمـــال الفكريـــة، القاهرة سنة ٢٠٠٤ صـــ٦٣

[7] ووصف هذا الحامض بأنه نوع من المياه الحادة التى تصيب المعادن مرحبا : المرجع السابق صـــ٣١٩ .

ولا شك أن هذه المعرفة الجيدة لخصائص هذا المعدن والاهتمام به على المستوى العلمى ليعللان لنا الفوائد القصوى التى اكتشفها علماء المسلمين للملح الذى استخدم بناء عليها فى معالجة المعادن الكيميائية ولعل أبلغ دليل على شيوع استخدام الملح فى معالجة المعادن بعالم الإسلام الإشارات الهامة التى أتى بها خبير فى معالجة المعادن وهوبن يوسف الحكيم الفاسى المغربى الذى تولى أمانة دار السكة فى عهد أبى فارس عبد العزيز المرينى(٧٦٨ - ٧٧٤هـ/١٣٦٦-١٣٧٢م)[١] إذ يذكر أن الملح يستخدم فى تنقية وغسل الذهب والفضة من الشوائب العالقة بها[٢] وما أسود منها لا يغسل إلا بالأملاح التى تبيض الفضة والذهب وتجعل لونهما نورياً[٣] كما أكد بأن الملح يستخدم فى فصل الذهب عن الفضة بأن يؤخذ الذهب الممزوج بالفضة فيرقق صفائح وتفرش له فرشة من رقاق الآجر ويذر المخلوط بالملح مناصفة ثم يوضع فى إناء من حجر صلد ويوقد عليه فى الفرن ، فإن الفضة تصير فى جوف ذلك التراب المتخذ "رقاق الأجر" وتبقى صفائح الذهب خالصة وأردف بأن تلك الطريقة تعمل بالشب والملح أيضاً[٤] وأكثر من هذا أمدنا هذا الرجل أن الملح كان من المواد الأساسية في دار سك العملة فذكر أن الملح أستخدم فى هذه الصناعة حيث يستخدم منه نوعاً خاصاً عرف باسم التنكار الذى يحفظ الذهب والفضة من النار وكذلك يعين على سبك الذهب ويلينه ويسبكه فى رقق[٥].

فضلاً عن كل هذا نجد الاستخدام الأكثر فى الجوانب الطبية إذ استخدمه المسلمون فى العديد من العلاجات مفردا أو مركبا مع غيره من العقارات فالملح منفردا كما قال ابن القيم[٦] يصلح أجسام الناس وأطعمتهم ففيه جلاء وتحليل للعفونات وإذهاب للرطوبات الغليظة وتنشيف لها ،وتقوية للأبدان ومنع من عفونتها وفسادها، ونفع من الجرب المتقرح، وإذا أكتحل به قلع اللحم الزائد من العين ومحق الظفرة وجله صغيرة تغشى العين والأندرانى أبلغ فى ذلك ،ويمنع الملح

---

[١] راجع أبا الحسن على بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق القاهرة بيروت ١٩٨٦ طـ٢ صـ١٤ من مقدمة المحقق .

[٢] المصدر السابق صـ٤٩

[٣] المصدر السابق صـ٥٠.

[٤] المصدر السابق صـ٥١.

[٥] المصدر السابق صـ٥٣-٥٤ ، ٨٦.

[٦] زاد المعاد جـ٤ صـ٣٩٦ - ٣٩٧.

القروح الخبيثة من الانتشار ويحدد البراز أى يلينه، وإذا دلك بطون أصحاب الاستسقا نفعهم ،وينقى الأسنان ويدفع عنها العفونة ويشد اللثة ويقويها ،ومنافعه كثيرة جدا .

أما استخدامه مع غيره أفاد فى علاج الكثير من الأمراض فإذا شرب الخل مع الملح مثلا نفع ذلك فى أكل الفطر القتال[1] إذا أضيف إلى ماء الزيتون أو نقع به الزيتون فإن هذا الماء يمنع من تنفط حرق النار ويشد اللثة[2] إلخ كما أن الملح مفيد جدا فى علاج اللدغة وخاصة لدغة العقرب وذلك إذا أضيف إلى بذر الكتان ويعلل ذلك بأن فى الملح القوة الجاذبة المحللة ما يجذب من السموم ويحللها[3].

ومما يبرز الأهمية القصوى للملح عند المسلمين كثرة استعماله فى الأطعمة مفردا أو يضاف إلى التوابل الأخرى مثل الكمون والكزبرة والكراوية والفلفل وغيرها ويضاف المخلوط إلى الطعام[4] والحديث عن استخدامات الملح فى الطعام يطول- حتى ولو تحدثنا فقط عن بلاد المغرب وأهلها واستخداماتهم للملح -مما يدل على استيعابهم الأهمية لهذه المادة نتيجة للخبرات المكتسبة من ماضيهم وبيئتهم فضلا عن الموروث القرآنى والنبوى عن الملح وأهميته فالملح أصلح طعامهم ويستخدمونه فى عمل ما لذ وطاب من الأطعمة مما لو سردناه هنا لطال المقام ولكن أكتفى بالقول بأنه لو تصفحنا كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس فنادرا ما نفتقد صفحة لا يذكر فيها استخدام الملح داخلا بمفرده أو مركبا مع تابل أخر مضافا إلى الطعام المطبوخ كما استخدموه قبل أن يظهر التبريد فى حفظ الأشياء وخاصة الأطعمة خشية الفساد والعطب وقد كفانا فى ذلك الشعراء بأشعارهم كدليل مع استخدام الملح فى هذه المهمة فقال أحدهم[5] :-

بالملح نصلح ما يخشى تغيره     فكيف بالملح إن حلت به الغير

---

[1] المصدر السابق صـ٣٠٦.

[2] ابن القيم : المصدر السابق صـ٣١٧.

[3] المصدر السابق صـ١٨٢

[4] راجع مجهول : كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، تحقيق أمبروزيو هويثى ميراندا ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، المجلدان التاسع والعاشر مدريد سنة ١٩٦١ ،١٩٦٢ . صـ٨١

[5] شهاب الدين محمد بن أحمد الفتح الابشيهى : المستطرف من كل علم مستظرف ، حـ١ ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٩٨٢ ط٢ صـ٧٣

وقال أخــــر [١]

الملـــح يصـــــلح كـل ما يخشـــى عليـــه مــن الفساد

فاذا الفســـاد جــــرى عليه فحكمـه حكـــم الرماد

ولذا كان من الأهمية بمكان أن يحفظ الملح نفسه ولا يعرض مطلقاً إلى ما يفسده فإذا دق الملـح فلا يدق إلا فى المهراس من الخشب أو الرخام ولا يدق بحال فى مهراس من النحاس[٢] ، وإذا حفظ فى المنزل فلابد أن يحتاط عليه جيداً أو لا يبقى مكشوفاً وذلـك لأن الهـوام والحـشرات السمومية تدب بالليل وتتفقد الملح حيثما كان لتتملح به وربما سقط من لعابها عليه أو تحتك فيه فينسلخ من جلدها فيكون من ذلك مضرة عظيمة[٣]، ولذا أوصى العارفين بالملح أن لا يطرح فى الطعام من الملح إلا ما كان مغسولا أو مغطى محفوظاً[٤].

وكل هذا مما يبرز الأهمية القصوى للملح فى حياتهم ومن ثم صار لا يمنع علـى أحـد اقتداء بسنة نبيهم (ﷺ) فقال فقيههم[٥] :" الناس شركاء فى خمسة أشياء " فـى المـاء لـسقائهم ومنافعهم من الاغتسال وغيره مما يرتفق معه ولسقى دوابهم وفى الكلأ الذى ليس فى ملك أحـد بعينه وأما الملح فليس لأحد أن يحتجز شيئا من معادنة ووهج النار ليس لأحد أن يمنع من وهج ناره وما كان فى المياه من صيد الماء " ومن هنا أيضا وردت الإشارات التاريخية المتعددة على كثرة استعمال الملح فى الأطعمة واستعمله الأغنياء والفقراء ولم تخل مائدة مغربية منه فقد ورد أن الشيعى عبيد الله المهدى(٢٩٦-٣٢٢هـ/٩٠٨-٩٣٤م) وأهل بيته يستعملون فى أطعمـتهم

---

[١] النويري ( شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى) : نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ١ ،سلسلة تراثنا ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٣ صـ٢٧٨.

[٢] كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس صـ٨٤.

[٣] المصدر السابق صـ٨٣

[٤] المصدر السابق صـ٨٣-٨٤.

[٥] أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي :كتاب الأموال ، تقديم رضا محمد سالم شحاذه، مركـز إحيـاء التـراث المغربي، الرباط، بدون ، صـ٥٥.

الملح المستخرج من بسكرة[1]. وذكر ابن الصغير[2] الملح على مائدة عبد الرحمن بن رستم، كما تعددت الإشارات أنه كان من المواد الرئيسية على موائد العوام وفقراء الناس وزهادهم الذين كانوا لا يأكلون إلا الخبز مع الملح[3] كما ملح بعضهم الجراد لأكله[4]، ولم يستغنوا عنه حتى عند سفرهم.[5]

كما كان الملح ضروريا عند المسلمين ببلاد المغرب فى العديد من الصناعات مثل صناعة دبغ الجلود المنتشرة فى العديد من مدن المغرب الإسلامي كغدامس وفاس وسلا والقيروان ... إلخ[6] وذلك من أجل تطرية الجلود وتنقيتها وإعدادها للاستعمال كما كان الملح أساسا فى

---

[1] أبو عبيد البكري: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهوجزء من كتاب المسالك والممالك ، الناشر ، دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة بدون صـ٥٢، محمد بن عبد المنعم الحميرى :الروض العطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر، بيروت سنة ١٩٨٠ط٢ ،صـ١١٤.

[2] أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق ودراسة حسن على حسن، القاهرة سنة١٩٨٤ صـ٢٤٢.

[3] القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك جـ٤، تحقيق عبدالقادر الصحراوي مطبعة فضالة ، المحمدية، الرباط سنة ١٩٧٠م صـ٨٠، ٤٠٨ ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدى المعروف بالدباغ : معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبوالفضل بن عيسى بن ناجي التنوخي، حـ٣ تحقيق وتعليق محمد ماضور، سلسلة تراثنا،المكتبة العتيقة ، تونس ١٩٦٨ صـ٢٧ ،٢٨

[4] أحمد بن على المقريزى : جنى الأزهار من الروض المعطار ، تحقيق محمد زينهم ، الدار الثقافية ، القاهرة سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م صـ٥٩

[5] القاضي عياض: ترتيب المدارك، حـ٦، تحقيق سعيد أحمد إعراب، مطبعة فضالة المحمدية سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص٢٦.

[6] راجع عن الدباغة في غدامس. ، أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان حـ٤ دار الفكر، بيروت ، بدون صـ١٨٧، محمد عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر ، بيروت سنة ١٩٨٠ ط٢ صـ٤٢٧. وفي فاس راجع على سبيل المثال : الشريف أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس عمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، حـ١ ، تحقيق عبد الله كامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة ، الدار البيضاء سنة ٢٠٠٦م ط٤ صـ١١٤، ١٢٣، ١٦٤، ١٨٥، حـ٣ صـ ١٣١، ٤١١، ٤٣٤. وعن سلا راجع ، محمد زنبير: المغرب فى العصر الوسيط صـ٣٢٠ وعن القيروان راجع: أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي :جامع مسائل

بعض الصناعات كصناعه تمليح الأسماك وتعليبها وتجهيزها للاستهلاك الداخلى وكذلك لتصديرها للخارج فيذكر عن أهل سبتة أنهم كانوا يقددون سمكة موسى ويملحونها ويحملونها إلى البلاد[1]. وأهل تونس الذين كانوا يصطادون أنواعا عجيبة من الأسماك ويحملونها وتبقى صحيحة الجرم طيبة الطعم سنين[2] كما شاع فى بعض مناطق المغرب الأدنى تمليح السردين الصغير الحجم والذى عرف باسم الصير والذى كان يباع فى أزيار كبيرة ومحاويس فخارية صغيرة؟[3] وعرف عن أهل بادس[4] وجبل بنى منصور[5]

الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، حـ٣ ، تحقيق محمد حبيب الهيلة، دار المغرب الإسلامي، بيروت سنة ٢٠٠٢ صـ٦٢٩، حـ٤ ، صـ٣٨٨ ومابعدها ، صـ٤٤١.

(١) راجع أبو حامد الغرناطي: المعرب عن بعض غرائب المغرب، تحقيق اينغرد بيخارانو – المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد سنة١٩٩٢ صـ٧١ ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، بدون صـ ٢٠١،٥٣٤.

(٢) ابن سعيد المغربي :كتاب بسط الأرض فى الطول والعرض ، تحقيق خوان فرنيط خينيس، تطوان سنة ١٩٥٨م، صـ٤٨

(٣) يحيى بن عمر : أحكام السوق ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب راجعه وأعده للنشر فرحات الدشراوى ، تونس سنة ١٩٧٥ صـ١٢١-١٢٢

(٤) بادس : مدينة ساحلية من أقليم فاس واقعة بين جبلين عاليين وبجوارها واد يتشكل فيه نهر عندما يهطل المطر ،وأغلب أهلها صيادون ولها قصبة صغيرة ليست شديدة المنعة وفيها يسكن أمير البلد .راجع ابن الوزان الزياتي:وصف أفريقيا ،تحقيق عبد الرحمن حميدة،مكتبة الأسرة، سلسة التراث،القاهرة٢٠٠٥م ،صـ٣٢٧: ٣٢٩وهي غير بادس بلاد الزاب التي ذكرها الجغرافيون والرحالة الأخرون راجع ابن حوقل النصيبي : كتاب صورة الأرض ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة سنة١٩٩٨، صـ٩٣ ،البكري :المغرب ،صـ ٧٤ ، مجهول ، الاستبصار فى عجائب الأمصار( وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب )، نشر وتعليق د/ سعد زغلول عبد الحميد ، الكويت سنة ١٩٥٨ صـ ١٧٥ . الحميري: الروض المعطار، صـ٧٥.

(٥) جبل بني منصور:من جبال الريف المغربي كانت في القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادي تحت سلطة أمير بادس، وهوبجوار البحر المتوسط يمتد مسافة١٥ ميلاً طولاً بعرض أربعة أميال وفيه الغابات والعيون وأهلة فقراء يعنون بتربية الماعز ولهم سوق أسبوعي دخله ليون الأفريقي ، راجع ابن الوزان الزياتي:وصف أفريقيا، صـ ٣٣٢.

صيد أسماك السردين وتمليحها وإعداها للبيع[1] واشتهرت مدينة أزمور بالسمك المملح الذى كان يصدر إلى البرتغال.[2]

وتبدى لنا أهمية الملح عند المغاربة لكونه مادة غذائية أساسية فى الأزمات السياسية والإقتصادية التى قد تتعرض لها بعض المدن المغربية ففى هذه الأوقات تنقص المواد الغذائية الأساسية كالخبز واللحوم والزيوت والملح بها وتصل إلى حد الندرة عندما تطول الأزمة ويشتد الحصار ويزداد الخناق على أهل هذه المدن عندئذ ترتفع الأسعار لاشتداد الطلب وقله المعروض فعندما تعرض عمر بن حفص هزارمرد(١٥٠-١٥٤هـ/٧٦٧-٧٧٠م) وإلى العباسيين للحصار بالقيروان من قبل الخوراج ضاق أمره وأمر من معه وأهل المدينة حتى أكلوا دوابهم وكلابهم وسنانيرهم ومات منهم الكثير جوعا بعد أن قل الطعام وغلت الأسعار حتى انتهى عندهم أوقية الملح بدرهم[3] وأثناء حصار السلطان المرينى أبو يعقوب يوسف بن يعقوب (٦٨٥ -٧٠٦هـ/ ١٢٨٦-١٣٠٦م) لمدينة تلمسان عاصمه بنى زيان الذى استمر ثمانى سنوات وثلاث أشهر نال فيها آل زيان وأهل المدينة من الجهد والجوع ما لم ينل أمه من الأمم واضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران وغلت الأسعار والأقوات والحبوب وسائر المرافق بما تجاوز حدود العوائد ووصلت أوقية الملح بعشرة دراهم[4] .

وأثناء أزمة الموحدين مع ابن مردنيش فى الأندلس وفلاح قوات الموحدين فى فك حصار غرناطة المفروض من قبل مردنيش وصهره ابن همشك ومن معه من أعلاج النصارى سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م أمرهم الخليفه أن تملئ مخازن المدينة بالقصبة بالقمح والشعيروالملح وآلات

---

[1] ابن الوزان الزياتي : وصف أفريقيا، صـ٣٢٨،٣٣٢

[2] راجع : المصدر السابق صـ٦٢٣.

[3] راجع ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب فى تاريخ الأندلس والمغرب ، حـ١، تحقيق ليفى بروفنسال. س كولان، القاهرة سنة ١٩٨٣، صـ٧٦ الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم عزب، دار الفرجاني ، القاهرة سنة ١٩٩٤ صـ٨٣.

[4] عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، جزء ٧، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ط١ ، صـ١١٣، السلاوي : الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، حـ١ ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء سنة ١٩٩٧ ط١ صـ ٨٥-٨٦

الحرب بما أبهت الناظرين وقصرعن وصف الواصفين ونقل كل ذلك من العدوة فى المراكب إلى المنكب ثم إلى غرناطة فحيت المدينة بعد موتها بهذا النظر الجميل والحزم الموصول والنيل المبذول[1] .

وفي سنه ٥٦٨ هـ / ١١٧٢م خشى خليفة الموحدين أبويعقوب يوسف بن عبد المؤمن(٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) على مدينة بطليوس من عادية النصارى ومحاصرتها فأمر بتمويل المدينة بالميرة فتحرك إليها من إشبيلية القائدان المكلفان على ثلاثة آلاف دابة تحمل القمح والشعير والدقيق والزيت والملح والآلات والمرافق والأرزاق لأهلها رفقاً بهم فى المضايق وحفظا لهذه المدينة[2].

الخلاصة أن الملح كان من السلع الغذائية الإستراتيجية المعول عليها أثناء فترات الاضطراب السياسي والأزمات العسكرية ولذا حرص السلاطين والخلفاء على أن يكون من المواد المتوافرة في المدن والقلاع أو حتى تلك التي تبنى لأغراض عسكرية دفاعية كانت أوهجومية وخاصة اذا طال الحصار مثلما حدث عند حصار السلطان الزياني أبي تاشفين عبد الرحمن الأول بن موسى (٧١٨-٧٣٦ هـ / ١٣١٨-١٣٣٥ م ) لمدينة بجاية والتي طالت بها الفتنة إذ بنى من أجل القضاء على الفتنة بها والصبر على ذلك ، مدينة الحصن القديم بمكان سوق الخميس على وادي بيجاية وأوعز السلطان إلى جميع عماله بالمغرب الأوسط بنقل الحبوب إليها حيث كانت والإدم وسائرالأقوات حتى الملح فنقلت وطأتهم على بجاية واشتد حصارها وغلت أسعارها[3] .

كما حرص الحكام كذلك على تمويل الجيوش بكافة القوات ومنها الملح فلايستغنى عنه المطبخ المصاحب للجيش فإذا قل أو نفذ كله وجب على قائد الجيش البحث عن أقرب مصدر للملح أو مدينة يتزود منها بالملح[4] .

---

(1) راجع عبد الملك ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس فى عهد الموحدين ، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت سنة ١٩٨٧ ط٣ ، صـ١٣٧ .

(2) المصدر السابق صـ٤٣٥.

(3) ابن خلدون : المصدر السابق صـ١٢٨

(4) ابن عذاري : المصدر السابق صـ٢٦٤.

ومما يؤكد أهمية الملح كمادة غذائية أساسية لأهل المغرب أن صار هووالطعام من أدوات العقاب على المدن الثائرة والتى تبوأ بنقمة الحاكم فإذا أراد أحدهم تأديب أهل المدينة يمنع عنها الأقوات وإذا دخلها ناقما يأخذ ما بتلك المدينة من طعام وملح ويجعله ذخرا له ولأهل عاصمته وذلك كما فعل حماد بن باديس بن سيف العزيز صاحب قلعة حماد أثناء صراعه مع نصير الدولة الصنهاجى إذ لما انتصر نصير الدولة عليه وفر حماد أمامه وتحصن بالقلعة وأقام بها ثلاثة أيام ولكنه صار فى حاجة إلى الطعام والملح فخرج حتى وصل إلى مدينة دكمة[1] وكان قد نقم على أهلها فأوقع بأهلها وأساء إليهم وأخذ ما بتلك المدينة من طعام وملح وعاد به إلى قلعته سنه ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م[2]

والخلاصة أن الأهمية القصوى للملح فى الحياة على كافه مستوياتها قد أدركها ولمسها المسلمون عامة مما دفعهم إلى الاهتمام الخاص بهذه المادة ومعرفة أماكن تواجدها* واستخراجها والإتجار بها داخليا وخارجيا وهوما سنقوم بتفصيله فى الصفحات التالية قاصرين هذه الدراسة على الملح ببلاد المغرب وكيفية استخراجه وتجارته الداخلية والخارجية.

## أولا- أماكن تواجد الملح ببلاد المغرب

تعددت المصادر الطبيعية للملح ببلاد المغرب وكثرت أماكن وجوده متوزعة بين المغارب الثلاث ببلدانها وقراها على الساحل وفى الداخل على حد سواء وذلك فى صوره طبيعية أودعها الله سبحانه وتعالى تلك الأماكن وسبب لها أسبابها من وجود التربة السبخية أو الأنهار المالحة أو البحيرات أو ترسيبات قديمة كونت الملح الصخرى ولو أجرينا مسحا جغرافيا لبلاد المغرب من الشرق إلى الغرب لوجدنا الملح فى المغرب الأدنى يتوزع على أماكن متعددة ففى الواحات جنوب أوجلة وجدت قرية تعرف باسم القصبة فيها ثلاث أعين مالحة يجتمع ماؤها فى سباخ فتكون ملحا يستغله الأهالي ويصدرونه[3]. ولو اتجهنا شمالا وفى الطريق من سرت إلى سلوق

---

* راجع هذه الأماكن على الخريطة الملحق رقم (٤)

[1] من أعمال بني حماد بينها وبين مدينة تيفاش القريبة من الأربس مرحلة ،يسكنها قوم من كتامة ولها سوق مشهورة راجع الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله الشريف: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق :جـ١ ،عالم الكتب ، بيروت سنة١٩٨٩ط١ صـ٢٩٦، ياقوت :معجم،جـ٢،صـ٤٥٩.

[2] ابن عذاري : المصدر السابق صـ٢٦٤-٢٦٥.

[3] البكري: المغرب صـ١٥

نجد سبخة منهوشا[1] وما بين برقة وطرابلس ملاحة عرفت باسم برج الملح وهي ملاحة كبيرة يخرج منها ملح عجيب[2] ،وقريبا من تاورغا توجد سبخة بينهما وبين ماء عذب عرف باسم ماء القوير[3] ويلي ذلك غربا ملاحة سبخة الهائشة وهي مستطيلة وعلى جوانبها بناء وقصور وبهـا نخل متفرق وبأخرها واد من الملح متجمد[4] ويذكر العياشي[5] قريبا منها سبخة مقطع الكبريت وغلب عليها هذا الاسم لأن فى أعلاها مقطع مشهورللكبريت، وقريبا من قصر صـالح القـديم مرسى طرابلس المفضل توجد سبخة ملحها مفضل على جميع السباخ[6] وهي التى عرفت فيمـا بعد باسم ملاحة رأس المخبز وتقع غرب مدينة زوارة[7] وقداشتهرت سباخها بجودة الملح فـى العصرالحفصى ويذكرالجغرافيون[8] انه يتصل بمدينة طرابلس نفسها سبخة كبيرة يرفـع منهـا الملح الكثير •

---

[1] أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالمقدسى البشاري: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقـاليم، دار صادر ، بيروت عن طبعة ليدن سنة ١٩٠٦، صـ ٢٣٣ ، ويعلل الإدريسي ( نزهة المشتاق ،صـ ٣١٤) التسمية بأن بها وبرمالها حيات وأفاع صغار طول الواحدة شبر لا زائد وهي تضر وتنهش من لا يعلم أمرهـا ومن سرى بالليل فى تلك الأماكن.

[2] أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربى: الرحلة(ليبيا ، طرابلس وبرقـة تحقيـق سـعد زغلول عبد الحميد وآخرون. منشاة المعارف ، المعار فى الإسكندرية سنة ١٩٩٦ صـ٧٤، ٢٣٦

[3] المصدر السابق صـ١٤٥. .

[4] العياشي: المصدر السابق صـ١٤٥- ١٤٦ ، ١٨٩.

[5] المصدر السابق صـ١٤٩

[6] أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني: رحلة التجاني ، المطبعة الرسمية، تونس سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م صـ٢٠٦ .

[7] راجع محمد حسن : المدينة والبادية بأفريقية فى العهد الحفصي، حـ١، منشورات كلية العلوم الإنسـانية والاجتماعية ، جامعة تونس سنة ١٩٩٩ صـ ٤٧٣، برنشفيك (روبار) : تاريخ أفريقية فى العصر الحفـصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥م، حـ٢ ،نقله إلى العربية حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي بيـروت سـنة ١٩٨٨ ط١ صـ ٢٣٩ **M.LDeMas Latrie: Traites de paix et de commerce et Documents divers concernant Les relations De chrctiens avec les Arabes De l'Afique septentrionale au Moyen Age,Paris 1866. P224**

[8] راجع البكري : المصدر السابق ، صـ٨ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، حـ ٤، صـ٢٥.

ومن ملاحات المغرب الأدنى المشهورة ملاحات جزيرة جربة القريبة من قـابس والتـي تنافس الأوربيون على شراء ملحها[١] وتحدث الجغرافيون وغيرهم[٢] كثيراً عن ملاحات شـط الجريد ففى الطريق بين نفزاوة وقسطيلية أرض سواخة وسباخ وملاحـات متـصلة لايهتـدى للطريق بها الا بأخشاب قد نصبت على طريق ضيق كعلامات[٣] فإن أخطأ أحد الطريق مهمـلا تلك العلامات ساخ فى تلك السباخ ولم يستطع أحد مساعدته "فلا يبين له اثر ولا يعرف له خبر ورفيقه إلى جانبه يراه وهو نازل لايقدر أن ينفعه بشيئ خوفا أن يغوص معه[٤]" ولذلك هلك فيها عساكر وجماعات وأفراد ممن دخلوها ولم يعرفوا أمرها أواستهان بتلك العلامات الموضـوعة وذكر عن هذه السباخ أنه لا يعلم لها آخر وإنما امتدت فى تلك الصحارى ويقال أنها متـصلة ببلاد غدامس[٥]، ويؤكد الواصفون لها أن جميعها ملاحات، وتلك السباخ المتصلة فيها موضـع بين نفطة والحامة يعرف باسم السبع سباخ[٦]، ومن عجائب هذه السباخ أنه فى وسط الطريـق المارمن مدينة توزر إلى نفزاوة جزيرة فيها ماء عذب يتزود منه من يسير وسط هـذه الـسباخ ولكن إذا سار فيه الناس فى فصل الصيف خاصة يكادوا يهلكون من حرارة الملح ويرجع ماؤهم وهو فى الرقاق ملحا ولا يقدر أحد على شربه إلا أن يمزج بسكر أوعسل[٧] .

---

(١) رضوان البارودي : جربة التونسية – دراسة فى التاريخ السياسي والحضاري فى العصر الإسـلامي ، دار الفكر العربي سنة ١٩٩٠م، صـ٧٤ برنشفيك : المرجع السابق حـ٢، صـ٢٧٤، دائرة المعارف الإسلامية ، م٦ ترجمة عبد الحميد يونس وآخرون صـ ٣٤٧ ، DeMas Latrie: Op. Cit. pp 221 -222.

(٢) مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار، صـ ١٥٨، شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمـري: مـسالك الأبصار فى ممالك الأمصار،حـ٤ ، تحقيق د/حمزة أحمدعباس أبو ظبـي سـنة ٢٠٠٢ ط١ ، صــ ١٦٤ ، التجاني : المصدر السابق، صـ١٥٤– ١٥٦ ، الحميري : الروض المعطار، صـ ٥٧٨.

(٣) وينقل العمري عن شخص مغربي يعرف بالسلاجي قوله " سمعت أن هذه الأعلام وضعها هناك أبو إبراهيم بن إسحاق بن غانية الميورقي الثائر على الموحدين بأفريقية راجع، المصدر السابق صـ١٦٤– ١٦٥ ولكن تواجد هذه السبخة قبل ذلك بكثير يقطع بأن ما قطعه ابن غانية تكملة لما وضع قبل ذلك من أخشاب كعلامات.

(٤) العمري : المصدر السابق صـ١٦٤.

(٥) الاستبصار ، صـ ١٥٨، الحميري : المصدر السابق

(٦)الاستبصار، صـ ١٥٨.

(٧) الاستبصار ،صـ ١٥٨.

ولما تحدث اليعقوبي[١] عن بلاد قسطيلية قال أنها أربع مدائن وهي توزر والحامة ونقيوس ونفطة وقال بأن هذه المدائن الأربع محاطة بأربع سباخ ولا شك أنها تلك الملاحات المتسعة المتصلة التى أطلق عليها البعض اسم السبخة العظيمة[٢] والبعض الآخراختار لها اسم سبخة توزر[٣] والبعض الثالث اسم سبخة تاكمرت[٤] مما يدل بالفعل على كبر مساحتها وقد انفرد التجاني[٥] بوصف هذه الملاحة الكبيرة بقوله "الملاحة المجاورة لتوزر من غرائب الدنيا التى أغفلها المؤرخون وأهمل وصفها الإخباريون فإنها أميال فى أميال سطحا واحدا كاللجين المسبوك والمرمر المحكوك يكاد ينفذه البصر لصفائه وكأنما هوغدير جمد بمائه وإن وقت صلاة الصبح الناس يمشون فيها ويصلوا فيها على بساط من الكافور أو سطح من البللور وهو ما يحتمل معه تغير مواصفات هذه الملاحة الكبيرة الطبيعية أو أن التجانى وصف جزء منها وهوالمجاور لتوزر فقط.

ومن ملاحات المغرب الأدنى المشهورة ملحات وسباخ المهدية المتعددة المنتشرة فى جهاتها المختلفة سبخة قاساس وسبخة القطيعة وسبخة الليانة غربا[٦] وسبخة ابن عياض جنوبا وكانت إلى عهد قريب تستخدم لاستخراج الملح ولذلك ألصق بها اسم سبخة الملح [٧] وسبخة الأندلس شمالا وسبخة متاع المكنين[٨]، وقد ارتبط اسم وادي الملح بالسباخ الغربية[٩].

---

(١) أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي : كتاب البلدان، يلي المجلد السابع من كتاب الأعلاق النفيسة لابن رستة طبع ليدن سنة ١٨٩٣ صـ ٣٥٠.

(٢) العمري : المصدر السابق، صـ١٦٤.

(٣) الاستبصار ، صـ ١٥٨.

(٤) التجاني : المصدر السابق ، صـ١٥٤، ١٥٦.

(٥) المصدر السابق، صـ١٥٦

(٦) الداعي إدريس : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار ، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت سنة ١٩٨٥، ط١ صـ ٣١٥ هامش ١٦٢.

(٧) نفسه

(٨) نفسه

(٩) نفسه . ووادي الملح هذا هوالوادي الذي قامت فيه المعارك المشهورة بين الفاطميين وأبي يزيد مخلد بن كيداد صاحب الحمار. راجع الداعي إدريس: المصدر السابق صـ٣٠٦، ٣١٤ ابن عذاري : البيان المغرب حـ١صـ ٢١٨ الدباغ : معالم الإيمان ،حـ٣، صـ٢٩، حـ ٤، صـ١٠٥.

وذكر الجغرافيون[1] أنه بقرب مدينة المنستير ملاحة مستغلة ولا ندرى هل هى نفسها ملاحة لمطة تلك القريبة من مرسى المدينة وملحها لا يفوقه ملح[2] أم هما ملاحتان مختلفتان فموردهما الأول هوالبكرى ذكر الأولى مرتبطة بالمدينة فى حين ذكر الثانية مرتبطة بمرسى المدينة.

واذا اتجهنا إلى جهه أخرى من المغرب الأدنى وجدنا الملاحات حول مدينة سوسة واشتهرت منها سبخة الكلبية[3] وملاحة أم الأصنام أو سبخة سيدى الهانى الواقعة بين سوسة والقيروان والتى ظلت مستغلة حتى القرن التاسع عشر[4] وبين سوسة والحمامات وقريبا من الأخيرة توجد السبخة الجرداء[5] .

وقد اشتهرت مدينة قرطاجنة بظهور ملحها منذ فترة طويلة قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب[6] ويؤكد البكرى[7] وجود الملاحات بمدينة قرطاجنه بقوله "داخل مدينة قرطاجنة ميناء كانت المراكب تدخلها وهى اليوم ملاحة عليها قصررباط ".

وقبل أن نتجه لمدن الشمال فى المغرب الأدنى نعرج على مدينة القيروان التى وجد حولها بعض الملاحات اذ وجد فى شرقيها سبخة ملح عظيمة مستغلة[8] وهى تلك السبخة التى أشار لها عقبه بن نافع عند تأسيسه المدينة قائلا "قربوها من السبخة فإن أكثر دوابكم الإبل فتكون إبلكم على بابها فى مراعيها أمنة من البربر"[9] ومعلوم أن تلك السباخ ينبت فيها بعض الأعشاب

---

(1) البكري :المغرب، صـ ٣٦ ، ياقوت : معجم ،حـ٥ صـ٢١٠ ، الحميري : الروض، صـ٥٥١ .

(2) البكري : المصدر السابق ،صـ٨٤.

(3) محمد الطالبي : الدولة الأغلبية"التاريخ السياسي ١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م تعريب المنجي الصيادي مراجعة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٩٥ط ٢، صـ١٩٩ الخريطة .راجع كذلك دائرة المعارف الإسلامية والتي يذكر فيها أن هذه السبخة جنوبها أيضاً سباخ كثيرة راجع م٦ صـ٥٠.

(4) محمد حسن : المدينة والبادية، صـ ٤٧٣، الطالبي : المرجع السابق ،صـ١٩٩ الخريطة ، دائرة المعارف الإسلامية م٦ صـ٥٠.

(5) التجاني : المصدر السابق صـ٢٤.

(6) راجع : الاستبصار صـ ١٢٤ ، البكري : المغرب حـ٤٢.

(7) المصدر السابق صـ٤٤.

(8) المصدر السابق صـ٢٤.

(9) الاستبصار صـ١١٤.

والشجيرات الصالحة لرعى الدواب التى تحتاج هى الأخرى للملح ويبدو أن مراعي تلك السباخ صارت عديمة الفائدة للمدينة أو قلت أعشابها النابتة إلى حد أن وصف العبدرى[1] المدينة وما حولها بقوله بأنها "سبخة قرعة لا ماء فيها ولا مرعى". وهذه الملاحة هى نفسها التى ذكرها اليعقوبى[2] وقال بأنها "سباخ فى قبلة المدينة حيث وادي السراويل الذى يأتى فيه ماء مالح فى سباخ الناس يستعملونه فيما يحتاجون إليه" وذكرالتجانى[3] سبخة أخرى فى جوف المدينة تسيح فيها مياه وادي زرود النابع أصلاً من فزان ولكن لم يذكر لنا هل استغلت هذه السبخة من جانب السكان القيروان أم لا ؟

وبين القيروان ومدينة سوسة وإلى الشمال من القيروان تقع سبخة الشريطة وهى شمال سبخة الهانى القريبة من سوسة[4] وبين القيروان ومدينة المهدية توجد سبخة بنى معروف تلك السبخة التى نزل بها القائم بأمر الله الفاطمي فى ٣١٥هـ /٩٢٩م وبات فيها وأقام أربعة أيام وذلك فى طريقه لإخماد تمرد البربر فى المغرب الأوسط[5] ويشير ابن الزيات الزياتى[6] إلى وجود ملاحات مستغله فى جبال الأوراس.

وإذا صوبنا النظر تجاه الشمال ومدنه على الساحل فمن خلال المصادر علمنا أن تونس نفسها ما هى إلا أرض سبخة[7] أى أنها ملاحة كبيرة استغلها أهلها فى استخراج الملح ومن هنا وجدنا فى فتاوى البرزلي[8] ذكر اسم عام مفرد وهو"ملاحة تونس" أو جمع لتلك الملاحات تحت مسمى "ملاحات تونس" كالسباخ الآن بتونس" أو "الملاحات التي حول تونس"، وهو ما يعني

---

(1) أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري : رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية ، سلسلة الرحلات رقم ٤ تحقيق محمد الفاسي جامعة محمد الخامس الرباط سنة ٩٦٨ صـ٦٤،

(2) البلدان صـ ٣٥٠.

(3) المصدر السابق صـ١١٨.

(4) محمد حسن: المرجع السابق صـ٢٢٦

(5) الداعي إدريس : المصدر السابق صـ٢١٥.

(6) وصف أفريقيا صـ٤٧٥.

(7) العمرى: مسالك الأبصار ،جـ٤ صـ٨٩ ، الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي :كتاب صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ،جـ٥ ،طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الذخائر ١٣٤، الهيئة العامة لقصور الثقافةالقاهرة ٢٠٠٥ صـ١٠٢.

(8) جـ٤ صـ٤٢٩، ٤٥٦.

تعدد ملاحاتها حتى صارت وكأنها واحدة وقد أمدتنا المصادر الأخرى بما يؤكد انتشار الملاحات حولها على مسافة أو قريب منها فمن ملاحاتها المشهورة تلك الملاحة الكبيرة التى تقع قبلى ربض المرضى وهو خارج أسوار المدينة [1] كما انتشرت السباخ حول مدينة تونس والتى استخراج الأهالي الملح منها لاستعمالهم الخاص[2] . وينبأنا الزياتى[3] أن نهر مجردة الشهير النابع من الجبال القريبة من الزاب والمتجه شمالا يصب فى البحرعند مكان شهر باسم غار الملح وذلك على مسافة أربعين ميلا من تونس . وقريبا من المدينة وجدت ملاحة سبخة مقرين[4].

ومن السبخات المشهورة بالمغرب الأدنى سبخة سيجوم أو السيجومى التى بجوار قلعة تحمل نفس الاسم[5]. وأخيرا نذكر من ملاحات المغرب الأدنى ملاحة مدينة بسكرة الشهيرة تلك التى كان يستعمل ملحها الفاطميون[6] وتقع فى منطقة الوطاية شمال غربي بسكرة[7]. وتفيدنا المراجع أن غدامس ومنطقة كوار من المناطق التى تنتج الملح وتصدره عن طريق مدينة بالما التى كانت هى الأخرى من مناطق إنتاجه[8]. وأن مدينة صفاقس كانت تنتج الملح البحرى

---

[1] راجع البكري : المغرب صـ ٤٠، ياقوت : معجم، حـ ٢ صـ٦١.

[2] محمد حسن : المرجع السابق صـ٥٤٧.

[3] وصف صـ ٦٢٩ راجع كذلك "برنشفيك : المصدر السابق صـ٣٣١

[4] البرزلي: فتاوى، حـ٦ صـ١٧٧.

[5] وهي التي انهزم فيها أبي عمارة أحمد بن مرزوق الثائر على أبي إسحاق إبراهيم بن زكريا الحفصى راجع : أحمد بن أبي الضياف : إتحاق أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، حـ١ تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشيئون الثقافية والأخبار ، تونس سنة ١٩٦٣ ط١ صـ١٦٦ عن هذه السبخة راجع كذلك دائرة المعارف الإسلامية م٦ صـ٣٠.

[6] راجع البكري : المغرب، صـ ٥٢ ، ياقوت : معجم ، حـ١ صـ٤٢٢ الحميري : الروض ،صـ١١٤.

[7] برنشفيك : المصدر السابق صـ ٢٣٩ ، الهادي روحي إدريس ، الدولة الصنهاجية، تاريخ أفريقيا فى عهد بنى زيري من القرن السادس إلى القرن الثانى عشر الميلادي، حـ٢ نقله إلى العربية حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت سنة ١٩٩٢ ط١ صـ٥٢. Mas Latrie: Op.Cit P 224.

[8] عبد الله عبد الرازق : الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا ،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٨٤ صـ١٨١. H.T. Fisher: The Central Sahara and Sudan, in the Cambridge history of Africa, volume 4 from 1600 to c. 1790 c.Edited by Richard Gray Cambridge university Press 1994. p86.

وكذلك الملح الصخرى الذي تمتد سبخاته فى الصحراء جنوب صفاقس ويستلزم الأمر إحضار بلدوزر لاقتلاع الملح من سبخاته الجافة وقد اشتهرت بتصديره فى العصر الحديث[1] .

وإذا يممنا وجوهنا تجاه المغرب الأوسط فلا شك عندنا بوجود ملاحات ساحلية ولكن للأسف لم تمدنا مصادرنا باسماء أى منها ، كما إن المعلومات نادرة عن الملح فى الداخل إلا ما يذكر عن مدينة تاهرت وما يحيط بها من جبال وأودية فى بعضها سباخ[2] وعن مدينة سجلماسة بان أرضها سهلة سبخية[3] أوما يذكر من بعض الملاحات فى العصور الحديثة مثل سبخة وهران القريبة من هذه المدينة[4] وهوما يعني وجود ملاحات مستغلة لو أنها قليلة ويؤكد كلامنا هذا بما ذكره الزياتى[5] عن الملح فى المغرب الأوسط " فإنه نادرا نوعا ما ولكنه كاف للحاجات المحلية " أما ملح الصحراء فى المغرب الأوسط فلا يعرف إلا ما ذكره البكرى فى المغرب[6] "عن مدينة تونك بصحراء المغرب الأوسط التى بها معدن الملح وكان مستغلا ويصدر إلى بلاد السودان عن طريق تادمكة التى تبعد عنها بست مراحل .وما يذكر حديثا عن سبختى شنونيان وتندوف على الأطراف الجنوبية بين الجزائر والمغرب.[7] .

أما المغرب الأقصى فقد كثرت فيه الملاحات واشتهر عدد منها عالميا وتوزعت هذه الملاحات على السواحل وفى الداخل حول المدن وذلك فى الصحراء الممتدة حتى السودان فقد

---

[1] كيرلانسكي : تاريخ الملح صـ٣٣١.

[2] اليعقوبي : البلدان صـ٣٥٨.

[3] العمري : مسالك جـ٤ صـ٢١٠، المؤيد عماد الدين إسماعيل بن نور الدين علي بن جمال الدين محمود المشهور بأبي الفدا: تقويم البلدان ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة سنة ١٤٢٧هـ/سنة ٢٠٠٧م ط١ صـ١٥٥.

[4] دائرة المعارف الإسلامية م١١ صـ٢٣٦

[5] وصف أفريقيا صـ٦٥٧.

[6] صـ١٨٣

[7] كيرلانكسى: المصدر السابق صـ٤١.

ذكر البكرى[1] ملاحة كبيرة فى قرية تاهدرات غرب أصيلة " ،وفى أحواز مدينة طنجة وعلى وادي مضى توجد ملاحات متعددة مستغلة ومازالت حتى الآن[2].

وفى الداخل اشتهرت ملاحة مدينة فاس الكبرى التى تميزت بها عن بقيه المدن وتفـردت بكثرة الإنتاج لامتدادها واتساعها فهى تمتد على مسافة ثمانية عشرميلاً شمال شرقى مدينة فاس على بعد ستة أميال منها وذلك من منطقة تعرف بمجشر الشاطبي إلى منطقة تعرف بدمنة البقول بوادي مكسن على شكل ملاحات متصلة[3] تتخللها المزروعات والحرث وعد ذلك من بركـات هذه الملاحة فقيل " ومن بركة هذه الملاحة أنها كانت تحرث بالزرع فتجد الفدادين من الأرض فى وسط الملح مخضرة ناعمة تتمايل حافاتها فضلا من الله وبركة منه" [4] "وما تـزال ملاحـة فاس مستغلة حتى الآن[5]إذا أخذنا باجتهاد لوتورنو[6] في تفسـير اسم حي الملاح في فـاس فإن هذا الحي يعد من الأماكن المنتجة للملح إذ يذكر انه كان غنيا بالملح أو أن واد مالح يمـر قريبا منه .

ويذكر ابن سعيد[7]ملاحـة بلاد حاجة إلى الشـمال الغربـي مـن مـراكش ،وقريبا من تامسنا وجد منـجم أمـدورر الذى استخدمه الطوارق حديثا لاستخراج الملح[1]

---

[1] المغرب صـ١١٣.

[2] أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبـار ملـوك المغـرب ومدينة فاس، تحقيق عبدالوهاب بن منصور المطبعة الملكية الرباط ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ط٢ صـ١٣٣ هامش ٢٢٦ ووداي مضى واد شهير يقع مجراه عند مدينة سوق الأربعاء ، وفيه التقى جيش الأندلس بقيـادة عبـد الملك المظفر بن أبي عامر وزيرى بن عطية.

[3] عن هذه الملاحة راجع أبا الحسن على الجزناءى :كتاب تاريخ فاس المعروف بزهرة الآس فى بناء مدينة فاس ، تحقيق وتعليق ودراسة مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ط١ صـ٣٥، ابن أبي زرع : الأنيس صـ٤٤.

[4] الجزناءي : المصدر السابق ، ابن أبي زرع : المصدر السابق

[5] ابن أبي زرع : المصدر السابق صـ٤٤ هامش ٦٤.

[6] روجيه لوتورنو :فاس في عصر بني مرين ،ترجمة نيقولا زيادة ، سلسلة مراكز الحضارة ،مكتبة لبنان ١٩٦٧ صـ٣٥

[7] بسط الأرض صـ١١٧ راجع كذلك عز الدين موسى: النشاط الإقتصادي فى المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري دار الشروق، بيروت القاهرة سنة ١٩٨٣ طـ١ صـ٢٤٩.

وإذا اتجهنا جنوبا وقبل أن نصل إلى الصحراء الكبرى تجد ملاحة مشهورة فـي جبـل درن وهوموضع سماه صاحب المغرب[٢] " الملاحة" ويخبرنا ابن عذارى[٣] أنها كانت قـرب قريـة تعرف بتاجموت من هذا الجبل.

وانتشرت الملاحات في صحراء المغرب الأقصى فأول ما يقابلنا مـن ملاحـات الـصحراء ملاحة تولمطة الشهيرة فى موضع تغازى التى ذكرهـا أغلـب الجغـرافيين والمـؤرخين[٤] . ووصفوا الحياة فيها لمستخرجى الملح من العبيد الذين كانوا يتعيشون على ما تأتى به القوافـل وأنهم كانوا يسكنون فى بيوت كلها من الملح الصخرى حيطانا وأعمدة.

وقليلا إلى الجنوب الشرقى من تغازى توجد ملاحة أخرى مشهورة هى ملاحـة تـاوده أو تاوديني الحديثة التى عرفت أيضا باسم تغازى الغزلان أوالجديدة وتقع على بعد ١٥٠ كم مـن تغازى[٥]. وإلى الجنوب منها وشمال مدينة إدرار وجد منجم الدجيل "العجيل" الذى اشتهر فى أواخر العصور الوسطى وأوائل الحديثه[٦].

---

[١] إسماعيل العربي: الحياة الإقتصادية والاجتماعية عند طوارق أهجار، مجلة الأصالة عدد خاص عن تـاريخ منطقة الهوقار بمناسبة انعقاد الملتقى (١٣) للفكر الإسلامي بعاصـمتها تمزاسـت، وزارة التعلـيم الأصـلي والشيئون الدينية الجزائر، السنةالثامنة رمضان ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م صـ٤٣.

[٢] البكري صـ١٦٠ راجع كذلك ابن سعيد : بسط الأرض صـ٥٧.

[٣] حيث يذكر ذلك فى نكبة الوزير الكاتب الموحدي أبي جعفر بن عطية حيث سجن أولاً ثم أخذ مـن سـجنه هووأخوه وحملا إلى جبل درن وقتلا بتاجموت قرب الملاحة سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م راجع ابن عذاري: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني دار الغرب الإسلامي بيـروت سنة١٩٨٥م.

[٤] عن هذه الملاحة راجع ابن سعيد:بسط الأرض صـ٤٧، ياقوت :معجم حـ١ صـ٢٨٣، القزوينـي :آثـار البلاد صـ٢٥-٢٦، الحميري: الروض صـ٥٨٤، أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتى المعروف بابن بطوطة ، :تحفةالنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار حـ٢،تحقيق على المنتصر الكتاني ،مؤسـسة الرسـالة بيروت سنة١٤٠٥هـ ط٤ صـ٧٧٣ ، ابن الوزان الزياتي:وصف أفريقيا، صـ٥٢٦.

[٥] راجع ما سيأتي صـ٨٨-٨٩ من البحث.

**(٦)A.Ann Mcdougall:The View from Awdaghuste war, Tarde and social change in the south Sahara from the eighth to the fifteen Century, in Journal of African history, volume 26, number 1, Cambridge University press, 1985, P 20- 21.**

وإذا تركنا صحراء لمطة ومسوفة واتجهنا جنوبيا إلى ديار قبيلة جدالة وجدنا ملاحتها الشهيرة فى مدينة أوليل التى اشتهرت بأنها مدينة معدن الملح وهى قرب المحيط[1] بينها وبين أودغست مسيرة شهر[2].

هكذا كانت الملاحات منتشرة فى بلاد المغرب من شرقها إلى غربها وفي شمالها وصحراوتها وما بقى علينا إلا أن نتعرف على كيفية استخراج* المغاربة لهذا المعدن.

## ثانيا - كيفية استخراج الملح ببلاد المغرب

تواجدت إذا العديد من الملاحات فى بلاد المغرب الإسلامى ، ويلاحظ أن هذه الملاحات كانت إما سبخات وإما مناجم فى الجبال والصحراء وهوما يعنى ان هناك عوامل طبيعية أثرت تأثيرا كبيرا فى تواجد الملح فى هذه المناطق فالسبخات المنتشرة فى بلاد المغرب وخاصة الأدنى منه نتيجة للمياه المالحة التى تفاعلت مع التربة وعوامل المناخ الأخرى وبالذات من الشمس مكونة أملاح السبخات ، وإذا نظرنا إلى هذه السبخات وموقعها نجدها إما قريبة من البحر المتوسط أو المحيط الأطلسى على سواحل بلاد المغرب الشمالية والغربية وإما أنها علي أو بجوار أودية تجرى فيها المياه المالحة أو بحيرات مالحة أو حتى عيون طبيعية مالحة ، وهذه المصادر المتعدد للمياه المالحة كانت كثيرة ومتوافرة فى بلاد المغرب من شرقه إلى غربه فمن الأودية واد فى الطريق بين طرابلس وبرقه بالقرب من وادي يعرف باسم وادي السمار وهو وادي كبير تحف به مزارع كثيرة إلا أن مائه ملح أجاج لايستساغ حتى مع الضرورة[3]، و بمنطقة الهائشة وسبختها مياه مالحة ملح أجاج لا يكاد يساغ ولا يستسقى منه إلا من أضطره العطش أيام الحر وبأخرها اى الهائشة وادي مالح تجرى فيه المياه المالحة فلا الملح المتجمد

---

راجع كذلك مقالة **Stories of Salt, Salvery and life in the Sahara, University of Alberta** 2001 على الموقع **www.humanitiesulberta.ca** .

(1) راجع الإدريسى : نزهة صـ١٨ ، ياقوت : معجم صـ٢٨٣ ، ابن سعيد : بسط صـ٤٧ ، العمرى : مسالك جـ١ صـ١٥٤ ، الحميرى : الروض صـ٦٤

(2) ابن حوقل : صورة الأرض صـ٩١ ، الإدريسى : المصدر السابق صـ١٨.

* راجع الملحق رقم (٥) وفيه صور تبين كيفية استخراج الملح

(3) راجع : العياشي : رحلته صـ٧٣.

يذوب أو يجمد هذا الماء .[1] ويفترق عند مدينة تاجوراء واديان ينتهيان إلى البحـــر إحـــداهما وادي المجسر والثاني وادي الفجار والأول منهما وهووادي مجسر ملحا أجاجاً ولا سيما قرب البحر [2] ،وفي قبلة القيروان وادي ملح يعرف باسم وادي السروايل [3] .

وأشهر أودية المغرب على الإطلاق الوادي الملح المشهوربسبخاته وملاحاته المـــذكورآنفا[4] والذى حدد البكرى[5]موقعه بين مدينة تماجر ومدينة المهدية وقريبا من هذا الوادي وادي يمـــر بزرمدين ويصب فى سبخة المكنين [6]وآخر يصب فى وادي شين ثم فى سبخة القطيعة [7] .

ومن أودية المغرب الأوسط المالحة وادي أوبة [8] وهو وادي تجرى فيه المياه مرة مالحـــة بين المسيلة وأشير [9] وهناك مياه مالحة بين جبل سالات فى الجنوب وكدى صنهاجة فى الشمال [10] وذكر المقدسى[11] واديا قريبا من طبرقة ومن أودية المغرب الأقصى المالحة مكناسة فبين مدينة تازا ومدينة جرواة واديين أحدهما وادي صاع والثانى وادي وارجين والثانى منهما كان نهرملح لمكناسة[12] وبين مدينة سجلماسة ومليلة تقع مدينة قلوع جاره وهى مدينة جليلة عامرة

---

[1] العياشي : المصدر السابق صـــ١٨٩.

[2] التجاني : رحلته صـــ١٢١.

[3] اليعقوبي : البلدان صـــ٣٤٩.

[4] راجع ما سبق صـــ٢٩.

[5] المغرب صـــ٢٩

[6] الداعي إدريس : تاريخ هامش ١٦٢ صـــ٣١٤-٣١٥.

[7] نفسه

[8] ذكر ضمن الأماكن التي مرعليها المنصور الفاطمي وهو يطارد أبا يزيد صاحب الحمـــار ســـنة ٣٤٦هـــ /٩٥٧م راجع الداعي إدريس : المصدر السابق صـــ٤٠٣.

[9] ابن حوقل : صورة صـــ٨٧، ٨٩ الداعي إدريس : المصدر السابق.

[10] الداعى إدريس: المصدر السابق صـــ٤٠٤

[11] أحسن التقاسيم صـــ٢٢٦.

[12] البكري : المغرب صـــ١٤٢.

فى جبل على ماء ملح[1] ولما تحدث الجغرافيون والمؤرخون عن ملاحة فاس الكبرى ذكروا من أوديتها وادي مكسن.[2] وأشير كذلك إلى ملاحات وادي مضى المالح بين فاس وطنجة [3]

أما البحيرات المالحة التى وهبها الله لأهل المغرب والتى أفادتهم فـــى اصطيادالأســـماك واستخراج الملح فمتعددة هي الأخرى واشتهر منها البحيرة التى تقع عليها مدينة تونس وهـــى بحيرة خارجة من البحر المتوسط طولها عشره أميال وتونس على أخرها [4] قال عنها البكرى [5] "دورها نحو أربعة وعشرين ميلا " وبحيرة بنزرت المالحة التى بطـــول ســـتة عـــشر مـــيلا وعرضها ثمانية أميال وقد ذكرت هى وبحيرة تيجة القريبة من تونس والمتصلة بها وهـــي بحيرة عذبة وكانتا من عجائب الدنيا وذلك لاتصالهما عن طريق فم بينهما تصب كل منهما فى الأخرى ستة اشهر كاملة وذلك دون أن تؤثر احداهما على الأخرى فلا بحيرة تيجة تملـــح ولا بحيرة بنزرت يعذب مائها[6] وبجوار مدينة درعة مكان يعرف بالبربرية أمان تيـــسن ومعناهـــا الماء المالح لما به من مياه مالحة [7].

كما وجددت العيون المالحة أيضا ببلاد المغرب وذكر منها عيون مدينة جرواة التـــى تقـــع خارج المدينة [8] وتلك العيون القريبة من واحة أوجلة[9] والأخرى الموجودة علـــى مرتفعـــات الأوراس [10]

---

[1] المصدر السابق صـــ١٥٢

[2] راجع على سبيل المثال ابن أبي زرع : الأنيس صـــ٤٤.

[3] المصدر السابق صـــ١٣٣ هامش ٢٢٦.

[4] أبوالفدا : تقويم صـــ١٦٤، القلقشندي: صبح جـــ٥ صـــ١٠٢.

[5] المغرب صـــ٣٩.

[6] عن بحيرة بنزرت وأمرها العجيب مع بحيرة تيجة راجع القزويني:آثار البلادصـــ١٤٨، ابن ســـعيد:بـــسط الأرض صـــ٧٧، الدمشقي :نخبة الدهر صـــ١١٦،العمـــري :مـــسالك،جـــ١ صـــــ١٢٥،الحميـــري:الـــروض صـــ١٤٧ أبوالفدا:تقويم صـــ١٦٤،القلقشندي :صبح جـــ٥ صـــ١٠٥ ، المقريزي:جني الأزهار صـــ٧١.

[7] البكري: المغرب صـــ١٥٦.

[8] ابن عذاري: البيان جـــ١ صـــ١٩٦.

[9] وهي ثلاثة عيون متقاربة راجع البكري : المغرب صـــ١٥.

[10] ابن الوزان الزياتي:وصف أفريقيا صـــ٥٢٦.

ولا شك عندنا في الارتباط الوثيق بين هذه المياه المالحة وبين معدن الملح فمنهـا يتكـون ويثبت ذلك أنه على الشواطئ الممتدة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي انتشرت الملاحـات الطبيعية وبالذات فى المغربيين الأدنى والأقصى فالثابت حديثا أن معظم الملاحات موجودة على هذه الشواطئ فى كل البلدان المطلة على هذين المسطحين المائيين المالحين [١] وثبت لدينا نحن كما مر من استغلال السكان للملاحات الموجودة بين برقة وطرابلس وكذلك ملاحة جربة ورأس المخير والمنستير وتونس وانظر إلى تاهرت القريبة نسبيا من البحر ولأنهـا علـى مـستوى منخفض من البحر فقد تكون فى بعضها سباخ[٢] وكل هذه ملاحات نتاج لمياه البحـر المالحـة ويؤكد لنا العياشى[٣] هذه العلاقة بقوله عن الوادي القريب من وادي السمار " إلا أن ماءه ملـح أجاج لا يستساغ ولو مع الضرورة وقد جمد فى أيام الحر فيصير سباخا" أى ملاحات وتأمل ما قاله عن سبخة الهائشه "ويأخرها واد من الملح يجرى الماء على أرض من الملح فلا الماء يجمد ملحا ولا الملح يذوب ماء [٤]" ولا شك أن الملح المتكون المتراكم الصلب من فترات طويلة لـم يستغله أحد فجمد والماء ملح أجاج فلا يجد ما يحتويه من تـراب الأرض فـالأرض متـشبعة بالملوحة وعيلها طبقات من الملح والماء شديد الملوحة وقد ساعدت رطوبة الجـو علـى بقـاء الوضع فى المكان على هذه الحالة وعبر عن ذلك العياشى[٥] "وأظن ذلك لقـوة ملوحـة المـاء ونداوة المحل وذلك على العكس تماما فى مكان آخر بنفس السبخة ولكن فى فصل الشتاء إذ لما تكاثرت الأمطار ولم يوجد من الملح شيئ حتى للاستعمال الشخصى فطلبه أناس فى القافلة التى كان يصحبها العياشى من أجل الاستعمال فلم يجدوه " لأن المكان صـار كلـه مـاء بكثـرة الأمطار[٦] "ويذكر لنا التجانى[٧] فى هذه العلاقة أن ملاحة قصر صالح تكونت بفعل مياه البحر

---

(١) Fisher :The Cenral Sahra and Sudan, P 86

(٢) اليعقوبي :تقويم صـ٣٥٨

(٣) رحلته صـ٧٣.

(٤) نفسه

(٥) نفسه

(٦) المصدر السابق صـ١٨٩

(٧) رحلته صـ٢٠٧.

وتراكم فيها الملح سبع طبقات مع مرور الزمن ويقرر لومبار[1]هذه الحقيقة بقوله مؤكدا علـــى ازدهار صناعه تمليح الأسماك بفضل الملح المستخرج من البحـــر " الملـــح عنـــصرضروری يستخرج من ملاحات على الشواطئ"

أما عن السباخ المتكونة بفعل المياه المالحة الداخلية فقد كانت ملائمة جدا ومهيئـــة لإنـــشاء ملاحات يستخرج منها مسلمو المغرب ما يحتاجون إليه مـــن أمـــلاح للاســـتهلاك الـــداخلى أو للتصدير فقد مر بنا كيف أنه نتج عن وجود الوادي الملح بين تماجر والمهدية وجود عدد كبيـــر من سبخات الملح التى استخرج منها المغاربة الملح حتى الوقت الحالي [2]،وأن بحيرة تونس قد أثرت على تربتها فصارت تربة سبخية استخرج فى العديد من مناطقها الملح[3]. وما يذكر عن وادي السراويل الذى بقبلي مدينة القيروان التى حمل المياه المالحة إلى سباخ الناس فيتكون الملح الذى استخدمه الأهالي فى حوائجهم[4] وقرية القصبة التى بين أوجلة و الواحات التى كان بهـــا ثلاثة أعين ملحه يجتمع ماؤها فى سباخ فتصير ملاحات طبيعية ومن العجيب أن نـــرى ملـــح إحداهما أبيضاً والثانية أحمراً والثالثة أصفرا[5] رغم التجاور والسقى بماء واحد ولا شك أن ذلك راجع إلى اختلاف التربة فسبحان من جعل فى الأرض قطع متجاورات مختلفات التكوين.

ولننظر إلى العيون المالحة المتولدة فوق جبال الأوراس وقد كانت تنساح فى السهل ويتكون منها بعض المستنقعات وعندما يصبح الطقس حارا تتحول هذه المستنقعات إلـــى ملاحـــات[6]. وإلى ملاحة فاس الكبرى وسباخها والتي ما تكونت إلا بفعل المياه المالحة فى الأودية المذكورة آنفا[7].

---

[1] موريس لومبار : الإسلام فى مجده الأول من القرن الـــ٢- ٥ الهجرى/ ١١-٨م ترجمة وتعليق إسماعيل العربى منشورات دار الآفاق ، المغرب سنة ١٩٩٠مصـــ٩٥.

[2] راجع ما سبق صـــ٢٩.

[3] راجع البرزلى : فتاوى البرزلي حـــ٤ صـــ٤٢٩، ٤٥٥.

[4] راجع : اليعقوبي: البلدان صـــ ٣٤٨، أبو الفدا : تقويم صـــ١٦٧.

[5] البكري : المغرب صـــ١٥.

[6] الزياني : وصف أفريقيا صـــ٥٢٦-٥٢٧.

[7] راجع ما سبق صـــ٣٤.

توافرت إذا المياه المالحة سواء كانت بحرية أو داخلية من أودية وبحيرات وعيون لتكون الملاحات التى انتظم فيها الملح متبللورا أو شكل طبقه بيضاء منتظمة جاهزة للاستغلال ولكن هناك نوعا أخر من الملاحات وجد فى بلاد المغرب بعيدا عن مصادر المياه المالحة وذلك في الصحارى والفيافى القاحلة البعيدة عن العمران والحضر بمسافات كبيرة . والاحتمال الأكبر أنها كانت نتيجة وجود مياه جوفيه مالحة أو نتيجة لرسوبيات فيضانية قديمة أوأمطار أنزلت من السماء فوافقت الأرض العرق الملحة أصلا فتكون من ذلك الملح بفعل تبخر المياه وبقاء الملح مترسبا والذى جمد بمرور القرون وكونت طبقات سميكة بعضها فوق بعض وربما فصلها طبقات من التراب والرمال [1] فتكون نتيجة لذلك معدن الملح مثل غيره من المعادن الأخرى على هيئة مناجم في حاجة إلى من يستغلها وهوما قام به المسلمون في تغازى وتاوده وأوليل وقصر صالح وغيرها .

والسؤال الآن كيف استخرج المغاربة هذه الأملاح؟

الواقع أن ماحبي الله به بلاد المغرب من أسباب طبيعية لتكوين الملاحات وبالذات من ملاحات السباخ قد وفرت على المغاربة الكثيرمن المجهودات من أجل الحصول على الملح واستخراجه فأن تكوين هذه الأملاح قد أتاح للمغاربة كشطها واستعمالها دون الحاجة إلى التجهيزوالتهيئة لهذة الملاحات سواء كانت الداخلية أوالساحلية خاصة تلك القريبة من المدن حيث اعتاد الأهالي استغلالها فى ظل ظروف أتاحت للجميع الانتقاع بها حتى من الرحالة العابرين[2]فلا حاجة لحرفية أو صناع مهرة لاستخراجه ،كل ذلك دون ان يتعرض لهم أحد من ذوى السلطان من خليفة أو أمير أو وال بالمنع لان ذلك لا يجوز شرعا فلا المنع أو الاستغلال المفضى إلى الإحتكار سواء كان بالإقطاع أو الإحياء موجود فى الشرع بالنسبة للملاحات إلا فى حالات معينه أجازها بعض الفقهاء بالمغرب أو فى حالات أخرى نتيجة إرادة الحكام احتكار جميع المناجم الموجودة فى البلاد الواقعة تحت سلطانهم تسلطا ولذا وجدنا فى بعض الأوقات استغلال الملاحات العامة لصالح الدولة وذلك عن طريق القبالات التى شاعت فى العصر الفاطمى[3]وكذلك فى أواخر العصور الوسطى فى عهد الدولة الحفصية والمثال الدال على ذلك

---

[1] راجع التجانى : رحلته صـ٢٠٧.

[2] راجع العياشي : رحلته صـ٧٤، ١٨٩.

[3] الدباغ :معالم الإيمان ،حـ٣ صـ٢٧.

أمامنا ملاحة سبخة أم الأصنام أو سيدى الهانى التى كانت فى قبالة رجل يدعى سعيد الظاهرى وهومن الخواص فى العصر الحفصى[١] ويبدو ان السلطان الحفصى المستنصر بالله (٦٤٧-٦٧٥هـ/١٢٤٩-١٢٧٦م) قد أحس خطأ تقبل هذه الملاحة وأبرأ نفسه من ذلك فقرر إزالة القبالة التى عليها وتخصيص جزء من ماله الخاص لاستخراج الملح منها وترك استغلالها للأهالى كما جاء فى أحد الظهائر السلطانية المكتوبة بشأن إقطاع أحد الخواص أراضى ما بين القيروان وسبخة سيدى الهانى فيقول الظهير" وأبحنا الانتفاع بملاحتها على مرور الليالى والأيام إلى انقراض الزمان لا يعارضهم فيها معارض بوجه ولا بحال من الأحوال وأعطينا فى ذلك مالا من كسبنا [٢]وقد كان ذلك أثناء الحملة الصليبية على تونس ٦٦٨هـ /١٢٣٠م وهوما عبر عنه الظهير " حين نزول عدو الدين بالحضرة العلية دمرهم الله وخذلهم"[٣]

وهذا المثال يعطينا من خلال تفاصيله الواردة فى مصادرنا دلالتين فى غاية الأهمية ولهما ما يؤيدهما فى الواقع المغربي الأولى بالنسبة للتجارة فى الملح وسوف نناقشتها عند الحديث عن التجارة الداخلية أما الدلالة الثانية ذات الأهمية هنا تتمثل فى المتقبل الذى يرعى هذه الملاحة ويكتريها من الحكومة مقابل أموال معلومة وهى القبالة مما يعنى أن هذا الشخص اهتم بهذه الملاحة إعدادا وتهيئة واستخراجا للملح منها ثم التصرف فى ملحها كيفما شاء. وقد اثار ذلك تساؤلات امام فقهاء العصر الحفصي في أمر الاحتكار فبينوا لنا بما لا يدع مجالا للشك أثناء مناقشاتهم للقضية[٤] أن هناك نوعيتن من الملاحات النوعية الأولى : هى الملاحات الطبيعية التى كانت دون إحياء وتهيئة وهى بالتالى ملك الناس جمعيا ولا يحق للسلطان أن يتدخل في أمرها ويحتكرها ثم يقبلها وذلك لان هذه الملاحات بهذا الشكل كانت مثل المرافق العامة فى الدولة كالبحار والأنهار واستغلالهما فى النقل والاصطياد وكذا البحيرات أو البحائر التى يصطاد

---

[١] راجع الملحق رقم (٣) من البحث : برنشفيك:تاريخ أفريقية،جـ٢ صـ٢٣٩،محمد حسن:المدينة والبادية،جـ١ صـ٢٢٦ وما بعدها صـ٥٤٧.

[٢] راجع الملحق السابق ذكره ، مخمد حسن صـ٢٢٥

[٣] راجع الملحق السابق ذكره

[٤] راجع فتاويهم عند البرزلي : فتاوى جـ٣ صـ٦٢٠،جـ٤ صـ٤٢٩، ٤٥٤-٤٥٦.

منها الأسماك أو مكان الإحتطاب أو الغدران للاستقاء فكلها مرافق عامة للمسلمين لامقال للسلطان فيها لأنها من عند الله بغير واسطه[1] .

أما النوعية الثانية والتى تهمنا فى هذا المقام فتمثلت فى تلك الملاحات التى نجمت عن الإحياء والإعداد والتهيئة من جانب بعض الناس حكاما ومحكومين ولهم فيها حرية التصرف وإن كان البرزلى[2] يفتي بأن الملاحة إذا كانت بسبب من آدمى يكون ملكها للذى أحياها وإن كانت بالقرب من العمران فيجب أن يستأذن من ولى الأمر أوالسلطان . وان كانت بعيده عن العمران فللذى أحياها وذلك دون إذن السلطان.

ونخرج من كل هذه أن هناك ملاحات قد أحييت وأعدت من أجل إستخراج الملح منها عن طريق أشخاص اعتبروها أملاكا خاصة لهم وتصرفوا فيها بالبيع والاستئجار تماما كتلك الأخرى المعدة من أولها إلى أخرها بمعنى قيام صاحبها بأعداد البرك وجلب المياه المالحة واتخاذ كافه الخطوات من أجل استخراج الملح.وتفيدنا وثيقة عند المراكشي بوجود مثل هذه الملاحات بكثرة وأنه كان يجرى عليها نظام القبالا ت الشرعية بكثرة بين الأشخاص وذلك في العصرين المرابطي والموحدي[3]

وفى كلتا الحالتين استخرج الملح بتقنية معروفة فى الغرب الإسلامي عموما وهى التى اعتمدت على ما أمدهم الله به من عوامل طبيعية من ماء ملح وشمس وهواء وهوما تستمده من فتاوى البرزلى[4] وكتاب وثائق المرابطين والموحدين[5] وكتاب الوثائق والسجلات لابن العطار[6].

---

(1) المصدرالسابق صـ٤٢٩ ،٤٥٤

(2) المصدرالسابق حـ٤ صـ٤٢٩.

(3) راجع عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة١٩٩٧م ط١ صـ٤٥٩.

(4) راجع المصدر السابق حـ٣ صـ٦٢٠.

(5) راجع الملحق رقم (٥) من البحث .

(6) راجع محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن العطار : كتاب الوثائق والسجلات تحقيق ونشر وشالميتا. ف كورينطي، مجمع الموثقين المجريطي، المعهد الأسباني للثقافة مدريد سنة ١٩٨٣ صـ١٩٩- ٢٠٠.

فالملاحة فى الغالب كانت بخارج المدينة أو القرية وتكون قريبة جدا من أحد مصادر المياه الملحة وكانت الملاحة ذات مساحات كبيرة تعد فيها أحواض يجلب إليها الميـاه المالحـة عـن طريق سواقى توزع المياه على هذه الأحواض، ثم تترك هذه الأحواض للشمس حتى تملح ثـم يكشط هذا الملح بعد أن تتكون الطبقة الملحية المختلفة السمك من ملاحة إلى أخرى وذلك تبعـا لحاله الجو وحرارة الشمس وشده الرياح أي العوامل التى تساعد على تبخر الماء وترسب الملح وبعد أن يكشط هذا الملح يجمع ويوضع أبيضاً فى أفنية الملاحة المعدة لذلك .ثم يغسل الملـح و يعبئ بعد ذلك جريشا كان أو مدقوقا وهوما عبرعنه " ملح أبيض جريش طيب وهـو الغليظ أو دقيق أبيض نقى طيب غاية الطيب "[1]

أليست هذه الطريقة فى استخراج الملح وإعداده هي ذات الطريقة التى تحدث عنها صاحب تاريخ الملح فى العالم[2] وقد علق على ذلك واضعاً الاحتمال بأن مسلمى شمال أفريقيا أول مـن صمم هذا النظام وذلك بعد أن نفى عن الصينيين -الذين عزا إليهم كل شيئ فيما يخص الملح- هذه الطريقة لسبب بسيط هو أن هذه الطريقة أى التبخير الشمسى تنتج ملحا جريـشا ولـيس ناعما وهوما لم يفضله الصينيون[3] وهو لا يعلم أن مسلمى شمال أفريقيا اسـتخرجوه جريـشا وناعما كذلك وفى كلتا الحالتين كان طيبا معدا للاستهلاك مما يعنى خبرتهم الطويلة فـى هـذه التقنية فى كل المغرب الإسلامي شرقا وغربا ويؤكد لدينا ذلك هويكنز[4] بقوله " ان ملح بالما فى صحراء المغرب الأدنى وملح أوليل فى الغرب بصحراء جداله كان يتم الحصول عليـه بـنض "بترشيح " التربة الملحية ، وهناك شاهد عيان لاستخراج أهل فزان راهنا الملح بهذه الطريقـة حيث خبروها من الأزمنة القديمة فهم يقومون بكشط الملح مـن الـسبخات الجافـة وإعـداده لاستهلاك ثم منهم من عملواعلى غلي القشرة المترسبة فى قيعان السبخات لانتاج بلورات صافية

---

(1) ابن العطار: المصدر السابق صـ٢٠٠، المراكشي : المصدر السابق صـ٤٥٩.

(2) راجع كيرلانسكي : المرجع السابق ص٦٩.

(3) المرجع السابق .

(4)"هوبكنز:التاريخ الإقتصادي لافريقيا الغربية صـ٩٢-٩٣ .

راكموها على هيئة أسطوانات بيض بارتفاع متر تقريبا وإعداها للتصدير، ومازال الملح ينتج بهذا الشكل حتى الآن[1].

وإذا كانت هذه طريقة استخراج الملح البحرى أي المعتمد على المياه المالحة من البحار والأودية والبحيرات والعيون[2] فكيف استخرج المغاربة النوع الثانى من الملح وهو الملح الصخرى ؟

الحقيقه أن استخراج الملح كمعدن كان مثل غيره من المعادن التى اشتهرت بها بلدان المغرب و جودا واستخرجا مثل الحديد والنحاس والفضة وكذلك الرخام ..... إلخ، والإدريسى فى نزهته[3] قد ترك لنا وصفا لما شاهده من استخراج معدن الزئبق من حصن أبال شمال قرطبة حيث كان يخدمه أزيد من آلف رجل فقوم للنزول فيه وقطع الحجر وقوم لنقل الحطب لحرق المعدن وقوم لعمل أواني سبك الزئبق وتصعيده وقوما لشأن الأفران والحرق[4]، قال رأيت هذا المعدن فأخبرت أن من وجه الأرض إلى أسفله أكثر من مائتي قامة وخمسين .

ولا شك أن استخراج الملح كان أسهل بكثير من استخراج الزئبق أو الرصاص فهولا يحتاج للحطب أو إلى الحرق ولا أواني لسبكه أو تنظيفه بالتصعيد ولم يكن كذلك فى أعماق كبيرة جدا وإنما كان على أعماق ليست بعيدة عن سطح الأرض[5] فى أماكن متعارف عليها بين سكان المناطق القريبة منها أو حتى البعيدة بعد البحث عنه وتحديد مكانه مستغلين إياها أفضل استغلال وذلك لشدة الطلب عليه فى الداخل والخارج وذلك لنقائه الطبيعى فضلا عن قيمته التجارية وسعره الذى فاق الذهب ببلاد السودان[6] ولهذا أجهد سكان المغرب من مستخرجى الملح أنفسهم

---

(1) راجع مولاي عمر:الماءوالملح والكبش عندالأمازيغ مقالة منشورة فى موقع www.atlaselmagrebmaktooblong.com

(2) هي ذات الطريقة التي يقوم بها أهل المغرب وخاصة فى صفاقس فى الوقت الراهن راجع كيرلانسكي: المصدر السابق صـ٣٣١.

(3) جـ٢ صـ٥٨١.

(4) راجع كذلك:فتاوى البرزلي عن استخراج الرصاص جـ٤ صـ٤٥٥.

(5) يقول مكدوجال فى محاضرة ألقاها فى جامعة ألبرتا فى ٢٠٠١م بعنوان Stories of Salit , Salvery and lifa in the Sahara أنها تبعد بضعة أقدام في منجم الدجيل راجع المقال على الأنترنت فى موقع فى حين ذكر هوبكنز (التاريخ الإقتصادي صـ٩٣) أنها فى تغازى وتاوديني على بعد سبع طبقات.

(6) راجع ما سيأتي صـ١١٧ من البحث

فى طلبه من باطن الأرض متبعين نفس طريقه استخراج المعادن الأخرى وذلك عـن طريـق الحفر[1] وعمل أنفاق تحت الأرض ثم القطع والنقل إلى خارج هذه الحفر والأنفاق ثم التقطيع من أجل الاستهلاك المحلى أو التصدير بالذات إلى بلاد السودان فمن منجم الوطاية بجبل بسكرة كان الملح يقطع منه كالصخر الجليل[2] مما يوحى أن معدن الملح لم يكن على مسافات عميقـة فى الجبل ، ويذكرعن الملح الصخرى المستخرج من مدينة تغازى وما حولهـا مـن تـاوديني والدجيل فى صحراء صنهاجة أن العمال وكانوا فى الغالب عبيد القبائل البربرية وعلى رأسـها مسوفة الصنهاجية كانوا يحفرون على معدن الملح كما تحفـرالأرض علـى سـائر المعـادن والجواهر وكان معدن الملح على بعد قامتين أو دونها من وجه الأرض ويقطـع كمـا تقطـع الحجارة[3] وقد استمر ذلك حتى العصر الحديث دون أن يفقد الملح كثرته بدليل ما يذكره ابـن الوزان الزياتى[4] أن هذا المعدن كان يستخرج عن طريق أنفاق تحفر ويقطع منها المعدن كمـا يقطع الجبس والرخام[5] ويؤكد هويكنز[6] أن تلك الحالة كذلك كان فى تاوديني والدجيل حيـث كان العبيد يقومون بقطع القضبان من الملح وتحميلها وقد تم تنمية موارد الدجيل وهـي علـى عمق سبع طبقات فيما بين القرنين الخامس والتاسع الهجرى / الحادي عـشر والثـانى عـشر الميلادي[7] ومن العجيب أن العبيد المستخرجين للملح فى تغازى بنوا منازلهم بـألواح الملـح المقطوعة[8] التى تخرج ألواحا ضخاما متراكبة كأنها نحتت ولصقت تحت الأرض[9].

---

(1) ويبدو أن لهذه الطريقةأصل عربى إذ ورد فى اللسان لابن منظور (حـ٣ ، صـ٢٣ ) وحفروا فأسـبخوا أى بلغوا السباخ ويقال حفر بئر فأسبخ أى أنتهى إلى سبخة"

(2) راجع البكري: المغرب صـ٥٢ ، ياقوت : معجم حـ١ صـ٤٢٢.

(3) راجع البكري : المغرب صـ١٧١، الحميري : الروض صـ٥٨٤ ، ليون : وصف صـ٥٢٦.

(4) وصف أفريقيا صـ٥٢٦.

(5) ويتأكد لنا ذلك من إحدى فتاوى الونشريسى (المعيار، حـ٥ صـ١٣٦) لقـوم مـن الـصحراء أرسـلوا يستفتون فى حكم السلم فى الملح والاختلاف فى الصفة التي يصح عليها ومن أقـوالهم "أنهـم كـانوا لهـم بالصحراء معدن الملح يستخرجونها من تحت الأرض ويقطعونها ألواحاً كألواح الرخام.

(6) التاريخ الإقتصادي صـ٩٣.

(7) هويكنز: المرجع السابق.

(8) راجع ابن بطوطة:رحلته ، حـ ٢ صـ ٧٧٣ ، ابن الوزان الزياتي: وصف صـ٥٢٦.

(9) ابن بطوطة : المصدر السابق صـ٧٧٣

ويشير التجاني في رحلته[1] إلى أن طريقه الحفر والقطع هذه قد استخدمت أيـضا بالـسباخ الافريقية القريبة من البحر وقد علاها الملح كما احتوى بطنها الأملاح المتراكمة المتطابقة على كر السنين والدهور ولم تستخرج إلا في العصر الإسلامي ومن هذه السبخات سبخة طرابلس في قصر صالح القديم المفضل ملحها على جميع السباخ وقد ذكر أن أهل تلك الناحية أخبروه أنهم يرفعون الملح الذى على وجه السبخة حتى يصلوا إلى تراب الأرض ولما احتفروه قليلا مـن الأرض وجدوا طبقة أخرى من الملح ثم حفروا بعدها الأرض فوجدوا طبقة ثانية وفعلوا ذلـك الحفر مرارا حتى وصلوا إلى سبعه طبقات من الملح والخلاصة أن مسلمى المغرب استخدموا طريقه التبخير الشمسى ثم الكشط والجر للأملاح المتكونة بطريقة طبيعية أوعن طريق الإعداد والتهيئة وذلك بالنسبة للملح البحرى أما بالنسبة للملح الصخرى فقد استخدموا طريقـه الحفـر والقطع من أجل الحصول عليه كغيره من المعادن ولم يحتج المسلمون إلى طرق أخرى كتلـك التى استخدمت من قبلهم مثل طريقه غلي المياه فى جرار فخار أو نحاس مثلا والتى استخدمها الصينيون واليونانيون والرومان وأهل منطقة فزان أو استخدمها حتى الصقليون والأوربيـون حديثا[2] وذلك لسبب بسيط وهو أن الملح كان متوفرا بهاتين الطريقتين ويمكن الحصول عليـه دون عناء بحريا كان أو صخريا فليست هناك حاجة ملحة لإنتاجه عن طريق التبخير بالنار مع أنهم عرفوا كل العمليات الكيميائية التى من خلالها يمكن الحصول على الملح من تبخير وتصعيد وترسيب وتقطير وترشيح واذابة وتبللور ..... إلخ[3]

ونتيجة لوفرة معدن الملح والخبرة في استخراجه وإعداده للاسـتهلاك ازدهـرت تجارتـه داخليا وخارجيا وان كان قد رخص سعره فى الداخل وكانت تجارته إلى حد كبيرغير مجزية فقد

---

(1) صـ٢٠٧

(2) عن هذه الطرق ومن استغلها قبل المسلمين ومن بعدهم راجع كيرلاسكي : تاريخ الملح فى العالم، صفحات ٤١، ٥٥ ، ٥٩، ١٠٦،١٣١ ، ١٣٢، ١٤٢. الخ.

(3) عن معرفة المسلمين لهذه العلميات الكيميائية راجع د عبد الفتاح مصطفى غنيمة :مبادين الحضارة العربية الإسلامية وآثارها على الحضارة الإنسانية، حـ٤ ، جيولوجيـا التعـدين والمعـادن ، دار الفنـون العلميـة الإسكندرية سنة١٩٩٤م صـ٢٤ ، مصطفى سليمان : تاريخ العلوم صـ٢٠٥، محمد مرحبا : الجـامع فـى تاريخ العلوم صـ٣١٦ وما بعدها ، فاضل الطائى:أعلام العرب فى الكيمياء صـ٤٩ وما بعـدها ، صـ٨٨-٨٩، ١١٦- ١١٧ ، صـ١٦٦- ١٦٧ ، ١٦٩ ... الخ.

كانت على العكس من ذلك تماما فى التجارة الخارجية، فكيف كان ذلك ؟ وما هـي الظـروف التى أدت إلى ذلك ؟ هذا ما سوف نرصده فى الصفحات التالية .

## ثالثا - تجـارة المـلح الداخليـة

كثر الملح إذا ببلاد المغرب تواجدا واستخراجا بحيث صار فى متناول الجميع لم يحتكـره أحد [1] ولم يستعمل الأغنياء ملحا غير ملح الفقراء كما كان الحال فى مناطق أخرى فى العـالم قديما وحديثا[2] وإنما كان الملح فى المغرب على موائد الفقراء والأغنياء كمادة أساسية لها أهمية قصوى فى الغذاء وصحة الإنسان كالماء والهواء ، كما أدت كثرته إلى الاستقرار وعـدم قيـام ثورات بسبب نقصه كما لم تتم حروب فى المغرب ولا غيرها من بلدان الإسلام بسبب الملـح كما حد ث في العصور القديمة والوسطى والحديثة[3] بل مع كثرة الملح وسهولة الحصول عليه للجميع صارت هناك تجاره نشطه لهذا المعدن الهام لأسباب متعددة وهي أولا: أن الـشرع لـم يمنع المتاجرة فيه على الإطلاق كما منع احتكاره واستغلاله استغلالا سيئا يؤذى النـاس فلمـا عرض على الفقيه المازرى[4] كيفية استغلال المعادن ومنها الملح اعتبـر أن ملكيـة الملاحـة وطريقة استغلالها مرتبط بحكم الأرض مع إعطاء الأولوية لمصلحة المجموعة وللفقير علـى الغني وهوما يفسر لنا سبب إعطائه للقضاة والعلماء دون ثمن وكذلك تخـصيص حـصة مـن ملحات تونس للمدارس وكذلك للزوايا مجانا[5] أما البرزلى الذى جوز امتلاك الملاحات المحيـاة فأنه اقر بأن الملاحات الطبيعية ملك للمجموعة ولايحق لأحد حتى من المخـزن أي الحكومـة

---

[1] كما كان عند الصينيين القدماء راجع كيرلانسكي : تاريخ الملح فى العالم صـ٥٠، صـ٧٠. وكذلك عنـد الهابسبورج بألمانيا وهنغاريا حديثاً راجع : المصدر السابق صـ١٥٤.

[2] عن هذا الموضوع راجع كيرلا نسكى: المرجع السابق صـ١١٦ وما بعدها وصـ٣٤٨ وما بعدها.

[3] كما كان الحال فى الصين القديمة ومن المدن الأوربية فى العصور الوسطى وفى أمريكا فى العصر الحديث على سبيل المثال راجع كيرلانسكي : المرجع السابق صـ٥٥، صـ٦٩، صـ١٥٧، ١٩٠ وما بعـدها ، ٢٠٥ وما بعدها.

[4] راجع فتاوى البرزلي جـ٤ صـ٤٥٤- ٤٥٥.

[5] المصدر السابق صـ٤٥٦

التدخل لامتلاكها[1] ،وقدأعطت حالات حق التملك الفرصة لقيام هؤلاء المتملكــون بتــصريف المنتج وبيعه في الأسواق بالداخل والخارج .

وثانيا- انه على الرغم من كثرة أماكن تواجد الملح بالمغرب الإسلامي إلا انه لم يكن فى كـل مدينة أو قرية ومن هنا كان اعتماد تلك المدن والقرى على ما فى جاورهــا مــن مــدن بهــا ملاحات وسبخات يستخرج منها الملح فى الاستهلاك والمتاجرة .

ثالثا-لان الملاحات التي ذكرنا في الغالب كانت فــى أطــراف المــدن وبعيــدة عنهــا وفــى الصحراوات لذلك بعدت المسافة مما شق على أغلب الناس الذهاب لاستخراج الملح مــن أجــل الاستعمال أو حتى الادخار فاعتمدوا في ذلك على الجلاب والتجار.

وهذه الحاجة من جانب السكان في المدن والقرى دفع مجموعه من الناس لاهتمام بأمر بــالملح وجلبه وتسويقه داخل المدن وفي الغالب كانوا من الفلاحين والبدو أو أولئك المــشتغلون عنــد بعض الذين أحيوا ملاحات بعينها والقائمين على استخراجه ثم تسويقه لــصالح ذلــك المتقبــل وهؤلاء كانوا يأخذون مقابل عملهم في الملاحة أجرا معلوما عينيا أو نقدا[2] ،وهؤلاء الجــلاب خاصة من الفلاحين أو البدو كانوا يأتون للبيع أو المتاجرة خارج الأسواق وفي الأزقة ورحبات المساجد الجامعة في المدن والذين كانوا أحيانا يبيعون للتجار قبل أن يدخلوا المدينة ليقوم أولئك التجار بتوزيعه داخليا وقد عدت هذه المتاجرات من منكرات الأسواق لما يحدثه أولئك الجــلاب من جلبة وضجيج في المساجد فضلا عن طرح بقايا سلعهم في أفنية المساجد وما إليه مما يؤدى إلى عدم نظافة المكان[3] أو لان هذا البيع عد من باب تلقي الركبان وبيع البأدى للحاضر واللذين نهى عنهما الشرع ورغم ذلك ظلت هذه التجارة مستمرة رغم أن فقهاء المغــرب علــى مــر العصور المتعاقبة نهوا من تلقى الركبان وبيع البأدى للحاضر ما يجلبه من بقول وأحطاب وملح وحلفاء وتين ..... إلخ

---

[1] المصدر السابق صـ٤٢٩.

[2] راجع فتوى المازري في فتاوى البرزلي جـ٤ صـ٤٥٥.

[3] عن هذا الموضوع راجع الونشريسي: المعيار المغرب جـ٨ صـ٤٤٣، جـ١١ صـ٩٧.

كما كان الجلاب يذهبون بهذه السلع إلى رحاب المساجد وزواياها للاتجار بها أو مبادلتها ببضائع أخرى[1] بيد أن ذلك استثناء شاذ فى تجارة الملح أو غيره من السلع المجلوبة وإنما الأساس في التجارة الداخلية كان التعامل فى الأسواق المحلية تلك اليومية أوالأسبوعية التى وجد فيها باعة الملح أو تلك السلع الاستهلاكية الداخل فى صناعتها الملح وخاصة الأسماك ومعالجتها وتعددت الإشارات فى مصادرنا بما يفيد تواجد تجار الملح داخل أسواق المدن وفى دروبها فضلا عن ساحاتها فيذكر صاحب كتاب ذكر مشاهير فاس فى القديم[2] أن البربر احترفوا فى الأندلس بجلب العديد من السلع كان منها الملح كما أنهم احترفوا بيعه كذلك وارتبط اسم الملاح أى بائع الملح باسماء بعض العلماء والفقهاء المغاربة كأبى عبد الرحمن محمد بن عمر الملاح الرواى عن أبى دحمان بن معافى بن حيون المتوفى ٣٠٢هـ /٩١٤م[3] وآخر يدعى أبو القاسم عبد الرحمن بن الحاج الملاح الذى ذكره صاحب المستفاد[4] وكان هذا الرجل من الفضلاء الصالحين سالكا سبيل السلف وكان يبيع الملح بالقرب من منزل سكناه على الأرض دون حانوت وكان رأس ماله فيما يبيع ستة دراهم يؤدى منه كراء الموضع الذى يسكنه أهله وينفق على عياله ويتصدق .

وغير ذلك وجد أماكن خاصة لبيع الملح مثل الفنادق والتى هي عبارة عن عمارات تفتح حجراتها المستعملة كمخازن على ساحات داخلية متاحة للمشترين مثل الفندق الذى كان بتونس والذى يذكر فيه أن من حسنات السلطان الحفصى أبو فارس عبد العزيز (٧٦٨-٧٧٤هـ/١٣٦٦-١٣٧٢م) تركه بعض المجابى لوجه الله وذلك مثل مجبى فندق الملح هذا وكان

---

[1] للمزيد عن هذا الموضوع راجع :محمد فتحه : النوازل الفقهية والمجتمع ، أبحاث فى تاريخ الغرب الإسلامي من القرن ال ٩٥هـ-هـ / ١٢-١٥م) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء سنة١٩٩٩ صـ٢٧٣.

[2] مجهول كتاب ذكر مشاهير أعلام فاس فى القديم ، تحقيق محمد عبد القادر ذمامه ، مجلة البحث العلمى العدد الثالث السنة الأولى جمادى الثانية ١٣٨٤/سبتمبر ١٩٦٤م صـ٥٦- ٥٧.

[3] القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك حـ٥، تحقيق محمد بن شريفة الرباط بدون صـ١٠٣.

[4] أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمى الفاسى : المستفادمن مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد ، القسم الثانى ، تحقيق د/ محمد الشريف ، تطوان سنة ٢٠٠٢م طـ١ صـ٦٤

مقدار مايجبى منه ألف ونصف دينار سنويا[١] ،وفى سوق الرصيف بمدينة فاس وجد فندق الملح المشهور[٢] مما يعنى النشاط المزدهر فى مدن المغرب فى تجاره الملح .

يدل كذلك على ازدهار وتجاره الملح ما فرض من قبالات على هذه السلعة في عهد الفاطميين الذين فرضوا القبالات على الملح وهوما دفع بعض الورعين إلى تجنب الشراء من أسواق الملح مثل الفقيه أبى الفضل العباس بن عيسى الممسى فلما جعلت القبالة على الملح فى عهدهم أرسل من يشترى له ملحا من أحد الأفران كان قد نقض حديثا[٣].

وكذلك ما فرض من قبالات فى العهد الحفصى كما يفهم من الحديث عن قبالة الملاحات الواردة فى النوازل وكذلك كما يستنتج من الخبر الوارد بشأن أبى فارس عبد العزيز الحفصى مع فندق الملح كما مر سلفا.

ومما يدل على نشاط تجار الملح ملاحة فاس التى مدت المدينة بما تحتاجه حيث كثر جلابه من هذه الملاحة ومع كثرته كان يباع الحمل منه بدرهم فلا يجد من يشتريه[٤]. وذلك فى سنوات الرخاء مثل ٦٥٨هـ / ١٢٥٩ م[٥] ولكن فى وقت الأزمات السياسية يرتفع سعر الملح فيباع رغم ذلك لحاجه الناس إليه فيذكر انه لما حوصر أهل القيروان من جانب الخوارج فى عهد عمر بن حفص المهلبي هزار مرد (١٥٠-١٥٤هـ /٧٦٧-٧٧٠م) ، انتهت عندهم أوقية الملح بدرهم[٦] . وأثناء اضطراب الأجوال فى فاس خلال القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي ، بدأ جلب التجار من ملاحة فاس يقل ولذلك ارتفع سعر الملح فى المدينة فبيعت العشرة أصوع بدرهم[٧] ولما حاضر السلطان المريني أبو يعقوب يوسف (٦٨٥-٧٢٦هـ/١٢٨٦-

---

[١] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة تونس سنة ١٩٦٦ صـ١١٧

[٢] الكتانى : سلوة الأنفاس جـ٣ صـ٤٥٥

[٣] القاضى عياض: المصدر السابق صـ٣٠٠

[٤] ابن أبي زرع : الأنيس المطرب صـ٤٤

[٥] والتى فتح الله فيها على أهل المغرب الخيرات ورأى الناس فيها الدعة والخير ما لا يوصف ولا يقوم أحد بشكره فبيع الدقيق فيها بربع درهم والقمح بستة دراهم والملح حمل بدرهم راجع ابن أبي زرع الفاسى : الذخيرة فى تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة ، الرباط سنة ١٩٧٢م صـ٩٥

[٦] الزركش:المصدر السابق ص ٨٣، ابن عذاري :البيان جـ١ ص٧٦.

[٧] ابن أبي زرع: المصدر السابق صـ ١١٧، عز الدين موسى :النشاط الإقتصادي صـ ١٤٩.

١٣٠٦) تلمسان الزيانية غلت الأسعار والأقوات والحبوب وسائر المرافق بما تجاوز حدود العوائد فوصلت أوقية الملح بعشرة دراهم.[1]

وأخيراً مما يدل على تواجد تجارة الملح في مدن المغرب ونشاطها في الأسواق احتساب بعض الفقهاء على باعة الملح وذلك بوجوب أمرهم تغطيته حتى لا تدب عليه الحشرات[2].

وقد استمر هذا النشاط حتى أواخر العصور الوسطى بدليل ما يذكره الزياتي[3] من أن الملح في المغرب الأوسط نادراً ولكنه كان كافياً للحاجات المحلية ،وهذا يدل أيضا على وجود النشاط التجاري الداخلي في الملح واستمراره دون انقطاع.

ولم تقتصر تجارة الملح الداخلية على المدن وأسواقها وتغذيتها من خلال الملاحات القريبة منها ولكن نشط تجار الملح في العمل على نقل الملح والاتجار به بين مدن المغرب المختلفة والدلائل على ذلك متعددة منها ما يذكر عن ملاحة طرابلس التي يحمل منها إلى القيروان[4] وملاحة مدينة تونس الكبيرة التي كان يحمل منها الملح لأهل المدينة وكذلك لما جاورها من مدن [5]، ومن ملاحة المنستير يحمل الملح في المراكب إلى عدة مواضع ببلاد المغرب[6]،وكذلك من ملاحة مرسى المنستير المعروفة باسم ملاحة لمطة التي لا يفوق ملحها ملح آخر كان يحمل إلى ما جاورها من بلاد[7]. ومن ملح بسكرة كان يحمل إلى المهدية عاصمة الفاطميين[8].

ولم تقتصر المتاجرة بالملح على الحواضر ومدن العمران في الشمال بل أن هذا النشاط كان كبيراً كذلك في مدن الصحراء حيث تمركزت العديد من المدن المنتجة لهذا المعدن فمن معدن الملح في تغاري كان يتجهز به إلى مدينة سجلماسة[9]، ومن ملح أوليل عند بني جدالة كان

---

[1] ابن خلدون : العبر ، م ٧ صـ ١١٣ ، الناصري : الاستقصا جـ١ صـ ٨٦.

[2] ابن عبدون: رسالته في القضاء والحسبة ضمن ثلاث رسائل في الحسبة والمحتسب ، نشرها ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة سنة ١٩٥٥ صـ٥٥.

[3] وصف أفريقيا صـ ٦٥٧ .

[4] عز الدين موسى : المرجع السابق صـ ٢٤٥.

[5] البكري : المغرب صـ٤٠، ياقوت : معجم البلدان حـ صـ ٦٦.

[6] البكري : المصدر السابق صـ٣٦، ياقوت : المصدر السابق حـ٥صـ٢١٠.

[7] البكري : المصدر السابق صـ٨٤.

[8] البكري : المصدر السابق صـ٥٢ ، الحميري :الروض المعطار ص١٤٤.

[9] البكري : المصدر السابق صـ١٧١.

الرفاق يحملونه إلى ما جاورها[1] ويدمغ كل هذه الأخبار بالصدق ما عرضه قـوم مـن أهـل الصحراء على أحد الفقهاء بشأن السلم في الملح[2] حيث أنهم قوم يستخرجون معدن الملح مـن تحت الأرض ويحملونه على الجمال كل جمل لوحين ويسمونه حمل ملح وهومختلف فى النوع والكبر والصغر والثمن كذلك باختلاف أنواعها وكبرها وصغرها ، والمحمودة عندهم السالمة من الكسر ، والكسور الكثيرة تعيب هذه الأحمال وأوضحوا للفقيه أن معظم تجـاراتهم فـى الملـح وكانوا يحملونه من بلد إلى بلد فى جميع بلادهم لاغنى لجميع بلادهم عنها ومن لم يسافر مـنهم كان يسلم ما يخصه من أحمال الملح أو عشرة أحمال إلى غيره ويكتب بذلك عقد بينـه وبـين المستلم للتجارة بعدد الأحمال ونوعها ومقدار هذه الأحمال بالطول أو بالوزن والوصـف لهـذا الألواح المحملة من حيث الرقة والغلظ وعلى ذلك جرت عوائدهم منذ عمرت بلادهم وإن كـان فقهاؤهم قد اختلفوا فى السلم وزناً أو قياساً أو كيلاً . كل ذلك لضرورة الملح عند من لا ينـتج عندهم فليس هناك سبيل للحصول عليه إلا عن طريق هؤلاء التجار الذين يأتون به من مراكـز إنتاجه ليبيعوه لهم من أجل الاستهلاك أو المتاجرة فيه أيضاً مع غيرهم.

## رابعا - تجـــارة المـــلـــح الخارجـــية

اهتم أهل المغرب بالملح واستخراجه إهتماماً كبيراً وكان وراء ذلك دوافع متعـددة كأهميـة الملح فى حياتهم الخاصة وكذلك كمصدر للرزق في تجارتهم الداخلية ولكن الدافع الأكبر لاهتمام المغاربة باستخراج الملح وإعداده هو التجارة الخارجية وذلك لما لمسوه من احتياج من حـولهم فى البلدان المتوسطية وبالذات الأوربية وكذلك من فى جنوبهم فى أفريقيا من حاجة ماسة لهـذه السلعة وخاصة من الشعوب السودانية يقول ابن خلدون[3]" وكذلك نقل السلع من البلـد البعيـد المسافة أو فى شدة الخطر فى الطرقات يكون أكثر فائدة للتجارة وأعظم أرباحاً وأكفل بحوالـة الأسواق ، لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدة الغرر فى طريقهـا فيقل حاملوها ويعز وجودها وإذا قلت وعزت غلت أثمانها " فما بالك بمجتمعات أصلاً فقيرة إلى سلعة لم تنتج فى بلدانها ولذلك أيقن المغاربة بأهمية الملح وخاصة إنهم احتاجوا فى مقابلها معدن

---

[1] نفسه.

[2] الونشريسي : المعيار جـ ٥ صـ١٣٦-١٣٧.

[3] مقدمة ابن خلدون جـ٢ ، تحقيق على عبد الواحد وافي ، سلسلة التراث – مكتبة الأسرة القـاهرة سـنة ٢٠٠٥صـ٨٥٢.

نفيس، الضرورة إليه ملحة ألا وهوالذهب ، ليس فى بلادهم فقط بل احتاجته بقيه بلدان العالم الإسلامي الأخرى من مشرق وأندلس علاوه ذلك دول أوربا ومدنها التجارية لسك العملة ، ومن ثم نجد المغاربة يحددون دورهم منذ البداية في تجارة الملح الخارجية وهوتصديره إلى جاورهم من أمم وبالذات السودانيين وجلب معدن الذهب لتدويره فى عالم الإسلام وكذلك أوربا أي أنهم لعبوا دور المصدر والوسيط فى مبادلة هذين المعدنيين النفيسين ومن وراء ذلك جنوا الأرباح الوفيرة حيث "أن سلع السودان قليلة لدينا– أى المغاربة – فتختص بالغلاء وكذلك سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلهم ويسرع إليهم الغنى والثروة من أجل ذلك"[١] .

هذا مع الاستفادة من وراء هذه التجارة بتزويد بلادهم بما تحتاجه من مواد وسلع تجارية استهلاكية يحتاجها المغرب الإسلامي متوافرة عند من لعبوا بينهم دور الوساطة التجارية من الأوربيين والمسلمين فى بلدان العالم الإسلامي الأخرى والسودانيين وهذا ما أدركه كذلك تجار العبور من المسلمين المشارقة أوالأوربيين ، فجاءوا إلى بلاد المغرب ببضائع استبدلوا بها بضائع المغرب وبالذات من الملح الذي كان يحملونه أيضاً إلى بلاد السودان من أجل الذهب أيضاً. ومع ذلك استفاد السوق المغربي وراجت كل تجارته وبالذات من الملح المستخرج من الملاحات المغربية فى السهل والصحراء على حد سواء.

وهوما يعني فى النهاية أن الملح كان سلعة استراتيجية وجب الاهتمام بها ليس على المستوى المحلي من أجل الاستقرار الداخلي بل على مستوى العلاقات الخارجية واستخدامه كسلعة مؤثرة فى الميزان التجاري بين المغرب وجيرانه من الأوربيين والسودانيين دون المشرق الإسلامي وبلاد الأندلس لتوافر الملح بهما، ونتيجة لهذا نشط المغاربة فى تجارة الملح الخارجية على محوريين إثنين الأول : تجارة الملح بين المغرب وأوربا والثاني: تجارة الملح بين المغرب والسودان.

### ١- تجارة الملح بين المغرب وأوربا :-

لاشك أن الفتح الإسلامي للمغرب والتوسع غرباً حتى وصل المسلمون إلى بلاد الأندلس قد أحدث حالة من العداوة والحرب المستمرة بين المسلمين والأوربيين وذلك لأسباب سياسية وأخرى دينية ، وهذه الحالة استمرت حتى نهاية العصور الوسطى فى علاقة تميزت بالمد والجزر، وإن كانت قوى المسلمين البحرية قد علت فى النصف الأول من العصور الوسطى فإن

---

(١) ابن خلدون: المصدر السابق

الانقسام الداخلي فى عالم الإسلام والضعف الطارئ على دولة وأعمالها الحربية المنفـردة أدت إلى ضعف البحرية الإسلامية وانقلاب ميزان القوى البحري لصالح البحرية الأوربية وذلك منذ بداية القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي [1] ،مما يقطع باستمرار هذه الحالـة فـى العلاقة بين الطرفين ولكن إذا نظرنا إلى الصورة العامة بهذا الشكل لاشك أننا سنجزم بأنـه لا تعايش سلمي بين الجبهتين وهو ما لا يجب أن يكون إذ لم يكن الأمر كذلك ولم تكن الحرب فقط هي الأس الوحيد فى العلاقة بين الطرفين فالظروف كانت تتيح للجانبين فرص الالتقـاء علـى

---

[1] راجع ابن خلدون :مقدمة ابن خلدون،جـ٢ تحقيق علي عبد الواحـد وافـي ،مكتبـة الأسـرة ،سلسلة التراث،القاهرة ٢٠٠٥ صـ٦٥٧ وهوما رصده بالتفصيل من المحدثين كل من ارشيبالد. لويس راجع كتابه : القوي البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠- ١١٠٠م) . ترجمة أحمد محمد عيسى ، مرجعه محمد شفيق غربال القاهرة بدون، بداية من الفصل الخامس ، سعد زغلول عبد الحميد :تاريخ المغرب العربي ، حـ٣ ، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين ، منشأة المعارف الإسكندرية سـنة ١٩٩٠ صـ٤٦٦، د/ صبحي لبيب : الفندق، ظاهرة سياسية ، اقتصادية ، قانونية، ضمن ندوة مصر وعـالم البحـر المتوسط ، إعداد وتقديم رؤوف عباس، دار الفكر للدراسات القاهرة سنة ١٩٨٦ط ، صـ ٢٩٠ ، لسيد عبد العزيز سالم: أحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر المتوسـط ، حـ٢، البحريـة الإسلامية فى المغرب والأندلس ، الإسكندرية ١٩٩٣ صـ٢٣٧ ، محمد الأمين البزاز : حول نقـل البحريـة المسيحية لحجاج الغرب الإسلامى ، تأملات في رحلة ابن جبير ضمن ندوة الغرب الإسلامى والغرب المسيحى خلال القرون الوسطى ، منشورات كلية الإداب والعلوم الإنسانية ، الرباط سنة ١٩٧٠م صـ٨٥ ومـا بعـدها هذا وقد صور الشاعر الصقلى أبو العرب مصعب القرشى الزيرى لما حاول المعتمد بن عباد اسـتقدامه مـن صقلية كتب إليه معتذرا

لا تعجبن لرأسى كيـف شاب أسى — وأعجب لاسود عينى كيف لم يشب

البحر للروم لا يجرى السـفين به — إلا على الغرر والبر للعـــــرب

راجع ميخائيل أمارى .: المكتبة العربية الصقلية نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ، دار صادر بيروت ليبسك ١٨٥٧م صـ٦٢٨-٦٢٩

**Dofourq:.Commerce du Maghreb Medieval avec l'Europe Chretienne et Merine Musulmane: Donnees conues et problemes en suspens, en L'Ibere Chretienne-et-le Maghreb X11e-XVe Siecles,. Variorum Hampshire, Great Britain,S.D P162- 163, Nehemia Levtzion:The Western Maghrib and Suddan, in the Cambridge history of Africa,Volume 3 from 1050c to 1600c, Edited by Orland Oliver,Cambridge Univeraity Press, Cambridge 1977,pp 346-7.**

المصالح من خلال الدبلوماسية والمهادنات والمعاهدات السياسية والتجارية بين الطرفين[1] ، ومن هما دونت الأخبارعن الوفود والسفارات الحاملة للهدايا بل والرسائل التي تفيض بالود بين الجانبين ، فتم فى أحايين كثيرة مبادلة الأسرى وإنهاء حالة الحرب أو توقيفها بهدنة أو معاهدة أو حتى من خلال العلاقات الشخصية الودية بين حاكمين من الطرفين، ومن هنا أيضاً لم تتقطع العلاقات الودية وبالذات التجارية بينهما وندلل على ذلك بسبب سوء العلاقة بين آخر ولاة بني العباس فى المغرب وهو محمد بن مقاتل العكي (١٨٠-١٨٤هـ /٧٩٦-٨٠٠م) وفقيه أفريقية البهلول بن راشد الزعينى المتوفى سنة١٨٣هـ/٧٩٩م م هو أن العكي كان يهادن ملوك الروم أي البيزنطيين بل ويلاطفهم ومن جانبهم كانوا يكافئونه وعندما وجه أحدهم إليه رسالة يطلب منه السلاح والحديد والنحاس وكاد أن يرسلها له لولا معارضة البهلول فى ذلك ووعظة بأنه لا يجوز له ذلك [2] ، وهوموقف من الفقية حفاظاً على مصلحة المسلمين ومقابلاً أيضاً لموقف اتخذته الكنيسة ورجالها فى تحريم حمل بعض السلع إلى العالم الإسلامي عامة وهي كل المواد التي تستخدم فى صنع الأسلحة الحربية أو تفيد المسلمين فى الحروب بصفة عامة ، الواقع أن هذه التوجيهات الدينية على ما تثبته الأحداث ذهبت أدراج الرياح وذلك أمام المصالح السياسية

---

[1] ومن يراجع الرسائل والوثائق الرسمية المتبادلة بين الجمهوريات الإيطالية كبيزا وجنوة والبندقية وبين حكام المسلمين من الموحدين وورثتهم من بني حفص وبني زيان وبني مرين على سبيل المثال، لا يحس مطلقاً بحالة الحرب بين الفريقين بل من خلالها استطاع الحكام القضاء على مشاكل متعددة عالقة بين الطرفين بل كانت مستمرة رغم مناقشتها طويلاً مثل موضوع القرصنة وما يترتب عليها من خسارة يحاول كل الطرفين تلاشيها بقدر الإمكان أو ايجاد حلول مرضية للطرفين إن كان هناك فرصة لذلك بحكم السلطة وخاصة من جانب حكام المسلمين الذين قصدوا دائماً فى هذا الصدد من جانب ولاة الأمر في المدن الإيطالية أوحتى من كبار تجارها بل وجدت رسائل متبادلة بين كبار التجار عند كلا الطرفين مما يعطي الإحساس بأنهم فى واد والسياسة والحرب في واد آخر . راجع كل ذلك عند أحمد عزاوي : رسائل موحدية ، مجموعة جديدة، الجزء الأول ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة ، سلسلة نصوص ووثائق رقم ٢.

وكذلك Michel Amari: Dopulmi Arabi del R.Archivio Florantino, Testo originale con la Traduztione eillustreztion,Firenze,1863

[2] المالكى : رياض النفوس حـ١ صـ٢١٢ عياض :ترتيب المدارك ،حـ٣.تحقيق عبد القادر الصحراوى سنة ١٩٦٨ صـ٩٩

والتجارية بين الطرفين وينقل الطالبى[1] عن J . Gay قوله فى هذا الصدد "تتجذب دائماً الدول البحري مثل غايت ونابولي وأمالفي بقوة لا تقاوم نحو التحالف مع العرب ولا يهمها أن تسطو جماعات عربية على السهول اللمباردية فالمهم عندها هوالمحافظة على الساحل وضمان مصالحها التجارية وبالمتاجرة مع العرب حصلت على نصيبها من الغنيمة وتنامى ثراؤها وقد كانت سياسة نابولي وأمالفي سياسة تجارية قبل كل شيء" وتتساءل هونكة[2] مستنكرة ربط السياسة والدين بالنشاط التجاري من جانب البابوية قائلة " ألم تساعد مدينة نابولي العرب حين توجهوا لفتح صقلية؟وهل أحجمت مدينة بيزا عن التحالف مع عرب الأندلس ضد جنوة ؟ ألم تنضم سفن أمالفي إلى جانب الكفار في هجومهم الكاسح على الشواطئ الرومانية دون أن يمنعهم عن ذلك وعيد البابا لهم وتهديده بحرمانهم النهائي من الكنيسة " في إشارة واضحة إلى استمرار النشاط التجاري وضرب التجار الأوربيين وخاصة تجار المدن الإيطالية عرض الحائط بقرارات البابوية في هذا الشأن مقررة ذلك في مكان آخر[3] فتقول " لكن التدابير البابوية بقيت غير نافذة المفعول باعتبارأن كثيرا من التجار المسيحيين ظلوا على استعدادهم لقيادة السفن العربية " ولذا ارتبطت هذه المدن بعلاقات تجارية نشطة مع سواحل المغرب وخاصة تونس[4] ،ومن المفارقات فى هذا الأمر أن البابا يوحنا الثامن(٨٧٢-٨٨٢م) الذى كان رمز الشدة والصلابة فى هذا السبيل كان يحرر براءته على أوراق من البردي المستورد من عالم الإسلام[5].

ومن ناحية أخرى لو نظرنا إلى الحرب وما يصاحبها من عمليات قرصنة أوربية أوالجهاد الإسلامي البحري ضد من لا عهد لهم ولا هدنة من النصارى سنجد أنه يثبت لدينا وجود نشاط

---

(١) الدولة الأغلبية صـ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب"أثر الحضارة العربية على أوروبا ، نقله إلى العربية فاروق بيضون وكمال دسوقي راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت١٩٦٩ ط٢ صـ٣١.

(٣)المرجع السابق صـ٣٢

(٤) راجع .د/ صبحي لبيب :الفندق ظاهرة سياسية، اقتصادية وقانونية ضمن ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ،إعداد وتقديم رؤوف عباس ، دار الفكر للدراسات القاهرة سنة١٩٨٦ ط١ صـ٢٨٨.

(٥) الطالبي : المرجع السابق صـ٢٠٤.

تجاري بحري وتجارة بينية بين الطرفين إذ لا وجود للقرصنة أو الجهاد البحري بدون وجـــود مراكب سائرة بين الطرفين فى المتوسط [1].

ومن ناحية ثالثة نجد أن الحروب قد أفرزت موقفاً كان فى غاية الأهمية بالنسبة للتجارة بين الجانبين ،فمع تنامى قوة المسلمين البحرية حققت دول مثل الأغالبة والفاطميين انتصارات رائعة وصارت لها مناطق نفوذ متقدمة فى صقلية وإيطاليا مما ساعد على تهيئة الجو الملائم للتجـــارة بين عالم الإسلام وأوربا، ولما تحول الأمر لصالح الأوربيين وانقلبت موازين القـــوى البحريـــة وصار للنورمان مناطق نفوذ سياسي فى المغرب باحتلالهم موانئ المغرب الأدنى البحرية مـــن طرابلس إلى بونة [2] ثم علو كعب الجمهوريات الإيطالية وعلى رأسها البندقيـــة [3] وبيـــزا [1]

---

[1] وربما كانت هذه الحروب للقضاء على تلك الظاهرة فى محاولة للمحافظة على سير السفن التجاريـــة فـــى البحر ومبادلة السلع بين الطرفين فيذكر ارشيبالد لويس( المرجع السابق صـــ٣٧١-٣٧٢) إنه اجتمعت سفن الأسطول البيزي الجنوى مع قوة مملكة البابا وأمالفي لتهاجم مدينة المهدية بأفريقية سنة ١٠٨٧م/٤٧٩هـــ وقد استطاعت أن تفرض على الأمير الزيري عدم التعرض للسفن الإيطالية بالمياه الأفريقية، كما أنه من خلال المعاهدات التجارية المعقودة بين المدن التجارية وحكام المغرب يتأكد سير السفن رغم وجود عمليات القرصنة فى البحر المتوسط دون توقف وكل ما هنالك أن الجانبين كانا يعملان على إيقاف مثل هذه الأعمـــال ويؤكـــد عليها فى شروط المعاهدات بينهما راجع فى هذا الصدد أحمد عزاوى : رسائل موحدية القسم الأول صـــ١٥٨ ، صـــ١٧٧ ، ٢١٦ ..الخ Amari : Op.Cit p.p , 26-27 , 30, 96 , 107 , 131 , 147 , 163 – 164

[2] راجع ابن عذاري: البيان المغرب، حـــ١صـــ٣١٣ وما بعدها ابن خلدون : المقدمة، حـــ٢ تحقيـــق علـــى عبد الواحد وافي ، صـــ٦٥٧ راجع كذلك السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فـــى العـــصر الإســـلامي ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية بدون صـــ٥٨٨ وما بعدها.

[3] أوفينسيا مدينة إيطالية نشأت على كبرى الجزر التى كونت سلسلة قريبة من الجزيرة وهى ريـــالتو علـــى رأس الإدرياتى وقد ساعدها هذا الموقع المتوسط بين الشرق والغرب وكونها ميناء علـــى البحـــر المتوســـط بالاضافة إلى نشاط أهلها على كافة المستويات الإقتصادية أن بنت مجدها التجارى وكونـــت أســـطولا كبيـــرا ساعدها فى السيطرة على تجارة البحر المتوسط خصوصا بعد أن اعلنت استقلالها فى القـــرن الثالـــث عـــشر الميلادي لتكون جمهورية سياسية وتجارية أطلق عليها القلقشندى مملكة البنادقة واعتبرها من ممالك الفرنجة الكبار ، للمزيد عن المدينة ونشأتها وتكوينها التجارى والسياسى راجع القلقشندى : صـــبح الأعـــشى حـــ٥ صـــ٤٠٤ -٤٠٥ ، شارل ديل: البندقية جمهورية ارستقراطية ، تعريب د/أحمد عزت عبد الكريم ، وتوفيـــق اسكندر ، دار المعارف مصر سنة ١٩٤٨ صـــ٧ وما بعدها ،زيغريد هونكة: شمس العرب صـــ٣٠ ومابعدها ، د/ جوزيف نسيم: دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوســـطى ، مؤســـسة شـــباب

وجنوة [٢] كقوى بحرية تجارية لها السيادة التجارية فى البحر المتوسط حتى مع تنامى قوى إسلامية حققت تقدماً ملحوظاً فى كسر هذه السيادة كالمرابطين والموحدين كل ذلك كان لصالح العملية التجارية، إذ تمخضت هذه الأحوال عن النشاط التجاري المستعر للمدن الإيطالية التي نجحت بطريقة أو بأخرى فى الاستفادة العظمى من بلاد المغرب تجارياً وأفادوها أيضاً فى ظل سيطرة المرابطين والموحدين من خلال المعاهدات التجارية المعقودة بين الطرفين [٣] والتي

---

الجامعة ، الإسكندرية سنة ١٩٨٨م صـ ٧٠ -٧٢ ، ناجلا محمد عبد النبى : مصر والبندقية (العلاقات السياسية والإقتصادية فى عصر المماليك) ، عين للدراسات الإنسانية والإجتماعية، القاهرة سنة ٢٠٠١م ط١ صـ ٣١ وما بعدها .

[١] مدينة إيطالية ومرسى جيد غربى روما ولذلك تبعت بابا روما سياسيا ولكن أهلها وهم البيازنة نشطوا فى التجارة العالمية خلال البحر المتوسط حتى صاروا إحدى القوى التجارية والسياسية أيضا تنافس أخواتها الإيطاليات ساعدها على ذلك موقعها كميناء على البحر المتوسط لذا صارت همزة وصل بين الشرق والغرب وللمزيد عن هذه المدينة راجع القلقشندى : المصدر السابق صـ٤١١ ، جوزيف نسيم : المرجع السابق صـ٨٧ وما بعدها.

[٢] مدينة إيطالية تقع على ساحل ليجوريا القديم على البحر التيرانى أشار اليها القلقشندى بأنها مدينة كبيرة للغاية وبها جنات وأودية ومرسى جيد ومأمون وميناؤها عليه سور وفيها دور كبيرة كل دار بمنزلة قلعة وبها عيون مياه ولها توابع كثيرة أى أنها كانت غنية بمواردها الداخلية والطبيعية ورغم تعرضها لكثير من المحن من جيرانها الأوربيين والمدن الإيطالية ومن المسلمين كذلك إلا أن ذلك إكسبها فى النهاية النهوض البحرى حتى صارت من القوى التجارية الكبيرة وصارت تعرف بلقب سيدة البحار نتيجة لنشاطها البحرى التجارى الذى بدا جلياً منذ أوائل القرن الحادي عشر وكافحت حتى نالت استقلالها فى القرن الثالث عشر وصارت قوى سياسية وتجارية نافست مثيلاتها الإيطاليات حققت لنفسها من خلال ذلك مجداً سياسيا وتجاريا كبيزا والبندقية راجع القلقشندى : المصدر السابق صـ٤٠٥ - ٤٠٦ ، جوزيف نسيم : المرجع السابق صـ٨٦ وما بعدها ، مصطفى حسن محمد الكنانى : العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى ١٠٩٥-١١٧١م /٤٨٨-٥٦٧هـ ،أضواء جديدة على الحركة الصليبية ، الإسكندرية ١٩٨١م صـ ٧٧ وما بعدها والمراجع التى استعان بها .

[٣] إذ لاشك أن تلك المعاهدات قد أتاحت لهؤلاء النصارى حرية التجارة فى موانئ المغرب المختلفة فى أمن وأمان وكذلك استغلال الكثير من مصادر الثروة فى بلاد المغرب وبالذات من المعادن التي تحتاج إليها أوربا كالرصاص والملح مثلاً فجنوا من وراء ذلك الثروات الطائلة ولكنهم من ناحية أخرى أفادوا بلاد المغرب فى الرواج التجاري الحاصل نتيجة لجلب السلع الأوربية إليها وكذلك ما يتبع الحركة التجارية من تشغيل ونشاط للأيدي العاملة ، زد على ذلك ما كان يؤخذ من هؤلاء النصارى من عشور التجارة أفاد الخزانة المغربية كثيراً

تحكم فى شروطها كثيراً المرابطون والموحدون كما دلتنا على ذلك وثائق هذه المعاهدات لتكون فى صالح النشاط التجاري فى النهاية بين المغرب وأوربا مشروطاً بعدم الإضرار بمصالح المسلمين[1] ولكن هذا الدور الرائد للمرابطين والموحدين انتهى بسقوط الدولة الأخيرة لتتقاسم هذه القوى البحرية التجارية الإيطالية شروط المعاهدات التجارية المعقودة بينهم وبين ورثة الموحدين فى المغرب من بني حفص وبني زيان وبني مرين بحيث صارت المعاهدات التي عقدت تلزم الطرفين بمراعاة كل منها لمصلحة الآخر بل كانت فى صالح المدن الإيطالية أكثر من المسلمين[2] وهوما أفضى إلى توسع هذه القوى البحرية التجارية الإيطالية فى تجارتها مع

---

إذ وصلت هذه العشور إلى مبالغ كبيرة جداً كانت تدخل إلى خزينة الدولة ، ونظرة فى المعاهدات التي أوردها ميشيل أماري ودي ماس لا ترى وأحمد العزاوي تؤكد هذا.

(1) إذ فضل الموحدون على سبيل المثال أهل جنوة على غيرهم فى التعامل مع المدن المغربية إذ كانوا لا يتعدون على مراكب المسلمين وإذا حدث أن مارس أحدهم القرصنة قاموا هم بعقابه دون مطالبة المسلمين لهم بذلك راجع ذلك فى المعاهدات والوثائق أرقام ٣ ، ٤ ، ١٠ ، ١٣ على التوالى عند Amari : Diplumi Arabe. pp-8-9, 33 -35, 38-42 , 45-47) ete

كما قام الموحدون بفرض شروط على البيزيين لكثرة نقضهم المعاهدات وتعدي تجارهم وأهل بلدهم على السفن الإسلامية ولكنهم كانوا فى الغالب يطلبون مد جسور الثقة ولذلك سمح لهم الموحدين بممارسة التجارة على نطاق يحددونه بأنفسهم كما منحوهم امتيازات أقل من الجنوية وذلك حسبما تقتضيه مصلحة المسلمين العامة ففي سنة٥٧٨ هـ/١١٨٢م وبعد أن أرسل أهل بيشة إلى خليفة الموحدين أبو يعقوب يوسف (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م)يعظمون مقامة ويلتزمون أمره طالبين الإفراج عن بعض من أخذهم والى طرابلس وأموالهم Amari,Op.Cit pp.9 ولا شك أن ذلك كان رداً على شيء فعله البيازنة خطأ بدليل رد الخليفة عليهم ,(Amari : Op.Cite 1722 (II) بأنه ملتزم بعهده معهم وهم الذين خالفوا ما أمر به الخليفة سابقاً من أنه ألزمهم بأن لا يرد إلى موانئ بلاد المغرب إلا من يتاجر فى خمسمائة دينار".ولكن البيازنة عادوا إلى قرصنتهم فى ذات الوقت سارع تجارهم للاتصال بالخليفة المنصور الموحدى (٥٨٠هـ-٥٩٥هـ/١١٨٤م-١١٩٨م) الذي استجاب لهم سنة٥٨٢هـ/١١٨٦م ولكن بشروط قاسية مؤكداً على منع القرصنة نهائياً وعدم التعدي على سفن المسلمين وألا يتاجر أهل بيزا ولا ينزلون على الساحل إلا فى أربع مدن فقط وهي سبتة ووهران وبجاية وتونس ولم يبح لهم النزول بسواها إلا لضرورة ولكن لا يبيعوا ولا يشتروا ولا يكلموا أحداً من أهل مكان النزول ،ولكن لهم التزود بالطعام وإصلاح ما أفسد من مراكبهم وأكد على الالتزام والتشديد فيه قائلاً "ومتى تعدى منهم أحد هذا الحد المحدود فدمه وماله مباحان"

(2) إذا أسعفهم الحفصيون مثلاً بتلبية مطالبهم فى تأمين أنفسهم وتجارتهم بل وأماكن إقامتهم الخاصة المتوافرة الخدمات وحرية التجارة فى كل المدن الحفصية الساحلية دون استثناء وهذا ما حدث مع البيازنة

بلاد المغرب مع دخول قوى أوربيـــة جديـــدة طموحـــة سياسـياً وتجاريـاً مثـل القطــلان[1] والبرتغاليين[2] على الساحة المغربية وجميعها لعبت دور الوسيط التجاري الأقوى بين المغـرب وأوربا وبين الغرب عموما والشرق الإسلامي بل وبين مدن المغرب وبعضها البعض [3]، ولهذا

---

راجع الوثائق أرقام ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٤، و٤١ عنـد Amari: Op.Cit PP 86-97-98-111,115-118, 123-140 , 154-164 . وانظر إلى البنادقة واحتكارهم لمواد معينة واستغلالهم لمصادرها فى بلاد المغـرب الحفصى وبالذات من المعادن كالرصاص والملح وحصولهم على إعفاءات كثيرة مـن الـضرائب وتخفـيض العشور فى العديد من السلع ومنها الرصاص وفى بعض الأحيان يصرحون إنهم لا يريـدون الإتجـار إلا فـى سلعتين هي القمح والملح فقط فاستجيب لهم عن كل هذا راجع برنشفيك: تاريخ أفريقية جـ٢صـ٢٧٤-٢٧٥.

[1] إذ دخل القطلان فى المجال التجاري المغربي بثقلهم خلال القرن الثالث عشر الميلادي / الـسابع الهجـري حتى قال Levtzion أن العلاقات التي بناها التجار الإيطاليون مع المغرب خلال القرن الثاني عشر اسـتبدلت بتلك التي أقامها القطلان فى القرن الثالث عشر إذ وردت سفنهم إلى المواني المغربية وازداد نشاطها فى عهد حايمي الأول Jami I الذي استولى على ميورقة فاتخذوها محطة وسيطة لبلاد المغـرب وتلمـسان خاصـة وموانيها مع البحر وقد ازدادت هذه العلاقات التجارية فى عهد بطرس الثالث Peter III بـن خـايمي الأول والذي شجع اليهود والمدجنين المسلمين والمسيحيين من رعاياه فى أراغون على التجارة مع بـلاد المغـرب راجع Op.Cit p 366

[2] إذا كانت الدوافع الإقتصادية من أجل اقتحام هذا المجال بالنسبة للبرتغال لا تقل عن الدوافع الصليبية وذلك تلبية لرغبة البورجوازية الصاعدة فيها وكذلك رغبة فى الحصول على ذهب السودان عن طريق المغرب فضلاً عن ثروات المغرب ذاته ومن ناحية أخرى محاولة من جانب البرتغاليين كسر احتكار المدن التجارية الإيطالية لتجارة البحر المتوسط الغربية بالذات ، بل كانوا أول من سعى هم والأسبان فى إيجاد مراكز لهم على الساحل المغربي ليس من أجل مزاولة التجارة ، بل من أجل الاحتلال والسيطرة السياسية فى سـبيل الوصـول إلـى أهدافهم السياسية والإقتصادية كاملة ، وقد تحقق لهم ذلك فى أوائل القرن التاسع الهجري / الخـامس عـشر الميلادي فقد احتلت البرتغال من سواحل المغرب سبتة وطنجة والقصر الصغير والعرائش وأصيلة وتحكمت فى منطقة المضيق راجع المزيد عن هذا الموضوع :- أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث فى تاريخ المغـرب والأندلس جـ٢ صـ٢٦١ وما بعدها الدار العربية للكتاب سنة ١٩٩٧م ، سالم والعبادي : تـاريخ البحريـة الإسلامية فى المغرب والأندلس صـ٣٥٦ وما بعدها.

[3] حيث استعمل الحكام المسلمين وكذلك التجار منهم سفن الأساطيل المسيحية سواء كانت الإيطالية وبالـذات الجنوية والبندقية أو تلك الأسبانية وبالذات القطلانية فى حمل بضائعهم من مكان إلى أخر فى المغرب وخارجه وأكبر دليل على ذلك تنقل التاجر الرحالة عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري أثناء رحلتـه إلـى بـلاد

نلمس تحكمها الكبير فى تجارة المغرب الخارجية استيراداً وتصديراً[1] وذلك فى ظـل إحجـام غالبية التجار المسلمين عن السفر إلى أوربا والإقامة فى مدنها الساحلية كما فعلوا سـابقاً ومـع غيرها من بدان العالم شرقاً وغرباً [2] أو كما فعل ممثلو هذه القوى التجارية فى بلاد المغـرب

---

المغرب والتنقل بين مدنها والأندلس فى سفن أوربية فكان سفره من الإسكندرية سنة٨٦٦هـ/١٤٦٢م علـى إحدى سفن البندقية وصل بها إلى تونس وانتقل من تونس إلى طرابلس على أخرى بندقية وأبحر على سفينة جنوية إلى الأندلس فى سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م ثم رجع إلى وهران فى أخرى جنوية. راجع **Robert Brun ching** : رحلة عبد الباسط بن خليل إلى تونس من كتابة الـروض الباسـم ضـمن : **Deux Recits de voyage inedits, en Afrique du Nord aux XV Siecle, Paris 1936, publications de L'institute orientales, de Faculte des Letres de Alger VII PP 18-19,35-36, 59,67** للمزيد عـن هـذا الموضـــوع راجـع **Dufourq: op. Cit pp 174-7.Mas Latrie : Op. Cit PP XXV**من المقدمة التاريخية ,

[1] وصدق القائلان يعبران عن هذه الحالة بقولهما "إن الرحلات التجارية الممونة كانـت تقريبـاً فـى أيـدي الأوربيـين راجـع **Roland Oliver, Anthony Atmore: Africa in the Middle ages 1400-1800, Combridge University press. S.D.P 6.**

[2] إذا أحجم الكثيرون منهم عن الإقامة وفضلوا لعب دور الوساطة بين أوربا والمغرب من خلال جلبهم السلع من البلاد والمدن الداخلية إلى الساحل وبيعها للأوربيين الذين كانوا يقومون بدورهم لنقلها إلـى أوربـا ثـم يشترون فهم ما يجلبونه هم من أوربا ليسوقوه بمدن المغرب الساحلية والداخلية فيـذكر برنـشفيك (تـاريخ أفريقية حـ٢ صــ٢٢٥) على سبيل المثال أن القبائل البربرية التابعة لتخوم البلاد الطرابلسية الشرقية ومنها قبيلة هوارة كانوا يتبادلون البضائع مع التجار البنادقة ويذهبون إلى بلاد الجريد والسودان ومصر للتجـارة " ورغم ذلك فإن هناك أقليات من هؤلاء التجار المسلمين مارسوا الوساطة وأقام بعـضهم فـى مـدن أوربـا الساحلية ، إذ كانوا يدخلون إلى صقلية وأسبانيا وإيطاليا وجنوب فرنسا (راجع عز الدين موسـى : النـشاط الإقتصادي ، صـ ٢٨٨-٢٨٩) وما ينبأنا به الإدريسي فى نزهته يؤكد إقامة بعضهم فى لمبارديـا بإيطاليـا حيث يذكر أنه كان يستقر ببنويه (Pania) عاصمة لمباردبا عددا من المسلمين الموثقين باللغة العربية معـا يعني أن هناك واردين من التجار المسلمين إلى هذا المكان أو أنهم كانوا يكتبـون مـن أسـتقر هنـاك مـن المسلمين التجار الأثرياء الذين أقاموا هناك وعددهم أربعمائة والذين كانت لهم تجارة نافذة وثـروات مهمـة على حد تعبيره .ويؤكد **Dufourq** (Op.Cit,PP 177-9) أن العديد من التجار المسلمين ذهبوا إلى جنـوة والعديد منهم وخاصة من التلمسانيين ذهبوا إلى ميورقة أواخر القرن الثالث عشر / السابع الهجـري، ومـن التوانسة من ذهب إلى قطالونيا وكافة مدن أراغون. ويؤكد على وجود الموثقين المسلمين فى المدن الأوربية وضرب مثالاً لذلك بأحمد بن عبد الرحمن فى جنوة وكان كل هؤلاء كما يذكر مبالغا يلقون تـسهيلات قـل أن يجدوها فى المدن الإسلامية راجع **Op.Cit p 180** .وينقل الدكتور سعيد عاشور عن دونيزو**Donizo** الـذي

ومدنها[1] والمحصلة لكل ذلك النشاط التجاري المستمر رغم وجود العوائق لاختلاف الديانة والمعتقد واستمرار التوتر بسبب القرصنة فكثرت السلع المتبادلة بين أوربا والمغرب حيث جلبت السفن الإسلامية أولاً ثم الأوربية لاحقاً كل المنتجات الأوربية حتى تلك التي صدرت بشأنها قرارات التحريم بتصديرها للمسلمين ببلاد المغرب وغيرها [2] في حين حملت منتجات وسلع المغرب والشرق الإسلامي والسودان من موانئ المغرب إلى أوربا [3] وسؤالنا الهام المتكرر فى

---

كتب عن حياة ماتيلدا أميرة تسكانيا كتابا سنة ١١١٤م أن شوارع بيزا شهدت أعدادا من الزوار والتجار كان منهم بعض العرب من شمال أفريقيا،راجع مقاله القيم بعض الأضواء على العلاقات بين بيزا وتونس في عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب،جامعة القاهرة ،م ٢٦جـ٢،١ مايو ،ديسمبر ١٩٦٤ صـ٥٢ .

[1] حيث حصلوا بمقتضى المعاهدات التجارية التي عقدت بينهم وبين حكومات المغرب على الإقامة فى الفنادق الخاصة بهم في المدن الغربية والساحلية المعاهدات أرقام ٢٩،٣٠،٣٤،٣٥،٤١ على الترتيب.راجع : Amari:Op.Cit,P.88-97, 101,126,140, 155 وقد لخص Levtzion تغلغل تجار النصارى فى كل مدن المغرب وبناءهم الفنادق بقوله " أنه خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر وجدنا التجار من جنوة وبيزا والبندقية ومرسيليا يبنون فنادق فى المدن الساحلية من طرابلس إلى سبتة على البحر المتوسط وماسة على المحيط حتى فى العاصمة مراكش راجع . Op. cit P 347

[2] وذلك من جانب البابوات وبعض الملوك الأوربيين وخاصة الأرغوانيين عن هذا الموضوع وعدم جدواه واستمرار التجارة فى هذه المواد راجع برنشفيك: المرجع السابق صـ ٢٦٧، لويس :القوى البحرية والتجارية صـ٣٩٢.

[3] فمن سلع المغرب المصدرة بالإضافة إلى الملح وجدنا الذهب ، الحبوب، الرقيق، الزيوت والتمور ،الجلود والأصواف والمرجان والشب وغيرها ويجلبون إلى المغرب العديد من منتجات أوربا أوما تحمله سفن المدن التجارية الإيطالية من الشرق عموماً إلى الغرب ، ومن هذه السلع نذكر الأسلحة والأخشاب وحبال القنب والزيوت الإيطالية والفواكه ، التوابل المشرقية من بهارات وقرنفل وقرفة وزنجبيل وجوز الطيب والزعفران وسواها وكذلك العطور والحرير الخام والأقمشة بأنواعها وبعض الأحجار الكريمة... الخ . للمزيد عن السلع المتبادلة بين الجانبين راجع : لويس لومبار : الإسلام صـ٣٢٨-٣٣١. برنشفيك : تاريخ أفريقية حـ٢ صـ٢٦٦ وما بعدها ، هونكة:شمس العرب صـ٣٢ ، إبراهيم حركات : النشاط الإقتصادي الإسلامى فى العصر الوسيط حتى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادي ، افريقيا الشرق سنة ١٩٩٦م. صـ١٧٧، محمد حسن : المدينة والبادية ، حـ١ صـ٥٠٢. De Mas Latre : Op. cit P192
FF,Levtzion: Op.Cit P 347,367-368, I vor wilks: Wangara, Akan and Portuguese, in Fifteen and Sixteen Centuires in Journal of Africa, volume 32, 1982,P330

هذا البحث أين الملح وتجارته في هذه العلاقات التجارية النشطة بين المغرب وأوربا ؟ نقــول : أنه رغم كثرة السلع التي تحملها السفن الأوربية من بلاد المغرب وتعددها إلا أن هنــاك ســلع ثلاث ركزت عليها كل القوى التجارية البحرية وهي الذهب والحبوب والملح . أما الذهب فلــه أهمية خاصة في ضرب النقود ولا يتم الحصول عليه إلا من خلال الوساطة التجارية المغربيــة بحكم الموقع المتوسط لبلاد المغرب بين أوربا وأفريقيا مصدر الذهب وعليه كان اعتمادهم فــي هذه السلعة على التجار المغاربة الذين جلبوها من مصادرها في السودان جنوب الصحراء وأتوا بها إلى مراكز التجارة في الشمال وموانئ الساحل فيذكر مثلاً أن جنوة وتجارها كانوا يحملــون الذهب من أفريقيا وبالذات من مينائي هنين ووهران ويصلون بهذا الذهب إلى أوربا من خــلال مالقة وقادش وجنوة[1].

أما الحبوب تلك التي كانت متوافرة في بلاد المغرب وحرص عليهــا الحكــام المــسلمون ونظموا تصديرها حتى لا يؤثر ذلك على البلاد داخلياً [٢] أما الأوربيون فقد نظروا إليها نظــر الرومان قديماً بأنها مخزن للحبوب التي إن لم يستطيعوا حملها عن طريق الغزو والاحتلال فلا أقل أن يتحصلوا عليها عن طريق التجارة والتي تحكموا فيها بداية من القــرن الحــادي عــشر /الخامس الهجري [٣].

أما السلعة الثالثة ذات الأهمية فهي معدن الملح تلك المادة المتوافرة ببلاد المغرب والتــي يحتاجها الأوربيون بشدة لقلة إنتاجهم لها ومطلوبة عندهم بلا حدود[٤] ومن هنا حرص التجــار على جلبها من السواحل المغربية من مناطق الإنتاج المنتشرة على السواحل فضلاً عن مراكــز التوزيع والتي يأتيها الملح من الصحراء ولذا كان الطلب عليه من ناحيتهم مشجعاً للمغاربة على

---

(1) راجــع, **Rachel Arie:Espana Musulmana Siglos VII XV,en Historia de Espana dirgida por Manuel Tnon de Lara, Tomo III Editorial Labor. S.A,Barcelona. 1984 P 256.**

(٢) فنجد السلاطين الحفصيين على سبيل المثال يحرصون على تجنب المجاعات وتدارك الأمر فيها بالمحافظــة على تصدير الحبوب بنظام أومنعه تماما كما كانوا لا يسمحون بحرية التصدير في هذه الحبوب حتى لا ترتفع أسعارها بصورة تضر المستهلكين إلى حد وصل إلى التقتير واستثنوا من ذلك المجاعات في المدن الإيطاليــة وفي هذه الحالة أيضاً كان يشترطوا كمية محدودة راجع برنشفيك: المرجع السابق صــ ٢٦٦-٢٦٧.

(٣) راجع أرشيبالد لويس : المرجع السابق صــ٣٢٨ وما بعدها ، صــ٣٩٣

(4) **Mas Latrie : opcitp 217**

إنتاجه والمتاجرة فيه مع الأوربيين ومن هنا أيضا وجدنا مدن إنتاجه ذات علاقة مـع أوربـا بشكل أو بآخر فلما ذكرت المنستير قيل عنها أن بها ملاحة تشحن منها السفن بالملح إلى الـبلاد [1]. وهذه مدينة تونس ذات الملاحة الكبيرة المستغلة وصفت بأنها "مطمع الآمال ومحط الرحال من الغرب والشرق ملتقى ركاب الفلك وناظمة فضايل البرين فإن شيئت أصحرت فى موكـب وإن شئت أبحرت فى مركب[2]" فمنها كان يحمل الملح إلى أوربا وغيرهـا. ومـا يقـال عـن القيروان من أنها فرضة المغربين ومتجر البحرين"[3]، وبرقة التي بها من التجار وكثرة الغرباء فى كل وقت ما لا ينقطع" [4] وإجدابية وهي قريبة من البحر ترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدرعنها ضروب من التجارة[5]" وطرابلس التي ترد إليها " مراكب تحط ليلاً ونهاراً أو ترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحاً ومساء من بلد الروم[6] "والمهدية"فرصة ما والاها من البلاد كثيرة التجارة "[7] وطبرقة التى اشتهرت بكثرة ورود مراكب الأندلسيين والتجارعليها ونزولهم فيها وهي تجاة بلاد الأندلس وتحاذي بعض بلاد أفرنجة [8] ومن نهر ماست فى بـلاد حاحة يوسق الملح إلى تلك السواحل [9] شمالاً وجنوباً " أي بلاد السودان وكذلك أوربـا شـمالاً وصفاقس التي اشتهرت قديماً وحديثاً بملاحاتها ما فتأت مزدهرة إلى اليوم بتجارة الملح وذلـك لقدرة أهلها وتمكنهم من استخراج الملح والإتجار به عبر المتوسط" [10] فتلك الإشارات تدل على

---

[1] البكري :المغرب صـ٣٦.

[2] العبدري : رحلته صـ٣٩.

[3] المقدسي :أحسن التقاسيم صـ٢٢٥.

[4] ابن حوقل: صورة صـ ٦٩.

[5] المصدر السابق صـ٧٠.

[6] المصدر السابق صـ٧٢

[7] المصدر السابق صـ٧٣

[8] المصدر السابق صـ٧٦

[9] ابن سعيد : بسط الأرض صـ٥٧

[10] كيرلانسكي : المرجع السابق صـ٤٠

علاقة تجارية متينة بين أوربا ومناطق إنتاج الملح فى بلاد المغرب وقد أكد بعض المحدثين [1] على أن أهم ما جلب الأوربيون منها هوالملح . وعندنا فى القرون المتـأخرة خاصـة شـواهد مباشرة على ذلك، تلك القرون المقرونة بتزايد السيادة التجارية للمدن الإيطالية كبيـزا وجنـوة والبندقية وأمالفى وغيرهم والتي بدأت تتنافس فيما بينها على تجارة بلاد المغرب بل والاستئثار بها وذلك من خلال عقد المعاهدات التجارية مع حكامها المسلمين وصلت إلى حد الحروب فيما بينها من أجل السيطرة على تجارة بعينها راجت بين بلاد المغرب وأوربا وهي تجارة الملح التي عنت به هذه المدن عناية خاصة وبالذات مدينتي البندقية وجنوة[2] فعلى الرغم من أن المدينتين استطاعتا أن تجدا فى أوربا مصادر للملح وبنت البندقية بركاً للملح فى شـيوغيبا واسـتخدموا أساليب مختلفة لاستخراج الملح[3] إلا أنها شهدت منافسة حادة من جانب الكهنة البندكتيون حيث نهضوا بملاحات كوماشيو ، إلا أن البنادقة أنهوا تلك المنافسة سنة ٩٣٢م بأن دمروا ورش الملح فى كوماشيو[4]ولكن بعد حين تعرضوا لمنافسة كهنة رافنا الذين انتجوا الملح فى سـيرفيا [5] إلا أن إنتاج البنادقة كان أكثر كما كان ناعماً فى حين كان إنتاج سيرفيا من النوع الخشن ومع ذلك لم يتجه إليهم البنادقة لاستيراد الملح الخشن[6]، وظلت المنافسة حتى تعرضت البندقية لسلسة من الفيضانات والعواصف التي دمرت ثلث إنتاج شيوغيبا وذلك مما أجبرهم على استيراد المزيد من الملح [7] وفى ذات الوقت اكتشف البنادقة أن تجارة الملح أكثر ربحاً من إنتاجه الذي يتكلف كثيراً ومن هنا بدءاً من سنة ١٢١٨هـ ركزت البندقية جهودها فى المجال التجاري وجلب الملح مـن البلاد على سواحل البحر المتوسط وجزره ودفعت مقابلاً ماديـاً مجزيـاً لمـن يـأتي بـالملح

---

[1] منى سيد عبد العزيز : الحياة الإجتماعية والإقتـصادية بالدولـة الحفـصية ٦٢٦- ٩٣٥هـ/ ١٢٢٧-١٥٣٥م، ماجستير معهد الدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ١٩٨٦صـ١٣٩ ، Mas Latrie : Op.Cit P 217.

[2] راجع كيرلانسكي : المصدر السابق صـ٨٣.

[3] كيرلانسكي : المصدر السابق صـ٦٩.

[4] المرجع السابق صـ٧٠

[5] كيرلانسكي : المصدر السابق صـ٧٠

[6] نفسه

[7] نفسه

إليها[1].ورغم أنهم في وقت من الأوقات كانوا يعانون من ارتفاع سعر الملح إلا أنهم لم يبالوا بذلك ما دام يخدم هدفهم الأكبر وهوالسيطرة على تجارة البحر المتوسط وبالذات تجارة الملح والتوابل والحبوب[2] وهذا في حد ذاته أوقعها في صراع مرير مع المدن الإيطالية التجارية الأخرى وخاصة مدينة جنوة[3] تلك التي استقلت مع حلول القرن الثاني عشر مثل البندقية [4] وبدأت تكرس حياتها للتجارة ورغم أنها لم تنتج الملح محلياً إلا أنها أفلحت في استغلال ملاحات خارج إيطاليا مثل هييرس قرب مدينة طولون الفرنسية في البروفانس وحولوها إلى منتج أساسي للملح من خلال اتباع الطريقة الإسلامية في استخراج الملح عن طريق البرك التي تتبخر مياهها بالشمس[5] وقد شجعهم النجاح في هييرس إلى البحث عن أماكن أخرى لاستغلالها ونجحوا في الوصول إلى سردانية وطوروا ورش الملح بها حتى صارت من أكبر منتجي الملح في البحر المتوسط [6] ،ثم فطن الجنويون إلى ما توصل إليه البنادقة من قبل وهوأن استيراد الملح أفضل ربحياً من انتاجه ولهذا نجدهم يستوردون الملح من طرطوشة[7] التي كانت خلال القرن الثاني عشر – مصدراً للملح بالنسبة لبرشلونة وكذلك منطقة أراغون عامة وقاموا هم بتصديره إلى تلك الأماكن وبسعر أرخص مما كانوا يشترون به من دوقات كاردونه الجبلية القطلانية[8] فبدأ تجار كاردونه يخسرون سوق برشلونة ولهذا شرعوا في بيع ملحهم لمدينة جنوة[9]. ثم حولت مدينة جنوة جزيرة يابسة إلى أكبر منتج للملح[10] وبذلك صار الملح محركاً لتجارة المدينة مثلما كان الحال للبندقية وتجارها. وبداية من سنة ١٢٥٠م توغلت جنوة في شراء الملح وخاصة من شمال

---

(1) كيرلانسكي :المرجع السابق .

(2) نفسه

(3) عن هذا الصراع بدايته واستمراره راجع شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية صـ٣٣-٣٤ ، صـ٤٩٩ ،وما بعدها .

(4) كيرلانسكى : المرجع السابق صـ٨١.

(5) نفسه

(6) نفسه

(7) المصدر السابق صـ٨٢

(8) نفسه

(9) المصدر السابق صـ٨٣.

(10) نفسه كيرلانسكي :المرجع السابق .

أفريقيا وقبرص وكريت[1] والاتجار به فى البحر المتوسط ونقله من مكان إلى آخر واستمر ذلك حتى منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[2] الواقع أن هذا جعل المدينة تصطدم مع البندقية فى صراع طويل وذلك من أجل السيطرة على مصادر الملح وتجارته فى البحر المتوسط والتي كان من بينها بلاد المغرب بإنتاجها الوفير من الملح. وينبأنا نص للتجانى[3] فى غاية الأهمية أن هاتين المدينتين وغيرهما من النصارى كانوا يأتون إلى ساحل طرابلس وبالذات إلى قصر صالح مرساها ليأخذوا الملح حيث كانت سبختها مفضل ملحها على جميع السباخ ويمتاز منه أكثر بلاد النصرانية ويعلمنا أن أهل قصر صالح كانوا يجهدون أنفسهم فى استخراج الملح من الطبقة السابعة فى الأرض لأن أولئك النصارى كانوا يتغالون فى شرائه منهم ويذكرون لهم أنه له عندهم منافع طبية متعددة وهوما يدل على المنافسة الشديدة فى الحصول على هذا الملح بين المدن الأوربية وخاصة جنوة والبندقية ، والواقع أن تلك المنافسة فى الحصول على الملح من المغرب تعدت منطقة الساحل والإقامة فى مدنه والاستقرار بها لمدة طويلة فى الفنادق الخاصة بهم[4] إلى المناطق الداخلية [1] بل والاتجار مع بلاد السودان ومحاولة

---

[1] نفسه.

[2] Rachel Arie : Op. Cit p 256

[3] رحلته صـ٢٠٧

[4] والجدير بالذكر هنا أن المعاهدات التجارية المعقودة بين المدن الإيطالية والحكام المسلمين كانت تهتم بعد المحافظة على الأموال والأنفس والتأمين بالإقامة المريحة فى المدن الإسلامية Amari : Op.Cit,PP 109 .159 , 154 , 140 , 140 ,126 , 113-114 , وقد اعترفت لهم الحكومات الإسلامية بحق الإقامة المنفصلة فى هذه الفنادق الخاصة بهم التي لا يشاركهم فيها أحد من أهل ملتهم فى مدينة أخرى أو بلد آخر وملحق بهذا الفندق كنيسة ومدفن وحمام وإن لم يكن هناك حمام يخصص لهم يوما ما فى الأسبوع يدخلون فيه حمام المدينة وقد انتشرت هذه الفنادق فى كل المدن الساحلية بالإضافة إلى بعض المدن الداخلية كمراكش وفاس وتلمسان وغيرها راجع فى ذلك Michel Amari: Op. Cit, PP 88, 101, 126, 42 etc. ، ويذكر عن مدينة تونس أن بها عدد كبير من هذه الفنادق فيما وراء الباب الشرقي للمدينة للجنوية والبنادقة والبيازنة والفلورنسيين والقطلان ولكل منهم كنيسته والملحقات الأخرى وقد جمعت فى منطقة واحدة حتى تتمكن الحكومة الإسلامية من مراقبة هؤلاء التجار والإشراف عليهم راجع إبراهيم مسعد فهيم: العالم العربى وفى نظر الرحالة الأوربيين ، مصنف آل أدورني كمصدر أوربي عن تونس فى النصف الثاني من القرن الخامس عشر "دراسة مقارنة" اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة سنة ١٩٩٨ صـ٤٠٦. وقد كان تجمع هذه الفنادق

إقامة علاقات سياسية مع ملوكها وهي محاولات ابتدأت بإقامة علاقات متينة مع حكام المغـرب من المسلمين أولاً فيذكر الدكتور إبراهيم حركات [٢] في اهتمامهم بأمر الجنـوب والـصحراء والتجارة مع السودان أن السلطان المريني أبو يعقوب يوسف استقبل تجاراً من جنوة في مدينـة تازوطا شمال شرق المغرب سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م . وذلك من أجل ضمان الأمان في الاتجـاه إلى الجنوب الذي لا يكون إلا عن طريق بلاد المغرب ويبدو أن ذلك تحقق لهم سريعاً دلتنا على ذلك الخرائط التي رسموها عن الصحراء وطرقها إلى بلاد الـسودان إذ كانـت أول خريطـة للصحراء الكبرى قد وصفت على يد تاجر جنوي بسجلماسة خلال العقد الثاني من القرن الرابع عشر وهو Giovanni di Garingnano[٣] ثم وضعت خريطة أخرى سـنة ١٣٣٩م لجنـوب الصحراء على يد جنوي آخر وهوAngelino Dulcert [٤] والتي رسمت الطريق من الساحل إلى سجلماسة ثم توات فوالاته ثم إلى مالي السودانية[٥].وهكذا تعرف أولئك الجنوية على الطريق الممتد من تونس ومدن الشمال كلها إلى تمبكتو في مالي وهذه الخرائط التي يذكر عنها بوفيل [٦] أنها لم تعلن عن ثروة الداخل فحسب بل بينت طرقاً تقود إلى حقول الذهب المخبـوءة وكيفيـة سلوكها دون مراقبة المسلمين واختراق القارة من الشمال.والنتيجة حدوث محاولات للوصول إلى الجنوب والاتجار المباشر مع السودانيين وكانت أولى هذه المحاولات في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن الهجري حيث نزل التاجر الجنوي الغني المـدعو أنطونيـو مالفـانتي

---

يجوارهذا الباب هوالصورة الأولى للحي الأوربي بمدينة تونس الحديثة راجـع دائـرة المعـارف الإسـلامية م٦صـ٣٠.

[١] وفي هذا السياق نجد محاولة الجنوية الاستيلاء على مدينة سبتة بالخديعة سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م فقام أهل المدينة بانتهاب أموالهم وفنادقهم فاستمدوا إخوانهم من النصاري وحاصروا المدينة ولكن لم يكن إلا حـصاراً فاشلاً انتهى بالصلح حيث عوض الجنوية عما انتهب منهم راجع ابن عـذاري: البيـان ، قـسم الموحـدين صـ٣٥٠ -٣٥١ ، ابن أبي زرع : الأنيس صـ٣٦١

[٢] النشاط الإقتصادي الإسلامي صـ١٧٦،

[٣] نفسه

[٤] حركات : المرجع السابق، Levtzion: The Estern p 373 .

[٥] Ibid

[٦] الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء، ترجمة زاهر ريـاض مكتبـة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٨مصـ١٤٨.

Antonio Malfante فى هنين على الساحل وهوميناء تلمسان وذلك حتى انتهى إلـــى مدينـــة توات سنة١٤٤٧م ومن هناك كتب خطاباً [١]إلى زميله فى جنوة Goivanni Mariono يصف له فيه الطريق من هنين إلى تلمسان وتوات ويستفيض فى وصف توات طبيعتهـا وقـصورها وأحوال التجار فيها واللافت للنظر فى هذا الخطاب أنه يصف بيوت توات بأنهـا مبنيـة مـن صخور الملح وأنها دخلت فى ذلك محل القصب فى البناء[٢] كما ينبأنا أن التعامل فى الجنوب لم يكن إلا بالنحاس والملح فى صورة ألواح وشرائح وأن الملح كان من البضائع المتبادلة بل يذكر أن كل شيء هناك يترك من أجل الملح [٣].

ومعلومات الخطاب حقيقة تدفعنا إلى القول أن المنافسة المحتدمة بين تجار جنوة والبندقيـة التي فاز فيها فى النهاية تجار البندقية دون أن يقضوا على تجارة جنوة قد دفعت الأخيرين إلـى محاولات إيجاد أسواق أخرى داخل البلاد فضلاً عن محاولات الوصول إلى مصادر الذهب فى الجنوب حاملين معهم بلا شك ما تحتاجه السودان بضائع وسلع كان من بينها الملح والذي لا شك أن خسارة ميلفانتي أمواله بسبب التعامل مع السودان بالملح والنحاس[٤] قد دفعت من تلوه فـى اختراق الصحراء للتردد بالملح من أجل الحصول على الذهب وبين أيدينا نص للزياتي[٥] عـن مملكة تلمسان يثبت بما لا يدع مجالاً للشك مشاركة الأوربيين وخاصة الجنويين والبنادقة فـى تجارة الملح بالسودان إذ يقول "كانت هناك حركة كبيرة فى تجارة السلع فى مملكة تلمسان هـذه لقربها من توميديا ولأنها تؤلف محطة على الطريق المؤدية لبلاد السودان " ويردف قائلاً " وفى هذه المملكة- أي تلمسان – اثنان من المراسي المشهرة هما مدينة وهران والمرسي الكبير وكان يقصد هذين الميناءين عادة الكثير من التجار الجنويين والبنادقة الذين كانوا يزاولون فيها التجارة الكبرى عن طريق المقايضة"..

---

(١) راجع **Antonius Malfante:Tawat and the Western Suden tarde in Africa History, Text and Reading, University of California, Santa Barbara, New York 1971 p 21**

(٢) **Op.Cit p 21**

(٣) **Malfante: Op.Cit,P 23**

(٤) **Ibid**

(٥) وصف أفريقيا صـ٣٨٠

ولكن فى النهاية نجح منافسوهم من البنادقة فى الاستئثار بتجارة الملح مع السواحل وفى الداخل كذلك حتى أن برنشفيك[1] يذكر أن ملح أفريقية كان يصدر من قبل جمهورية البندقية دون سواها على الأقل بالنسبة للقسم الموجه لأوربا ، بل وصل الأمر بالبنادقة إلى احتكار تجارة الملح مع بلاد المغرب وتحديد أسعاره[2] أفادنا بذلك وثائق أرشيفها فهناك وثيقة مؤرخة بيوم ٣ مارس ١٣٢١م /٢١صفر ٧٢١ هـ ،جاء فيها ما يتعلق بتجارة الملح وشرائه من أفريقية الحفصية وتحديد سعره وبالذات المستخرج من ملاحات طرابلس الشهيرة في Raxababese (رأس المخبر) وكذلك ملح جزيرة جربة التونسية حيث ذكرت الوثيقة أن ملح هاتين المنطقتين يساوي سبعة دنانير طالما وافق المواصفات وقابل للتعامل التجاري [3]وأكثر من هذا استغلت البندقية فرصة استقلال وضعف صاحب منطقة طرابلس وجربة أحمد بن مكى لتجبره فى سنة١٣٥٦م/ ٧٥٨هـ على أن يبرم معها معاهدة تجارية فى صالحها كلية تتضمن هذه المعاهدة في بندها الرابع[4] ما يخولها دون سواها استغلال الملاحة الطرابلسية الشهيرة وتلزم الأمير ابن مكي بتوفير كافة وسائل الأمان لشحنات الملح منذ أن تخرج من الملاحات حتى تصل إلى السفن المعدة لحملها إلى البندقية ويتولى الإشراف على كل ذلك وتنفيذه القناصل البنادقة في أفريقية ويبدو أن عملية التسليم والتسلم وشحن السفن كان يوميا[5] مما يدل على النشاط المستمر للبنادقة في نقل ملح أفريقية ومحاولة الإستحواذ عليه دون الآخرين من منافسيهم وهنا يجب أن نشير إلى أن العياشي فى رحلته[6] ذكر أنه فى برج الملح الواقع بين برقة وطرابلس مرسى جيد ينزل به النصارى بإذن من أمير البلد يأخذون الملح من سبخة هناك فيها ملح عجيب.وهي إشارة واضحة لالتزام بني مكي ببنود هذه المعاهدة ، ويذكر برنشفيك[7] أن أحد سفراء البندقية أكد للسلطان الحفصى أبي العباسى أحمد أثناء مقابلة بينهما تمت ١٣٩١م

---

(١) المرجع السابق صـ٢٧٤

(٢) Mas Latrie : Op. Cit. P 217

(٣) Mas Latrie : Op. Cit , 221

(٤) راجع نص هذا البند في الملحق رقم (٢)

(٥) راجع Mas Latrie : Op. Cit ,P 224

(٦) راجع ما سبق صـ٢٧ من البحث.

(٧) المصدر السابق صـ٢٧٤ .

/٧٩٣ هـ أن البندقية لا ترغب إلا فى تجارة مادتين ألا وهما الحبوب الملح[1]ولكنه لم يحدد فى هذه المرة منطقة بعينها ليستأثروا بملحها مما يعنى التوسع فى الاستحواذ على انتاج ملاحات السلطنة الحفصية المتعددة على الساحل وفى الداخل.

وقد حاول البنادقة الحصول على إعفاءات جمركية بالنسبة للملح ولكنهم لم يفلحوا فى ذلك رغم حصولهم على تلك الإعفاءات فى معادن أخرى حملوها من بلاد المغرب كالرصاص والتي منحت الحرية التامة فى استخراجه من الأرض الحفصية[2].

ولا شك أن الثمرة لذلك كانت ثمينة بالنسبة للحفصيين فى الاستفادة من العشور المعروضة على هذه التجارة .ويبدو أن هذا دفع البندقية إلى أن تبعث بتجارها إلى مناطق مختلفة في البحر المتوسط عموماً ولم تقتصر على منطقة المغرب ليشتروا الملح بأي ثمن[3] وحيثما ذهبوا محاولة دوماً السيطرة على ورش الملح وحتى شرائها إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً[4]. بحيث ازداد احتكارهم لهذه السلعة فى البحر المتوسط وصارت موانيها الأولى فى استيراد الملح وتصديره[5] ولذا صارت البندقية الممول الأول لأوربا لما استقطبت من تجارته إذا مثل من وارداتها من ٣٠% إلى ٥٠% ولهذا فعلوا الكثير من أجل المحافظة على هذا الاحتكار والتحكم فى سوق الملح حتى ولو حساب الآخرين مراعاة لمصالحها فقط، ففي أواخر القرن الثالث عشر ونظراً لرغبتها فى رفع أسعار الملح عالمياً دمرت البندقية ورش الملح فى كريت[6] وذلك من أجل تعطيش السوق العالمي ثم التوسع فى الاستيراد وخزن الملح لبيعه فى الوقت المناسب وبالأسعار التي تراها.

وفى سبيلها للانفراد بسوق الملح فى المتوسط استولت البندقية على سيرفيا وأجبرت كهنة رافنا على بيع الملح حصرياً لها وذلك فى العام ١٤٧٣م[7] وإذا كان الجنوية قد حولوا يابسة إلى

---

[1] Mas Latrie : Op. Cit ,P 248 وكذلك P217 من المقدمة التاريخية

[2] راجع برنشفيك : المرجع السابق صـ٢٧٥ المعاهدات .

[3] كيرلانسكي : المرجع السابق صـ٧١

[4] المرجع السابق صـ٧١

[5] نفسه

[6] نفسه

[7] كيرلانسكي : المرجع السابق صـ٧٢

منتج أول للملح فى المتوسط فإن البنادقة وضعوا قبرص فى المرتبة الثانية والتي صارت تابعة لها منذ سنة ١٤٨٩م[1] ، على أنه يجب أن نقرر فى النهاية أنه رغم نجاح البندقية فى السيطرة على أسواق الملح فى المتوسط ومنها سوق الملح فى المغرب والجزء الموجه إلى أوربا بالذات إلا أنها لم تكن الوحيدة في ميدان هذه التجارة إذ ظلت محاولات الجنوية مستمرة فى سبيل السيطرة على سوق الملح فى المتوسط وذلك رغم هزيمتها فى حروب شيوغيبيا من البندقية ما بين سنتي ١٣٧١و ١٣٨٠م[2]. كما دلنا على ذلك خطاب مليفانتي إلى زميله بجنوة وكذلك أشار إليه Wilks[3]من أن المرينيين أذنوا للأوربيين بالإقامة فى المدن المغربية واثبت أن الجنوبيين أقاموا فى تافيللت فى نهاية القرن الثالث عشر[4] ويذكر أنهم وبقية الإيطاليين عرفوا الطريق الطويل عبر الصحراء [5]. وقد كانت لهم علاقات طيبة مع الحفصيين بتونس حرصوا عليها وعقدوا خلال القرن التاسع / الخامس عشر معاهدتين تجاريتين مع الحفصيين أولهما سنة٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م وذلك لمدة عشرين سنة ومدت هذه المعاهدة سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م والثانية كانت ٨٦٩هـ/ ١٤٦٥م وكان هدف هاتين المعاهدتين الحفاظ على العلاقات الودية وضمان تدفق تجارها على المواني الحفصية من أجل التجارة[6]، ولا شك أن ذلك فى إطار المنافسة التجارية مع البندقية التي كانت سفنها تستأثر بالساحل الحفصي بمقتضى المعاهدات التجارية كذلك المعقودة بين الطرفين[7]بل أن ابن الوزان الزياتي[8] يؤكد مزاحمة الجنوية للبنادقة

---

[1] نفسه

[2] المصدر السابق صـ٨٣

[3] **Wangara, Akan and Partuguese P 330**

[4] **Ibid**

[5] **Ibid**

[6]**راجع هاتين المعاهدتين عند برنشفيك : المرجع السابق جـ١ صـ ٢٨٣ - ٢٨٤ ، صـ٢٩٣ -٢٩٤ على التوالى ، Mas Latrie : op. Cit , 134, 144 , , 151**

[6] **راجع ماسبق بداية من صـ٦٥ ، راجع كذلك معاهدات أخرى استطاع الدرق البندقى فيسكارى عقدها مع السلطان الحفصى أبو عمرو عثمان بن محمد الرابع سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م لمدة عشرين سنة سنة وجددها سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٦م لمدة سنة قمرية ، عند برنشيفك : المرجع السابق صـ٢٨١-٢٨٢ ، ٢٩٣ ، Mas Latrie : op. Cit , 250-256**

[8] **وصف أفريقيا صـ٣٨٦.**

فى تجارة المغرب عامة حتى عند إستيلاء الأسبان على بعض مدن الساحل المغربي حيث يشير إلى أن الأوربيين كانوا يختلفون إلى وهران والمرسى الكبير وبالذات تجار جنوة والبندقية بأعداد وفيرة وكان الحفصيون والزيانيون يرحبون بهم[1] ، كما يخبرنا عبد الباسط بن خليل[2] أن شونية جنوية وردت على مدينة وهران وهي عظيمة برسم الاتجار وقد وردت من فلندة ونحوها من بلاد الافرنج بالمحيط وذلك سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م.

كما مارس الجنوية الاتجار مع هنين مرسى تلمسان رغم خراب المدينة نفسها وقد كان يجبى من السفن النصرانية الواردة إليها مبالغ كبيرة ويذكر ابن الوزان[3] أن صاحب تلمسان جاء إلى ميناء هنين وكان هو بصحبته لجباية رسوم سفينة جنوية جلبت بضائع لتموين تلمسان لمدة خمسة أعوام وكانت الضرائب التي يتحصل عليها ملك تلمسان تبلغ خمسة عشر ألف ديناراً ذهبياً ورأها ابن الوزان بنفسه.

وكانت لبيزا كذلك تجارة واسعة مع بلاد المغرب كما أشارت المراسلات[4] والوثائق الرسمية[5] ومن المستحيل عدم مشاركاتها فى نقل الملح من المغرب إلى أوربا ضمن السلع التي نقلتها إلى أوربا. زد على ذلك أن المدن الإيطالية المتنافسة لم تكن وحدها فى الساحة التجارية بل كان معها قوي بحرية ناشئة جاهدت فى سبيل الحصول على خيرات المسلمين كما ذكرنا أنفاً مثل أراغون Aragon التي يذكر أن ملكها الفونسو الثالث Alfonso III عقد معاهدة مع سلطان تلمسان أبو سعيد عثمان وذلك سنة ١٢٨٦م/ ٦٨٥هـ[6] وذلك بشأن حماية التجار المسيحيين عامة والأراغونيين خاصة فى مواني المغرب الأوسط، كما كانت لهم مع الزيانيين متاجر مختلفة ومتنوعة[7] كما عقدت معاهدات أخرى متعددة مع الحفصيين المغرب الأدنى بهذا

---

[1] راجع أمين توفيق الطيبى : دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والأندلس صـ١٨٩

[2] راجع رحلته عند Robert Brunschvig : Deux Recito, p 67

[3] المصدر السابق صـ٣٨٦-٣٨٧

[4] راجع Amari: op. cit pp 1-6, 7-9, 10-13, 14-15, 23-27, 29-30, 31-32, 33-35, 38-42,45-47,48,50,57-58.

[5] برنشفيك : المرجع السابق٢٨٥-٢٨٦ ، Amari: Op.Cit pp 17-22, 86-97, 98-111, 115-118, 123 -135, 136 , 154-164, Mas Latrie: Op.Cit pp 355- 60.

[6] راجع Dufourcq: Commerce du Maghreb Medieval ,164,Note 7

[7] Dufourcq:Op.Cit P163

الخصوص وذلك في السنوات ٦٧٠هـ/١٢٧١م ، ٦٧٨هـ/١٢٨٧م، ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، ٧٠١هـ /١٣٠١م ٧٠٨هـ/١٣٠٨م ، ٧١٤هـ/١٣١٤م ، ٧٦١هـ/١٣٦٠م ....الخ على التوالي[١].

وقد وضع القطلان كما فعل الجنوية من قبل الوصول إلى بلاد السودان من خلال المغرب نصب أعينهم وقد تم لهم التعرف على الطرق الداخلية أولاً من خلال يهود ميورقة والذين وضعوا بعض الخرائط التي توضح هذه الطرق ومداخلها من الشمال ونهايتها مع بلاد السودان والتي عن طريقها أتى الذهب وصدر الملح إلى الجنوب وأشهر هذه الخرائط على الإطلاق ما عرف باسم أطلس قطلان Atlas Catalan الذي وضعه Abraham Cresques سنة ١٣٧٥م [٢] والتي أشار إلى الطريق من سجلماسة إلى توات وتغازي إلى والاتا ثم إلى تمبكتو بعد ذلك [٣]

وكذلك البرتغال التي دخلت في صراع مع الجنوبيين خلال القرن الخامس عشر من أجل السيطرة على منافذ التجارة المغربية ونجحت في ذلك وسيطرت على بعضها خاصة الأطلسية فيها[٤] ولهذا كانت التجارة نشطة بين البرتغال والموانى العربية المختلفة فيذكر لنا ابن الوزان الزياني[٥] أنه تصاد من نهر أم الربيع كمية كبيرة من الأسماك تتشبع بها مدينة أزمور وتذهب به مملحاً سفن موسقة إلى مملكة البرتغال.

ويذكر عن مدينة تفتنة ميناء إقليم حاحة الهام أن به مصلحة مكس ومصلحة جباية ضرائب الملح الذى كان يصدر إلى البرتغال وغيرها [٦] ويؤكد لنا كل ذلك Dufourcq [٧] في مقالة

---

(١) برنشفيك : المرجع السابق صـ٩٥ ، صـ١٠٩ ، صـ ١٢٦ - ١٢٧ ، صـ١٤٩-١٥٢ ، صـ١٦٦-١٦٨ صـ ٢١٢ ، Mas Latrie : op.cit .p 218 , 283 , 288 , 305

(٢) بوفيل :الممالك صـ١٤٨ Levtzion: The Western P373

(٣) Levtzion :Op.Cit

(٤) Levtzion :Op.Cit P450

(٥) الزياني:وصف أفريقيا صـ٦٢٣.

(٦) المصدر السابق صـ١٢٠.

(٧) Charles Ammanuel Dufourcq: Prix et Niveaux vie dans les pays catalans et maghribins ala fin du XIII[e] et au debut du XIX[e] siecles, en l' Iberie Chretinne et Le Maghreb XII- XV[e] siecles, Variorum Hampshire, Great Britain 1990 P. 491

الممتاز عن الأسعار ومستوى المعيشة في بلاد القطلان والمغاربة في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر فعندما يتحدث عن ملح يابسة من جزر البليار يذكر أن البندقية كانت تبيع ملحها وتشتريه بأسعار تحددها هي فوضعت لملح يابسة ثمانية دنانير في حين اشترت مد الملح من جزيرة جربة التونسية بسعة دنانير وذلك نقلا عن وثيقة الأرشيف البندقي سابقة الذكر[١] ويتحدث عن تجارة الملح الموازية لها في المواني الإفريقية مثل بونة وبرشيك وقابس حيث يمارس القطلان تجارة الملح في هذه المواني والذين نعتهم بأنهم مهروا في نقل الملح[٢] ولم يكن دورهم في نقل ملح المغرب فقط بل كانوا كذلك ينقلون الملح من دلتا الإبرو ويبيعونه في ألمرية ومالقة مما يعني توسعهم في تجارة الملح في غرب المتوسط عموماً ومن بينه المغرب الإسلامي ومملكة غرناطة الإسلامية الأندلسية[٣] وقد أورد ماس لاتري خطاباً بتاريخ جمادي الآخر ٨٦٧هـ/ ديسمبر ١٤٦٢م أرسله سادة برشلونة إلى أبي عبد الله عثمان ملك تونس يطالبونه فيه بحسن معاملة التجار القطلان الذين سيذهبون إلى تونس ويؤكد له على حسن الاستقبال الذي سيجده رعاياه من التجار المسلمين في برشلونة[٤]

الخلاصة أن تجارة الملح المغربية مع أوربا سواء كانت في أيدي أهالي البلاد يسافرون به إلى أوربا أو عن طريق التجار الأوربيين وخاصة المدن التجارية الكبرى كانت مزدهرة لم تفتر في يوم من الأيام أو عاقتها سوء العلاقات أو كثرة الحروب والصراعات بين القوى السياسية أو التجارية في المتوسط،وما ذلك إلا لأهمية الملح في حياة البشرعامة ومن هنا كان الملح من السلع التي تصارعت فيما بينها القوى التجارية الأوربية من أجل الاستئثار بتجارته مرات وتصالحت وتعاهدت كذلك عليه مع حكام المغرب الإسلامي مرات عديدة من أجل استمرار تجارته كسباً للأرباح وضمانا لاستمرار الحياة وتطورها.

### ٢- تجارة الملح بين المغرب وبلاد السودان :-

منذ أن افتتح المسلمون بلدان المغرب وصحراواته الممتدة جنوباً اهتموا بجنوب الصحراء الذي أسموه بلاد السودان، لا لشيء إلا لنشر الإسلام بين أهله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

---

[١] راجع ماسبق صـ٧١ من البحث

[٢] Ibid

[٣] Rachel Arie :Op.Cit

[٤] راجع Op.Cit p 103

فالإشارات فى مصادرنا متعددة دلت على أن الفاتحين الأوائل سلكوا طرقاً إلى الجنوب وهيئوا هذه الطرق بعد أن اهتموا بها اهتماماً خاصاً من حيث الإعداد والاختيار المناسب وكيفية التغلب على مشاكلها المتمثلة فى قلة الماء والمرعى.ووصلوا من خلال هذه الطرق إلى أقصى نقطة استطاعوا الوصول إليها على مشارف بلاد السودان[1] فاتحين بذلك الطريق أمام خلفائهم من المسلمين فى المنطقة ليتموا مهمة أسلمه هذه المنطقة والانطلاق منها إلى بلاد السودان وقد أفلحوا هم الآخرون فى هذا السبيل إلى حد كبير خلال عصور الولاة[2] والدول المستقلة[3]، بحيث وفروا فرص الاتصال وقنوات التواصل التجاري بين المغرب وصحرائه الكبرى من ناحية وبين بلاد السودان من ناحية أخرى وذلك بعد أن تعرفوا على السودان وعلموا إمكاناته الإقتصادية وما يستطيعون جلبه منها وما يحتاجه سكان هذه المناطق من سلع وبضائع العالم الإسلامي كل ذلك مشفوعاً بتشجيع ولاة الأمر من الولاة وحكام الدول المستقلة وخاصة ذات الاتصال المباشر بالجنوب وبلاد السودان مثل دول إنبيه الصنهاجية[4] ودولتي الخوارج

---

(1) راجع عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم: فتوح أفريقيا والأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع،دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي، بيروت سنة١٩٨٧ صـ٥٢- ٥٣، صـ٩٤ ، البكري : المغرب صـ١٣، ابن عذاري: البيان المغرب جـ١ صـ٢٧، الناصري: الاستقصا جـ١ صـ١٦٢.، د/ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، القاهرة،بدون صـ١٣١-١٣٦.

(٢ )راجع البكري: المصدر السابق صـ١٦١-١٦٤ ، ابن عذاري: المصدر السابق صـ٥١، عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي سلطان الأكبر جـ٦ دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٩٢ صـ٢١٤.

(٣ )عن هذا المجهود راجع: محمود إسماعيل:الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، مكتبة الحرية الحديثة عين شمس سنة ١٩٨٦ ط٢ صـ٢٩٨-٣٠٠، محمد عيسى الحريري : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، الكويت سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م ط٣ صـ٢١٢-٢١٣.

(٤)كانت من أولى الدول الإسلامية التي ارتبطت بعلاقات مع غانة السودانية وقد كانت عاصمتها أودغست وذلك فى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، حيث قامت بتنظم العلاقات التجارية واستفادت جداً منها وأفادت بلاد المغرب للمزيد راجع أحمد إلياس حسين: العلاقات بين مملكة غانة والمغرب العربي فيما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين / الثامن والحادي عشر الميلاديين، دكتوراه ،معهدالدراسات الأفريقية،قسم التاريخ،القاهرة،سنة١٩٨٢ صـ٨٧، **Nehemia Levtzion: The Sahra and the Sudan from the Arab conqyest of the Magbrib th the Rise of Almoravids, in Cambridge history of**

الرستمية[1] والمدرارية[2]، ثم من بعدها الفاطميين وبني زيري[3] حيث نشط فى عهود كل هؤلاء الحركة التجارية وترددت القوافل بين المغرب والسودان دون أن تكون الصحراء حاجزاً بين الجانبين وذلك حتى تأتي الانطلاقة الكبرى فى التجارة الخارجية بين المغرب والسودان خلال العصور التالية فى عهود المرابطين والموحدين وورثتهم ببلاد المغرب [4] يقول ابن خلدون[5] "وعلى هذا النيل (نيل السودان) أي النيجر ورافده" مدينة سلا وتكرور وغانة وكلها لهذا العهد فى مملكة مالي من أمم السودان وإلى بلادهم تسافر تجار المغرب الأقصى".لتتكون فى النهاية شبكة ممتدة ومتشعبة من الطرق التجارية* بين الشمال والجنوب ربطت كل مدن المغرب الإسلامي الكبرى بلا إستثناء ببلاد السودان [6] والتي من خلالها لعب المغرب الإسلامي دور الوساطة التجارية العالمية بين العالم الإسلامي وأوربا من ناحية وبلاد السودان من ناحية أخرى

---

**Africa, volume 2, edited by J.D Fage, Cambridge univeristy press, Cambridge, 1988 PP 652-3.**

[1] محمود إسماعيل : المرجع السابق ، الحريري: المرجع السابق ، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ٢ ، تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، منشأة المعارف، الإسكندرية سنة١٩٧٩ ، Levtzion Op.Cit PP 642-4 .

[2] محمود إسماعيل : المرجع السابق ، محمد محمد عبد القادر: دويلة بني مدرار، القاهرة سنة ١٩٨٩ صـ٤٨- ٤٩.

[3] Levtzion: Op. Cit, PP 647-8

[4] وهوما سيتضح خلال الصفحات التالية من البحث إن شاء الله .

[5] مقدمة ابن خلدون جـ١ بتحقيق د/ على عبد الواحد وافي، صـ٣٦٠.

* راجع هذه الطرق على الخريطة في الملحق رقم (٤)

[6] وقد كفانا فى الحديث عنه كل من تحدث عن التجارة الخارجية لبلاد المغرب وهم كثر، هذا فضلاً عمن خص هذا الموضوع بدراسة خاصة فى رسالته للماجستر عن طريق القوافل التي ربطت المغرب ببلاد السودان خلال العصور الوسطى،معتمداً على كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين، محدداً هذه الطرق فى المنطقة الشرقية من الصحراء والمنطقة الوسطى والمنطقة الغربية منها ودارساً للمراكز التجارية على جانبي الصحراء الشرقي والجنوبي وزاد بأن درس السلع المتبادلة خلال هذه الطرق موضحاً فى النهاية أثر هذه الطرق على الحياة الثقافية والإقتصادية فى المغرب والسودان راجع أحمد إلياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب، ماجستير ، آداب القاهرة قسم التاريخ سنة ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م غير منشورة .

وذلك من خلال أهله من المغاربة الذين نشطوا فى تجارة السودان[1] أو السفار من أهل المشرق الإسلامي أو حتى التجار الأوربيين فى القرون الأخيرة من العصور الوسطى، تلك الوساطة النشطة التي نقلت منتجات وبضائع العالم الإسلامي قاطبة وأوربا إلى بلاد السودان من خلال قوافل انتظم مرورها من الشمال إلى الجنوب لتعود محملة ببضائع السودان ومنتجاته[2].

والسؤال الملح علينا فى هذه الورقة ونحاول الإجابة عليه أين تجارة الملح من هذا النشاط التجاري بين المغرب وبلاد السودان؟

---

[1] إذ تعددت الإشارات فى مصادرنا التاريخية والفقهية وكتب التراجم عن تجار من المغرب ذهبوا إلى السودان متاجرين ، رغم تحذير الفقهاء من السفر إلى هذه البلاد أو الإقامة بها لعدم استنزاف خيرات المسلمين وتحرى الكسب الحلال فمنهم من عاد بثروات طائلة ومنهم من مات هناك ومنهم من أقام فى بلاد السودان. عن هذه الاشارات راجع على سبيل المثال لا الحصر: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم حـ١، تحقيق بشير البكوشي ومحمد العروسى المطوي، دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٩٤م صـ١٨٢، حـ٢ صـ١٠٢، صـ٢٨٤، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي :المستفاد من مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد صـ١٦٧، القاضي عياض السبتي: ترتيب المدارك حـ٤صـ٧٩، العمري : مسالك الأبصار ، حـ٤، صـ٢١١، عبد الرحمن بن خلدون تاريخ ابن خلدون م٦ صـ٦، صـ٢٣٦ ،صـ٢٣٨ الونشريسي: المعيار المغرب حـ٩ صـ١٦، حـ١٠ صـ١٣٥. وقد قام بعض المستشرقين بدراسة هذه الاتصالات التجارية ببلاد السودان وتتبعوها منذ البداية حتى ازدهار هذه العلاقات فى القرون المتأخرة ومنهم من ذكر أن تلك الاتصالات كانت مبكرة جداً قبل أن يقيم رجال الدين الحوار مع السودانين راجع عن ذلك
**Michel Brett: Islamic and Tarde in the Bilad Al Sudan, Tenth and Elevinth Century A.D, en Journal of African history, volume 24, 1983 Number 4 P 431 ff**

[2] إذ صدرت المغرب إلى بلاد السودان بالإضافة إلى الملح، النحاس ومسبوكاته والخرز والودع والقمح والتمور والفواكة المجففة والأكسية والثياب من الصوف والعمائم والزجاج والأصداف والأحجار الكريمة والعطور ... الخ واستورد المغاربة وحمل السودانيون إلى بلاد المغرب الذهب والرقيق والعاج، ريش النعام والعنبر وغيرها.عن السلع المتبادلة بين الطرفين راجع:- بوفيل : الممالك الإسلامية صـ١٤٨، ١٦٠ ،= =نعيم قداح:أفريقيا الغربية فى ظل الإسلام ، الجزائر سنة ١٩٧٥ طـ٢ صـ٧١-٧٢ ، عبد الرحمن زكي : الإسلام والمسلمون فى غرب أفريقيا ٢ مطبعة يوسف ، القاهرة سنة ١٩٦٧م صـ١٨، محمد زنبير: المغرب فى العصر الوسيط صـ٣٣١-٣٣٢، أمين توفيق الطيبي: دراسات صـ١٨٨-١٨٩، صـ٣٧٢. إبراهيم حركات: النشاط الإقتصادي صـ١٢٥، هوبكنز: التاريخ الإقتصادي صـ١٦١- ١٦٣. موريس لومبار : الإسلام فى مجده الأول صـ٣٣٧. أحمد إلياس حسين: المصدر السابق صـ١٤٤ وما بعدها ... الخ.

## أ-الملح في التجارة بين المغرب وبلاد السودان :-

نقول رغم أن مصادرنا تحدثت عن العلاقات التجارية المبكرة بين بلاد المغـرب وبـلاد السودان إلا أنها لم تهتم كثيراً بنوعية السلع المتبادلة بين الطرفين وخاصة السلع المصدرة مـن بلاد المغرب أكثر من اهتمامها بالذهب وتجارته، حيث ركزت عليه كأساس للتجارة بين المغرب والسودان، وتواترت معلوماتهم عن غنى بلاد السودان بهذا المعدن [١] وأن مدار سلوك الطـرق إلى الجنوب كان وراء هذه السلعة التي جذبت التجار من كل حدب وصوب من عالم الإسـلام وغيره، ولهذا توارت المعلومات عن الملح وتجارته مع بلاد السودان في القرون الأولى، ويبدو أن هذا الذي دفع بعض المحدثين[٢] إلى القول بأن استغلال مناجم الملح الصحراوية قد ازدهـر في القرن العاشر الميلادي / الرابع الهجري، ووجد الانتاج المعد للتبادل والتجـارة المنتظمـة. ولكن ليس معنى ذلك إنعدام تجارة الملح بين الطرفيين في القرون الأولى،خصوصاً أنه معلـوم عن بلاد السودان افتقارها الشديد للملح في العصور القديمة[٣] واستمر ذلك في العصور الوسطى والحديثة وهوما أثبتته لنا مصادرنا نفسها التي تحدثت عن تجارة الذهب المزدهرة بين الطرفيين فورد في أحداها أن الملح"معدوم في داخل السودان" [٤] "وليس في شيء من السودان الـوالجين في الجنوب المسامتين لسجلماسة وما ورائها ملح[٥] "وقال آخر" أما في بلاد السودان فلا يوجـد

---

[١] راجع على سبيل المثال: ابن عبد الحكم: المصدر السابق صـ٩٤، اليعقوبي أحمد بن جعفر بن وهب بـن واضح الكاتب المشهور باليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، المجلد الأول دار صادر ، بيروت ، بـدون صـ١٩٣-١٩٤ ، إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري : المسالك والممالك، تحقيق محمد صابر عبد العـال الحينـي، مراجعة محمد شفيق غربال ، سلسلة الذخائر رقم ١١٩، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة سـنة ٢٠٠٤ صـ٣٤، المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر،جـ٢،تحقيق مفيد محمـد قميحـه،دار الكتـب العلميـة بيروت١٩٨٦ صـ٢٧٢ ، ابن حوقل " صورة صـ٩٨، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، حـ٢، صـ١٢ ، ابن سعيد : بسط الأرض صـ٢٦، أبو الفدا : تقويم البلدان صـ٦٧٨، الدمشقي:نخبة الدهر صـ١١١، المقريزي : جني الأزهار صـ٧٥، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ، صـ٥٧.

[٢] McDougall. The view from Awdoghust و P20 .

[٣] راجع هويكنز: المرجع السابق صـ٢٩

[٤] العمري : مسالك حـ٤ صـ٢١١، القلقشندي: صبح الأعشى حـ٥ صـ ٢٩١.

[٥] العمري: المصدر السابق ، القلقشندي : المصدر السابق

منه شيء -أي الملح- وخاصة فى الجهات الداخلية[١] ، حتى صار الملح أثمن ما يهدى إلى الملوك[٢] وأثمن من أن يوضع على المائدة فى ملاحات بل كان يقطع قطعاً ويمسك باليد ليلحس مع الطعام المأكول فلا يطحن أبداً أو يرش خشية النفاد[٣].ولأهمية الملح القصوى ونفاسته عند السودانيين كان سلعة استراتيجية توضع لها الترتيبات الأمنية ويخزن فى المخازن الملكية حرصاً عليه وتدبيراً لتلك السلعة النادرة[٤].

وهذا ما يدفعنا حتماً إلى استنتاج هام وهو أن التجارة لم تكن أحادية السلعة أي أن المسلمين وغيرهم قد اتجهوا إلى بلاد السودان لجلب التبر أو الذهب الخالص دون حمل بضائع أو سلع أخرى مقابل هذا المعدن الثمين وإنما حمل المسلمون سلعاً متعددة وكان على رأسها الملح نظراً لاحتياج السودانيين إليه احتياجاً شديداً إلى حد أن ذكر أحد المحدثين[٥] أنه "إذا كانت تجارة الذهب انتشرت أكثر ما يكون لكن الملح كان للأفريقيين والسودانيين أكثر أهمية بكثير حتى لم يعد هناك من الأقوال أكثر من أن الذهب كان يقدر بواسطة السودانيين كقوة شرائية للملح، فكان أساس تجارتهم الداخلية والخارجية ولم تكن أحداهما أي تجارة الذهب والملح تتم تماماً دون الأخرى. مما ينم عن شدة احتياجهم لهذه المادة الضرورية لحياة الإنسان.

ويؤكد لنا ذلك ابن حوقل[٦] بقوله "وحاجتهم- أي ملوك السودان – إلى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية ديار الإسلام فإنه لا قوام لهم إلا به" وهذه المعلومة نفسها كانت من تباشير المعلومات عن الملح وتجارته مع بلاد السودان حيث بدأت بعدها المعلومات

---

[١] ابن الوزان الزياتي: وصف أفريقيا صـ٦٥٧.

[٢] ويذكر أن أحد التجار المسلمين المغاربة دخل بملح إلى بلاد السودان حتى وصل بالملح إلى مدينة من مدن كفار السودان فأهدى إلى ملكها شيئاً من الملح فقبله وبعث إليه بجاريتين من أحسن السودان صورة وذلك من أجل أن يذبحهما ويأكلهما على عادة أهل هذه المدينة ، وكان ذلك أغلى ما يهدى ، ولما حضر عنده بعد يومين قال له : بعثت إليك بجاريتين ما ذبحتهما فقال له: ما يحل هذا عندنا فقال :أي شيء ؟ قلت : لحم البقر والغنم فبعث ببقر وغنم وكل ذلك تقديراً لنفاسة الملح وأهميته راجع العمري : المصدر السابق جـ٤ صـ١٢٨.

[٣] الزياتي : المصدر السابق ، هوبكنز: المرجع السابق صـ٩٢.

[٤] هوبكنز : المرجع السابق .

[٥] بوفيل : الممالك الإسلامية صـ٣٠٤.

[٦] صورة صـ٩٨

تتواتر فى مصادر أخرى عن هذا النشاط فيحدثنا البكري[1] المتوفى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م عن إحدى مدن غانا وهي سلي فيذكر أن أهلها كانوا يتبايعون بالذرة وحلق النحاس وكذلك بـالملح القادم إليهم من الشمال. ويذكر عن بلاد القرويين أن الملح كان يبدل فيها بالـذهب[2]. ويجـسد تجارة الملح الإسلامية فى بلاد السودان وفى مدينة أوكارا الغانية [3] فيقول" ولملكهم على حمار الملح دينار ذهب فى إدخاله البلد وديناران فى إخراجه"[4]. ويذكر عن مدينة كوغة التي بينهـا وبين غانة مسيرة خمـس عـشرة مرحلـة أن "أكثـر مـا يتجهـز إليهـا بـالملح والـودع والنحاس"[5]ويتحدث عن أهل كوكو" جاو "[6] أن" تجارتهم بالملح وهو نقدهم والملح يحمل إليهم من بلاد البربر"[7] وفى أثناء حديث الإدريسي[8] عن مدينة أوليل معدن الملح أن منها يحمل الملح إلى جميع بلاد السودان" ويؤكد لنا ابن سعيد[9] هذه المعلومة بقوله عن أهل أوليـل" وتجـارتهم بالملح يصعدون به فى المراكب على شطوط النيل" ويقصد بذلك نهري السنغال والنيجر، ومـن خلال نشاط تجار أوليل فى تجارة الملح إلى السودان يؤكد العمري[10] أنهم يـستغلونها أفـضل استغلال بقوله "وبها ملاحة تمد جميع بلاد السودان" وينبأنا ياقوت الحموي وغيره [11]عن تجار يخرجون من مدينة سجلماسة يحملون ضمن تجارتهم إلى بلاد السودان الملح" ،ومـن ملاحـة تغازي كان يتجهز بالملح إلى بلاد السودان[12].

---

[1] المغرب صـ١٧٣.

[2] المصدر السابق صـ١٧٤، الحميري : الروض صـ٣٤٨.

[3] المصدر السابق

[4] المصدر السابق صـ١٧٦

[5] المصدر السابق صـ١٧٩

[6] راجع ما سيأتي عن هذه المدينة صـ٩٥ .

[7] المصدر السابق صـ١٨٣

[8] نزهة حـ١ صـ ١٦

[9] بسط الأرض صـ٢٤.

[10] مسالك حـ١ صـ٥١٤.

[11] معجم البلدان حـ٢ صـ١٢ العمري : المصدر السابق حـ٤ صـ ٢١١، العمـري : المـصدر الـسابق حـ٤ صـ٢١١ القلقشندي : صبح الإعشى حـ٥ صـ١٦٤.

[12] راجع ابن بطوطة: الرحلة حـ٢ صـ٧٧٣ . الزياني :وصف أفريقيا صـ ٥٤٠.

## ب- مراكز تجارة الملح بين المغرب والسودان :-

كل هذه المعلومات تؤكد لنا وجود تجارة رائجة للملح بين المغرب وبلاد السودان وإن كانت هذه المعلومات تقتصر فقط على تحديد مناطق المتاجرة مع بلاد السودان في الملح ، فإن هذا ما يدفعنا للحديث عن مراكزتجارة الملح ببلاد المغرب وكذلك بلاد السودان ولكن قبل أن نشرع في ذلك يجب أن نعرف مصادر الملح الموجه إلى بلاد السودان باستثناء معلومة ابن حوقل[1] عن علاقة ملوك السودان بملوك أودغست الصنهاجية والتي تفيدنا بأن تلك المدينة كانت تستقبل الملح من كل ديار الإسلام وتصدره إلى بلاد السودان، فإن المعلومات بعد ذلك نادرة عن هذا الموضوع فلم نجد ما يعزز تصدير الملح إلى بلاد السودان من شمالي المغرب وأن كانت معلومة ابن حوقل تنبأنا بأن بعض التجار يأتون بالملح من شمال المغرب للمتاجرة به في بلاد السودان فإن الجزء الأكبر من الملح المصدر إلى السودان كان يصدر من مناجم الجنوب، ولذا فإن هناك مدناً في الجنوب وعلى أطراف الصحراء منتجه للملح أومستقبلة له من مناطق إنتاجه حول تلك المدينة أو قريباً منها تخصصت في تصدير الملح إلى بلاد السودان، وفي المقابل كانت هناك مدناً سودانية عدت مراكز لاستقبال تجار الملح من المغاربة والتي قامت بنفس دور المدن الإسلامية بالمغرب في استقبال الملح وتوزيعه على بقية بلاد السودان وبالنسبة لمدن المغرب التي كانت بمثابة موانئ صحراوية لتصديرالملح إلى بلاد السودان نذكرها من المشرق إلى المغرب على النحو التالي:-

- **بالمـــا:-** وهي مدينة تابعة لإقليم كوار الذي قام بافتتاحه عقبة بن نافع ،اشتهر هووإقليم فزان كما ذكرنا باستخراج الملح ليس فقط في العصر الإسلامي منذ العصور القديمة أيضا وذلك لما يذكر من أن أهالي هذا الإقليم كانوا يستخرجون الأملاح بطريقة التبخير الشمسي وكذلك عن طريق الغلي للحصول على بلورات الملح النقية[2] وذكر أنهم كانوا يصدرونه إلى بلاد السودان[3] بعد أن راكموا هذه البلورات على هيئة اسطوانات ذكورية الشكل يلفها التجار

---

(١) المصدر السابق صـ٩٨.

(٢) عن هذا الموضوع راجع مولاي عمر: الماء والملح والكبش عندالأمازيغ بين الحفريات والميثولوجيا في الموقع www.atlaselmagrebmaktooblong.com ، كيرلانسكي: تاريخ الملح في العالم صـ٤١.

(٣) كيرلانسكي: المرجع السابق

الفزانيون بعناية فى حصر من قش وتنقلها القوافل عبر الصحراء[1] ولا شك أن هذا النشاط قد استمر فى العصور الوسطى ، ولكن يبدو أن الطريق التجاري الذي يمر فى تلك المنطقة[2] قد أثر بالسلب حين انقطاعه لأسباب طبيعية وأمنية على النشاط الإقتصادي التجاري منها والصناعي والتعديني ومنها استخراج الأملاح وبالتالي قلت عنها المعلومات فى مصادرنا التي بين أيدينا إلا أن مناجم الملح فى هذه المنطقة قد أخبر عن نشاطها التعدينى والتجارى كذلك في العصور الوسطى فيؤكد فيشر[3]وجود النشاط التعدينى فى الملح بمنطقة كوار وبالما في العصور السابقة لفترة دراسته عن علاقة المغرب الأدنى بوسط السودان من ١٠٥٠ – ١٦٠٠ م أى قبل القرن الحادي عشر / الخامس الهجرى وأن إنتاج بالما من الملح فى هذا الوقت كان من النوع الأبيض الممتاز ويؤكد على تصدير هذا المنتج إلى تشاد خلال القرن الثانى عشر الميلادي / السادس الهجرى[4] وإلى بلاد الهوسا منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجرى حيث كان النشاط الرئيسى لتجار أير من الطوارق[5] مما يؤكد استمرار الإنتاج والنشاط التجارى إلى بلاد السودان حتى أواخر العصور الوسطى ويؤيد هوبكنز [6] ما ذهب إليه فيشر حيث يقول بأن إمدادت السودان الغربى من الملح كانت من خمس مناطق رئيسية فى الصحراء أو بالقرب منها وعد من بينها بالما فى الشرق وأوليل فى الغرب وقد استمر ذلك النشاط فى العصور

---

[1] مولاي عمر : المرجع السابق

[2] راجع : ابن حوقل : المصدر السابق صـ٦٥.

[5] H. j Fisher: The Eastern Majhrib and the Central Suden , in The Cambridg History of Africa , Volume3 from 1050 c to 1 600 , edited by Roland Oliver , S.D p 208

[6] وذلك قياسا على ما ذكره الإدريسى من تصدير تلك المنطقة معدن الشب الجيد المعروف بالكوارى إلى تشاد فى هذا الوقت . راجع نزهة المشتاق صـ ١١٦،١١٨ .

[7] Fisher :Op.Cit 208

[8] التاريخ الإقتصادي صـ٩٢

الحديثة[1] وذكرت بالما أنها من أهم المدن المنتجة والمصدرة كذلك للملح إلى جنوب الصحراء وخاصة لمنطقتي برنو والهوسا[2] .

- **زويلة وزالة وورجلان**:- وكلها كانت مراكز انطلاق جنوبي المغربين الأدنى والأوسط للقوافل المتجهة إلى بلاد السودان [3] وبالذات إلى بلاد كوكو والتكرور وغانة محملة بالملح والنحاس والودع.[4] وقد لعبت وارجلان بالذات دوراً فاعلاً فى تجارة الملح مع السودان ومملكة غانة وذلك لما يذكره كل من الإدريسى[5] والحميري[6] من وجود طريق مباشر بينها وبين غانة وقد ازدهر هذا الطريق وترددت فيه القوافل منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وقد ساعد وجود تغازى وتاوديني- مركزي الملح فى الصحراء فى منتصف المسافة بين وارجلان وغانة- على إعطاء هذا الطريق أهمية خاصة مكنت القوافل من حمل الملح

---

(1) إذ يتأسف الرحالة المدعو Barth فى القرن التاسع عشر والذي زار المنطقة على خلو الطعام فيها من الملح أو أنه غير مملح عديما النكهة فى أرض إنتاجها وتجارتها كان الملح راجع ( Fisher: The Central Sahra P 86) وقد كانت صادرات بالما فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر من الملح سنوياً يتجاوز الخمسين ألف حمل جمل (هوبكنز: المرجع السابق صــ٩٣) وما زال إنتاج الملح وتصديره إلى النيجر مستمراً من بالما فى قوافل تسير شهرين كاملين فى مجموعات تضم الواحدة منها مائة جمل لمبادلة الملح ليس بالذهب ولكن بالمواشي راجع كيرلانسكي : تاريخ الملح صــ٣٣٢. ولا شك أن ذلك لأهمية الملح للسودانيين فى برنو والهوسا ومن شدة الاهتمام بالملح وكثرة الإتجار فيه وجدنا المعجم اللغوي للهوسا يتضمن أكثر من خمسين كلمة للدلالة على مختلف أنواع الملح راجع : نياني: أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر ، ضمن تاريخ أفريقيا العام – المجلد الرابع بيروت سنة ١٩٨٨ صــ٣٢ هامش ١٢٤.

(2) راجع بوفيل: الممالك الإسلامية صــ٣١٤، كيرلانسكي : تاريخ الملح صــ ٤٢ ، نياني: المرجع السابق صــ٣٠٢، Fiher:Op.Cit. ويذكر فيشر أن ملح بالما لم يكن على درجة عالية من الطيب ولكنه كان ذا أهمية كبيرة عند الهوسا Ibid .

(3) راجع الإدريسى: نزهة صــ٣١١، ابن سعيد : بسط صــ٦٠-٦١، المقريزي: جني الأزهار صــ٧٥،٧٣ ، أبو الفدا : تقويم صــ١٤١-١٤٣، القلشقندي : صبح جــ٥ صــ١٠٨.

(4) محمود إسماعيل : الخوارج صــ٢٨١.

(5) نزهة جــ١ صــ١٠٨.

(6) الروض صــ٦٠٠

والتزود به فى طريقها إلى مملكة غانة[1]، زد على ذلك ما يذكره الإدريسي [2] من اتصال وارجلان المباشر ببلاد وانجارا ومعلوم أن أهل وانجارا لا يبادلون ذهبهم إلا بالملح.

- **غدامس**:- وهي مدينة صحراوية جنوب بلاد الجريد[3] وقد اشتهرت هي الأخرى بالملاحات حولها والتى كان ملحها من النوع الصخري المفضل والذي كان يحمل إلى الشمال ويصدر إلى الخارج وبالذات إلى أوربا مفضلاً عن ملح البحر[4]، إلا أن الجغرافيين يشيرون إلى غدامس على أنها حصون على الجادة الموصلة إلى بلاد السودان وخاصة الكانم[5] هذا فضلاً عن جاو[6] ولذا كانت مصدرة أيضاً للملح وقد توارد أهالي فزان وغدامس وأوجلة على دولة مالي الإسلامية السودانية وبالذات العاصمة تمبكتو حاملين معهم المنسوجات والأحذية وغيرها بالإضافة إلى الملح [7] ومما يؤكد نشاطهم هذا أن ابن بطوطة[8] سافر من غدامس فى قافلة تجارية كبيرة من الغدامسيين إلى بلاد السودان.

- **تادمكة** :- من المدن الهامة فى منطقة أدرار الجبلية وهي أحد أسواق الصحراء الهامة. وأهلها برابر مسلمون يكثرون التجارة والسفر إلى بلاد السودان[9] وخاصة إلى غانة وجاو[10] وقد أطلق عليها المسلمون لذلك اسم السوق حيث كان التجار يأتون إليها من القيروان وغدامس[11] فى الشمال فضلاً عن تاهرت وورجلا [12] يحملون بضائع وسلع المنطقة وعلى

---

(1) أحمد إلياس حسين: العلاقات بين مملكة غانة والمغرب العربي صـ١٤٢.

(2) المصدر السابق

(3) القلقشندي : صبح جـ٥ صـ١٥٠.

(4) راجع Fisher: The Central Sahara and Sudan p86

(5) القلقشندي : المصدر السابق صـ١٥٠.

(6) Levtzion Op. Cit P650.

(7) الهادي مبروك : مملكة مالي صـ١٨٢.

(8) الرحلة ، جـ٢، صـ٧٣٧.

(9) ابن سعيد : بسط صـ٤٩.

(10) Levtzion:Op. Cit P 650

(11) بوفيل : الممالك صـ١٣٢، Levtzion: Op. Cit P 650

(12) Levtzion: The Western: P 349

رأسها الملح فيذكر البكري[1] أنه كان يحمل إليها الملح من بلاد البربر من مكان يقال له توتك حيث كان يستخرج الملح الصخري من باطن الأرض والمسافة بينهما ست مراحل وقد كان هذا الملح يحمل منها إلى بلاد كوكو (جاو) بالسودان.

- **سجلماسة**:- لم يذكر فى مصادرنا أن فى بسجلماسة ملح سوى أن أرضها كانت سبخية[2] مما يحتمل معه استخراج الملح منها، ولكن المدينة من ناحية أخرى كانت مركزاً مهماً فى تجارة الملح، فيذكر ابن حوقل[3] عن نشاطها التجاري مع السودان بأنه مستمر غير منقطع، ولهذا كانت عامرة بالتجارة والأرباح فيها متوافرة وكان الملح على رأس السلع الرابحة فى هذه المدينة والذي كان يحمله التجار إلى بلاد السودان[4]، وذلك بعد أن يأتيها من فاس[5] ومن الملاحات الموجودة فى صحراء صنهاجة والتي تبعد عن سجلماسة عشرين يوماً[6]، فيتجهز به التجار إلى بلاد غانة وسائر بلاد السودان[7]، وقد صار الطريق منها إلى بلاد السودان عن طريق تغازي من الطرق الرئيسية وذلك رغم طوله وصعوبته[8]،يقول أبو حامد الغرناطى " يحمل التجار إليهم أى السودانيين الملح على الجمال من الملح المعدن يخرجون من بلدة يقال لها سجلماسة آخر بلاد المغرب"[9] ولا شك أن ذلك راجع إلى أهمية المدينتين فى سلعة كثر الطلب عليها فى بلاد

---

(1) المغرب صـ١٨٣.

(2) راجع ما سبق صـ٣٣ من البحث.

(3) صورة صـ٩٦ راجع كذلك زين الدين أبو حفص عمر المعروف بابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، نشر هيلاندر – لندن سنة ١٨٢٣ صـ ١٥٨ .

(4) البكري: المصدر السابق صـ١٧١، ياقوت: معجم البلدان جـ٢ صـ١٢ العمري: مسالك ، جـ٤ صـ٢١١. القلقشندي: صبح جـ٥ صـ١٦٣- ١٦٤.

(5) هالة خيري الدقاق: دور قبائل المغرب الأوسط و الأقصى فى حركة التجارة إبان القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، ماجستير بمعهد الدراسات الأفريقية ، قسم التاريخ سنة٢٠٠٢م غير منشور.صـ٢١٤

(6) البكري : المصدر السابق ، ياقوت : المصدر السابق ، العمري : المصدر السابق.

(7) البكري: المصدر السابق

(8) راجع **Levtzion: The Sahara and the Sudan P 468**

(9) راجع الشيخ محمد بن عبد الرحيم المعروف بأبي حامد الغرناطى : تحفة الألباب ، نشر وتحقيق **Gabreil Ferrend : Journal Asiatique Juillet- Septembre, 1925, p 42**

السودان وهو الملح، الأولى بما يأتيها من خارجها تجارة والثانية بما تميزت بإنتاجها الوفير من الملح.

- **تاوده (تاوديني):** - من المدن الهامة المنتجة والمصدرة للملح إلى بلاد السودان والتي يذكر عنها المحدثون الذين أطلق عليها بعضهم اسم تغازي الجديدة[١] وآخر في تغازي الغزلان[٢] أنها استغلت بمناجمها في وقت توارى فيه دور تغازي في إنتاج الملح أي في العصر الحديث [٣] ولكن في ترجمة لأبي عبد الله محمد بن يعلى المتوفى سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م والمنسوب إلى هذه المدينة الصحراوية، وجاء أن هذه البلدة كان بها معدن الملح وأنه كان يحمل منها إلى سائر بلاد السودان[٤].

- **تغازي:** - مدينة الملح المشهورة الواقعة في صحراء نول لمطة من السوس الأقصى استغلت ملاحاتها منذ فترة مبكرة [٥] على الأقل من القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي وذلك بناء على ما ذكره البكري[٦] وهومن أهل القرن الخامس عن تغازي من أن ملاحاتها كانت ذات غلة وفيرة وعظيمة، ولكن بحلول القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي صار ملح تغازي ذا مشاركة فعالة قوية لسد حاجة السودانيين الملحة من الملح.

---

(١) نيقولا زيادة : المغرب والسودان : في أيام المنصور الذهبي ، مستلة من كتاب العيدي المئوي للجامعة الأمريكية سنة ١٩٦٧ صـ٥٩.

(٢) نيقولا زيادة: المرجع السابق صـ٥٩

(٣) مع أن تغازي نفسها ظلت تصدر الملح من القرن الثامن حتى استولى عليها المراكشيون سنة ١٩٨٥ راجع هوبكنز : التاريخ الإقتصادي صـ٩٣

(٤) الشريف محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس/جـ٣،تحقيق عبدالله كامل الكتاني وآخرون، الدائر البيضاء سنة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م ط٤ جـ٣ صـ١٣٦.

(٥) المغرب صـ١٧١، راجع كذلك :الحميري:الروض المعطار صـ٥٨٤.

(٦) إذ يذكر هوبكنز أنه ربما كانت تغازي المصدر الرئيسي للملح من القرن الثامن إلى أن استولى عليها المراكشيون ولكن لم يذكر مصدراً أعتمد عليه ولذا أخذنا بالأحوط استناداً على مصادرنا الإسلامية. راجع التاريخ الإقتصادي صـ٩٣.

وهذا ما دعى أحد المحدثين [1]، إلى القول أن بداية استغلال ملح تغازي كان خلال القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري. وفي كل الأحوال احتلت تغازي المركز الأول في إنتاج وتصدير الملح إلى ما حولها من بلاد وكذلك إلى بلاد السودان فيذكر البكري[2]" أن من ملاحاتها يتجهز بالملح إلى بلاد السودان وكان يأتيها التجار المتجهون إلى الجنوب ليحملوا منها الملح فمنها يمتار المسافرون الملح إلى بلاد السودان[3]. وخص ابن الوزان الزياتي[4] مدينة تمبكتو بملح تغازي وظلت تغازي المنتج الأول للملح والسوق الرائجة له والمصدر الأول للملح إلى بلاد السودان حتى منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي[5] ولذا قيل أنها رغم تواضع المدينة بل وحقارتها كان يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من الذهب الذي يبادل أو يشترى به الملح[6].

ورغم أن دور تغازي توارى قليلاً في النصف الثاني من القرن العاشر إلا أنها ظلت مصدراً هاماً للملح المصدر للسودان بدليل ما وقع من نزاع حربي بين السعديين ملوك المغرب الأقصى وملوك صنغاى عليها[7] لما تمثله من أهمية اقتصادية في هذه التجارة وظلت هكذا حتى هجرت في أواسط القرن الحادي عشر/ السابع عشر الميلادي لصالح منجم مدينة تاوديني القريب منها[8].

---

(1) **Mcdougall: The View from Audagust, P 21**

(2) المصدر السابق صـ ١٧١. راجع كذلك الحميري :الروض صـ٥٨٤.

(3) ابن سعيد: بسط صـ٤٧.

(4) وصف أفريقيا، صـ٥٤٠ راجع كذلك السلاوي: الاستقصا جـ صـ١١١، هوبكنز: التاريخ الإقتصادي. صـ٩٣.

(5) **Levtzion: The Western, P 468**

(6) ابن بطوطة : الرحلة جـ٢ صـ٧٧٣.

(7) الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران ابن عامر السعدى: تاريخ السودان ، تحقيق هوادس وتلميذه بنوه ، المدرسة الباريسية لتدريس الآداب الشرقية باريس ١٩٦٤م صـ١١١ ، ١٢٠ ، أبو فارس عبد العزيز الفشتالى : مناهل الصفا فى مآثر موالينا الشرفا ، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م ط٢ صـ١٢٠ وما بعدها: نيقولا زيادة : المصدر السابق صـ٥٨- ٥٩ ، بوفيل : الممالك الإسلامية صـ١٧٣ وما بعدها

(8) راجع الزياني: المصدر السابق صـ٥٢٩، هامش ١٣٩.

- **الدجيـــــل (العجيل):** ـ مدينة تقع الي الغرب من تغازي شمال أدرار[١] لم يردعنها شـيئ في مصادرنا الإسلامية المبكرة أو حتى المتأخرة إلا أن المحدثون[٢] ذكروا أن ملحها قد استغل في فترة مبكرة وكانت فى أولى المدن المصدرة للملح بعد إنتاجه إلى بـلاد الـسودان. ويـذكر هوبكنز[٣]، أن الملح الصخري كان يستخدم منها كما كان يستخرج من تغازي وتوديني وقد تمت تنمية الموارد فيها أي مناجم الملح وهي على عمق سبع طبقات فيما بين القرنيين الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين/ الخامس والتاسع الهجريين وكما استخدم عبيد مسوفة فى اسـتخراج الملح من مناجم تغازي استخدم أيضاً العبيد فى استخراج ملح الـدجيل لقطـع قـضبان الملـح وتحميلها[٤]، وقد أشير إلى استغلال هذا المنجم بواسطة Cadamastoالبرتغالي أحد قواد هنرى الملاح سنة ١٤٥٥م[٥]ويؤكد كل منLevizton [6]و Mcdougall [7]على ازدهار تجارة الملح فى هذه المدينة كمنتج وموزع له حيث كان التجار يأتوها من ودان المدينـة الرئيـسية لأدرار ويحملون ملحها إلى تاجنت وإلى والاته ثم إلى تمبكتوعاصمة مملكة مالي.

- **أودغســت:-**: مدينة على أطراف الصحراء الجنوبية قريبة جدا من بـلاد الـسودان . تصب فيها تجارة الشمال المصدرة إلى الجنوب ولذا ذكر أن لها أسواق جليلـة والـسفر إليهـا متصل من كل بلد قريبة من بلاد السودان[٨] قريبة جدا من مراكز إنتاج الملح فى الصحراء مثل تغازى وتاوديني ومؤخرا الدجيل (العجيل) . كذلك من أوليل معدن الملح على الساحل فبينهمـا مسافة شهر [٩] ولذا لعبت فى تجارة الملح بين المغرب والسودان دورا محوريا وذلك منذ فترة

---

(١) McDougall: Op.Cit P 20

(٢) راجع على سبيل المثال هوبكنز: التاريخ الإقتصادي صـ٩٣.

(٣) نفسه

(٤) نفسه، ويشير McDougall إلى أن هؤلاء العبيد كانوا من سكان مدينة أودغست الذين عرفـوا باسـم Manbinne وهم خليط من البربر والسونك وتبعا للقراءة التي أقرها أن الاسم مشتق من Max, sere, bin أي رجال الملك السود والذين وظفوا فى مناجم الملح فى الدجيل وعمال نقل لهذا الملح راجع Op. cit P 25

(٥) Levtzion:. Op.Cit P 450

(٦) Ibid

(٧) Op. Cit P 21

(٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ــ١٤٠.

(٩) ابن حوقل : المدر السابق صـ٩٥.

مبكرة فى هذه التجارة البينية ويمدنا ابن حوقل[١] بمعلومات غاية فـــى الأهميـــة مـــن مراكـــز أودغست فى تجارة الملح هذه ، فيذكر أن ملكها كان يخالط ملك غانة الغنى بما لديه من أمـــوال والمدخر من التبر وانه وغيره من ملوك السودان كانوا فى حاجة ماسة إلى أودغست وملوكهـــا من أجل الملح الخارج إليهم من ديار الإسلام فإنهم لا قوام لهم إلا به ، ولم لا وهو أساس فـــى طعامهم وهام جدا فى نشاطهم الإقتصادي فلا غنى عنه فى الطعام ولا فى الاقتصاد وخاصة أنه من المعلوم أن الملح كان يبادل الذهب ومن هنا كون ملوك غانة ثرواتهم وأموالهم من الـــذهب وغيره من وراء الملح القادم إليهم من بلاد الإسلام عن طريق أودغست[٢] فـــلا غرابـــة أذا إن فكر ملوك غانة فى الإستحواذ على هذه المدينة بعد أن بدا ضعف دولة انبيه الصنهاجية ونجحوا فى ذلك[٣] ولكن بقوا فيها إلى وقت قصير حيـــث اســـتردتها قـــوة أخـــرى صـــنهاجية وهـــم المرابطون[٤] الذين أعادوا الأمور إلى نصابها وأحيوا التبادل التجارى القديم على أســـاس مـــن التحكم فى مصير التجارة البينية بناء على المصلحة المتبادلة بينهم وبين ملوك غانة فهم يريدون الذهب وملوك غانة يريدون الملح ، ومن هنا ظهر دور أودغست الكبيـــر المتـــصاعد ويقـــرر ماكدوجال[٥] هذه الحقيقة حيث يذكر ان أودغست لعبت دورا هاما فى تجارة الملح تمامـــا تبعـــاً لدورها المتنامى من التبادل التجارى بين المغرب والسودان فى عهد مملكه غانة أو فـــى عهـــد المرابطين اذا اهتمت القوتان بالإنتاج وكذلك بالتجارة البينية بين المنطقتين[٦]. وظلت أودغست تقوم بهذا الدورالهام حتى بعد أن توارى دورها قليلاً خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عـــشر الميلادي نتيجة لاستغلال ملح الدجيل واستخراجه ونشاط تجارتـــه فـــى ودان وأدرار وتاجنـــت وشنقيط ووالاته.[٧] إذ كان هذا النشاط التجاري ينتهي إليها لتصدره هي إلى بـــلاد الـــسودان[٨]

---

(١) المدر السابق صـــ٩٨.

(٢) المصدر السابق

(٣) راجع هذه الأحداث ابن خلدون : تاريخه حـــ٦ صـــ٢٦٤ .

(٤) McDougall: The View PP 14-16

(٥) Op. Cit P 26

(٦) Levtzion: The Sahara p 653

(٧) Mcdougall :Op. Cit P 27

(٨) Op. Cit P 28

وذلك حتى تخلت عن دورها تماماً فى التجارة بعامة وفي تجارة الملح خاصة خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، لصالح مدن أخرى فى المنطقة مثل ودان التي استأثرت بكل تجارة الملح القادم من الدجيل[1]، بل أن البعض أعطى لها كل الـدور فـى اقتـصاد وتجـارة الصحراء[2] وقال آخرون أن والاته قد حلت محل أودغست فى تجارة العبور كلها [3] كما قـرر فريق ثالث أن أدرار قد أغتصبت دور أودغست المبكر فى تجارة الملح والعبيـد والـذهب[4]. والخلاصة أن دور أودغست فى تجارة الملح قد ورثته فى أواخر العصور الوسـطى وأوائـل الحديثة مدن أخرى ازدهرت فيها تجارة الملح نتيجة لظهور مناجم جديدة لهذا المعدن وخاصـة فى الدجيل وصدرته لبلاد السودان وخاصة إلى تمبكتو مثـل ودان وأدرار ووالاتـا وتاجنـت والدجيل.

- **أوليـــل** :- مدينة تقع فى صحراء صنهاجة الممتدة فى ديار جدالة على الساحل ، وقـد اشتهرت بأنها مدينة "معدن الملح"[5] استغلت مناجمها منذ فترة مبكرة استخراجاً وتجارة وذلـك منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي على الأقل[6]. وكان ملحها أسـاس لتجـارة هامـة متسعة مع الجنوب وبلاد السودان عامة ، فيقرر البكري وغيره [7] أنه من أوليل تحمل الرفـاق الملح إلى ما جاورها ، ويثبت آخرون[8] أن ملاحة أوليل مدت جميع بلاد السودان بالملح وذلك عن طريق البر والبحر أيضاً فيذكر الإدريسي فى نزهته [9] " أن المراكب تأتي إلى مرسى هذه المدينة على المحيط لتحمل بالملح وتسير به إلى سلى وتكرور وغانة وسائر بلاد ونغارة وكوغة وجميع بلاد السودان ". وقد قام أهلها بدور فاعل فى استخراج الملح وتجارته ببلاد الـسودان إذ

---

(١) Op. Cit P 29

(٢) Ibid

(٣) Ibid

(٤) Ibid

(٥) انظر : ابن حوقل، صورة ،صــ٩١، الإدريسى : نزهة حــ١ صــ١٠٨. العمري :مسالك حــ١ صــ٥١٤.

(٦) McDougall:Op. Cit P 20

(٧) المغرب صــ ١٧١، مجهول : الاستبصار صــ٢١٤.

(٨) الحميرى : الروض صــ٦٤ العمري :المسالك حــ١ صــ٥١٤.

(٩) حــ١صــ١٦.

يقول ابن سعيد[١] أن أوليل " سراج مدن البحار وعيش أهلها من السمك وتجارتهم بالملح ويصعدون به فى المراكب إلى البلاد التي على شطوط النيل " ولاشك أنه يقصد السير فى نهري السنغال ثم نهر النيجر وفروعه فى بلاد السودان ، وقد استمر هذا الدور لأوليل حتى أواخر العصور الوسطى رغم أن هذا الدور توارى قليلاً أما م الدور الذي قامت به تغازي فى تجارة الملح مع السودان بداية من القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري بفضل قبيلة مسوفة[٢]

**- والاتـه " ايوالاتن" :-** وهي في الأصل قرية بربرية سونكية صغيرة قريبة من أودغست ،انتقل إليها التجار المسلمين من غانة بعد تحرش ملك غانا بهم وعذب بعضهم[٣] فصارت بهم مركزا تجاريا هاما بعد أن نمت وتطورت من القرية إلى المدينة وكانت معبراً مهماً إلى بلاد السودان مثل أودغست وذلك لموقعها على الطريق الرئيسي للتجارة بين سجلماسة والسودان[٤] بل يذكر Levtzion[٥] أنها حلت محل أودغست كنهاية رئيسية لطريق القوافل الصحراوية القادمة من الشمال مع مطلع القرن الثالث عشر. وكان يقطنها السودانيون والمغاربة كذلك حيث هاجر إليها كل المغاربة التجار الذين كانوا يعيشون فى غانة بعد أن أنهار ملك غانة القديم بل ويقال أنهم هم الذين أسسوا هذا المركز التجاري الذي يبعد عن كومبى صالح عاصمة غانة بـ ١٥٠ميلا إلى الشمال الشرقي[٦].

ويؤكد إقامة المغاربة بها أن ابن بطوطة[٧] فى رحلته كتب إلى صديق له بها وكان من مدينة سلا ليؤجر له منزلا قبل الوصول إليها وأكد لنا كذلك أهميتها فى تجارة الملح بين المغرب والسودان إذ خرج منها ابن بطوطة[٨] ولا يحمل سوى الملح والخرز وبعض البضائع الأخرى

---

(١) بسط صـ٢٤

(٢) راجع فى ذلك، ابن بطوطة الرحلة جـ٢ صـ٧٧٣. Levtzion: The Sahara, P 652, McDougall:Op. Cit,P 2I .

(٣) راجع Levtzion: The Western PP 351-2

(٤) نيقولا زيادة: المعرب والسودان صـ٥٠-٥١ .

(٥) Op. cit PP 370- 3

(٦) فيج : تاريخ غرب أفريقيا صـ٥١.

(٧) رحلته جـ٢ صـ٧٧٦.

(٨) المصدر السابق صـ٧٧٩.

للمقايضة بها فى بلاد السودان ويجب أن نتذكر هنا أن مدينة والاته كانت المقر الجنوبي الأقصى لشركة إخوان المقري[١] حيث كان يقيم فيها اثنان منهم كبوابة رئيسية من بوابات التجارة مـــع بلاد السودان ولها دور فاعل فى التجارة عامة وتجارة الملح خاصة إذ يذكر Levtzion [٢] أن تجارها كانوا يجلبون الملح الواصل من الدجيل إلى تاجنت ويقومون بتوصيله إلـــى تمبكتـــو ، فضلاً عن المتاجرة به فى المدينة إذ يذكر ابن بطوطة[٣] أن الملح يحمل إليها مـــن الـــصحراء أحمالاً على الجمال يباع فيها الحمل الواحد بعشرة مثاقيل إلى ثمانية. وظلت المدينة هكذا طوال القرون المتأخرة من العصور الوسطى حتى تركها التجار شيئاً فـــشيئاً وذهبـــوا إلـــى تمبكتـــو وجاو[٤].

وكما كان هناك مدناً مغربية فى الصحراء وعلى أطرافها مثلت مراكز هامة فى تجارة الملح وتصديره إلى بلاد السودان وجدنا على أطراف السودان الغربي وداخله كذلك مدناً كانـــت لهـــا أهمية كبرى أيضاً فى تجارة الملح وتوزيعه على ما جاورها أو بعيداً عنها من مناطق السودان الداخلية والذين كانوا فى أشد الحاجة إلى الملح عن غيرهم من سودان الشمال ونذكر من هـــذه المدن من الشرق إلى المغرب:-

- **نيـــاني** :- من المراكز الهامة التجارية تقع فى منطقة إلتقاء نهر النيجرمع الـــسانكاراني[٥] ويرجع الفضل فى ازدهارها إلى تجارة الملح القادم من الشمال من بالما وفزان[٦] وقد كانت فى مرحلة من المراحل عاصمة لمملكة مالي الإسلامية حيث أشير إليها باســـم مـــالي فـــى هـــذه المرحلة[٧].

---

(١) راجع ما سياتى صـ ١٠٦.

(٢) OP. cit P 450

(٣) رحلته حـ٢ صـ ٧٧٣

(٤) ابن الوزان الزياتي: وصف صـ٥٣٦.

(٥) فيج: تاريخ غرب أفريقيا صـ٥٤

(٦) الهادي مبروك: مملكة مالي صـ٧٥..

(٧) راجع بوفيل : الممالك صـ١١٦، الهادي مبروك: المرجع السابق صـــ٧٥، فـــيج : المرجـــع الـــسابق صـ٥٤.

- **جـاو "كـوكـو":-** من المدن الهامة فى بلاد السودان التي انتشر فيها الإسلام منذ نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[1]، وتبعد عن تمبكتو بحوالي ٤٠٠ميل[2] يذكر عنها البكري[3] "أن تجارة أهلها بالملح وهو نقدهم كذلك " وقد كانت أكثر السلع التي تحمل إليها مع الودع والنحاس المسبوك[4] ويتأكد من واصف أفريقي[5] أن التجارة فيها قد استمرت مزدهرة حتى القرن التاسع الهجري/ السادس عشر الميلادي حيث يذكر أن التجارة كانوا يتجولون دائماً فى المنطقة ببضائعهم كما كان يقصدها عدد لا يحصى من السود الذين يجلبون كميات كبيرة من الذهب ليشتروا به أشياء وسلع متعددة مجلوبة من أوربا والمغرب أفاض فى ذكرها وذكر من بينها الملح الذي كان العشر[6] منه يساوي ديناراً فى هذه البلاد. وكان الملح وشدة الاحتياج إليه قد دفع حكام الصنغاي فى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى أن يحفظوه فى المخازن الملكية[7] وذلك لندرته عندهم وهوما يعني عندنا أن الحاجة إليه دفعتهم لتشجيع تجار المغرب على جلبة إليهم وحمله إلى العاصمة جاو فيما بعد القرن الرابع الهجري باستمرار.

---

(١) الهادي مبروك: مملكة مالي صـ٧٥.

(٢) على ما يذكر ابن الوزان في وصف أفريقيا صـ٥٤٣ وإن كان المحقق يذكر أنها تبعد بحوالي ٤٥٠كم تقريباً وليس ٤٠٠ميلاً التي توازي ٦٥٠كم . راجع هامش ٥٢ صـ٥٤٣.

(٣) المغرب صـ١٨٣.

(٤) البكري: المغرب صـ١٧٣، الاستبصار صـ٢٢٢.

(٥) ابن الوزان صـ٥٤٤.

(٦) يقصد العشر الإيطالي الذي يساوي عشرة أرطال أي ما يوازي ٣,٣٩كجم راجع ابن الوزان: وصف هامش ٥٦ صـ٥٤٤.

(٧) هوبكنز : التاريخ الإقتصادي صـ٩٢.

- **جنـــــي**[1]:- تقع جنوب غرب تمبكتو على نهر باني[2] وقد مثلت هي وتمبكتو ثقلاً اقتصادياً في مملكة مالي لما كانت تتقلانه من بضائع الشمال المغربي إلى بلاد السودان وخاصـــة مـــن الملح[3]، الذي ازدهرت تجارته بها وكان من السلع ذات القيمة المرتفعة جداً[4] وخصوصاً الملح القادم من تغازي والذي كان يبادل بالذهب فيها فيذكر السعدي[5] " أنها سوق عظيم من أســواق المسلمين وفيها يلتقى أرباب الملح من معدن تغازى وأرباب الذهب من معدن بــيط" [6] وذلــك لكثرة هذا المعدن فيها لأنها كانت ذات موقع هام لمصادر الذهب فى الجنوب فهي تقع فى بداية الطريق التجاري المتجه صوب الجنوب والجنوب الشرقي حيث مناجم الذهب فى لــوبى ومــا وراءها من مناطق منتجه للذهب[7].

وهوما كان سبباً فى رخائها الإقتصادي الذي جذب إليها التجار من الشمال المغربي والرفاق من كل الآفاق الحاملين للملح وتجارة المغرب فوجدوا فيها البركة " فوجد الناس بركتها فى التجارة إليها كثير وجمعوا فيها من الأموال ما لا يحصيه إلا الله "[8].

- **غانــــة:** -مدينة من مدن السودان الغربي تقع جنوب أودغست صار اسمها علماً على مملكة غانة السودانية وقد كان موقعها يماثل مدينة كومبي صالح الحديثة عاصمة غانة[9] وقد ارتــبط

---

[1] تأسست هذه المدينة فى القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري يقول عنها السعدى : كانــت أحــدى مدن أفريقيا الهامة وفيها تجار أكثر من المغرب ، راجع تاريخ السودان صـــ١٢ راجع كذلك بوفيل : الممالــك الإسلامية صـــ١٣٤، عبد الرحمن زكي: المسلمون فى غرب أفريقيا -٢- مطبعة يوسف القاهرة سنة ١٩٦٧ صـــ١١-١٢.

[2] فيج : تاريخ غرب فريقيا صـــ٥٥.

[3] راجع السعدي :تاريخ السودان صـــ ١٢ ،الهادي مبروك :المرجع السابق صـــ٤٦ .

[4] المرجع السابق .

[5] نفسه

[6] فيج : المرجع السابق

[7] نفسه.

[8] السعدى : المرجع السابق.

[9] راجع إبراهيم على طرخان : إمبراطورية غانة الإسلامية ، الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر – مصر سنة ١٩٧٠ صـــ ٣٤ – ٣٦ ك ، مادهو بانيكار : الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية فــى غــرب

اسمها عند الكتاب المسلمين بإنتاج الذهب وكثرته[1] فيها ولكن غانة لعبت دوراً تجارياً فى غاية الأهمية بالنسبة لتجارة الملح حيث كانت القوافل المغربية تصل إليها حاملة البضائع ولاسيما الملح لمبادلته بالذهب[2] إذ كان الملح يأتي إليها من المغرب وصحرائها وبالذات من تغازي [3] وأوليل [4] وقد شكل الملح لغانة وملوكها أهمية عظيمة كونوا من ورائه أموالاً طائلة حتى صار يضرب بهم المثل فى الغنى وكان يهادي من ورائه من ملوك السودان وخاصة ملوك كوغة[5] ولا شك أن ذلك لتحسين العلاقات من أجل تجارة الملح ومبادلته بالذهب الذي كان مدخراً عندهم تبراً خالصاً يزيده ملوكهم واحد بعد الآخر[6] ، إذ كانوا يبيعون هذا الملح بثمن مرتفع وربما بلغ الحمل من الملح فى دواخل بلاد السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلثمائة دينار[7]. وهو دليل قوي على أن غانة كانت من مراكز تجارة الملح وتوزيعه على بلاد السودان الداخلية[8]. كما كان غناها بالتبر ومجاورتها لأرض التبر سبباً لجلب التجارة واجتماعهم فيها ومنها كانوا يخرجون إلى بلاد التبر الذي من أجله جاءوا من الشمال حاملين الملح وغيره[9].

---

أفريقيا ، ترجمة وتعليق ومراجعة ، أحمد فؤاد بليغ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة سنة ١٩٩٨م. ص،٧٨-٧٩.

[1] راجع ابن حوقل : صورة صـ٩٨، اليعقوبي: تاريخ م١ صـ ١٩٤، البكري: المغرب صـ١٧٦- ١٧٧، مجهول : الاستبصار صـ-٢٢١، ياقوت: معجم البلدان حـ٢صـ١٢، ابن سعيد: بسط الأرض صـ٢٦ القزويني : آثار البلاد صـ٤٢، ٥٧،ابن الوردى : تاريخه ١٥٨ ، أبو الفدا : تقويم صـ١٧٨، الدمشقي: نخبة الدهر صـ١١١ ... وغيرها.

[2] ابن حوقل: صورة صـ٩٨.

[3] البكري : المصدر السابق صـ١٧١ ، الحميري : الروض صـ٥٨٤.

[4] البكري : المصدر السابق ، الإدريسي: المصدر السابق صـ١٦.

[5] ابن حوقل: المصدر السابق .

[6] نفسه

[7] نفسه

[8] راجع: Levtzion: Op. Cit P 671

[9] راجع اليعقوبي: المصدر السابق صـ١٩٤، القزويني : المصدر السابق صـ٤٢، ٥٧. راجع كذلك ابن الوردى : المصدر السابق

- **التكـــرور:** - مدينة ومملكة تقع إلى الغرب من غانا لا يعرف عنها إلا القليـل رغـم أن اسمها عند المسلمين كان الأكثر شيوعاً وخاصة بين الجغرافيين[1] ومدينة تكرورمدينة عظيمـة مشهورة على نهر السنغال الذي يقسمها نصفين[2] وكان لأهلها النشاط الملحوظ في التجارة بـين المغرب وبلاد السودان إذ كانوا يرسلون الذهب والرقيق إلى بلاد المغرب[3] ويذكر بوفيل[4] أنهم كانوا أكثر اهتماماً بتجارة أخرى وهي تجارة الملح الذي استورده من أوليل ليوزعوه على منطقة واسعة من السودان الغربي ولذلك شواهد في مصادرنا إذ يذكر الإدريسي [5] أن ملح أوليل كان يحمل بالمراكب إلى جميع السودان وكان من بينها مدينة التكرور .

- **وانجـــارا:** - مدينة الذهب في السودان، السر الأكبر الذي شغل بال الكتاب قديماً وحـديثاً[6] والتي لم يستطع المتعاملون في ذهب السودان من مسلمين وأوربيين فيما بعد معرفة مكانها على وجه التحديد[7]، فلم تكن معروفة إلا لفئة قليلة من الوسطاء السودانيين أنفسهم والذين حرصـوا على كتمان هذا السر على التجار المتعاملين معهم [8] فيما عرف باسم التجارة الصامتة[1] والتـي

---

[1] البكري : المصدر السابق صـ١٧٢، الإدريسي : المصدر السابق ، أبـو الفـدا : تقـويم صــ١٤٣،، القزويني : المصدر السابق صـ٢٦. ، ابن سعيد : بسط الأرض صـ٢٤.

[2] ابن سعيد : المصدر السابق

[3] بوفيل : الممالك صـ١١٢

[4] الممالك صـ١١٢

[5] نزهة جـ١ صـ١٦

[6] راجع بوفيل : الممالك صـ٢٤٧ وما بعدها.

[7] وإن كان البعض اجتهد في تحديد مكانها حديثاً فيرجع بوفيل (الممالك ٢٥٢) أنها تـشمل منطقتـين مـن أربع مناطق اشتهرت بإنتاج الذهب لمدة طويلة وهي بامبوك التي تقع بين السنغال الأعلـى وأنهـار فـاليمي Falme وبوري Bure عند ملتقى نهر النيجر الأعلى بفرعه المسمى تنكيسو ولوبى علـى الفولتـا العليـا واشانتي في داخل ساحل الذهب ، وهاتين المنطقتين هما بامبوك وبوري فيقول "في كل المناسـبات لا يوجـد مكان للشك من أن بامبوك وبوري معاً كونا وانجارا التي عرفها الجغرافيون العـرب مـع أن لـوبى كمكـان لوانجارا لها ادعاءات لا يمكن استبعادها .ويقطع فيج (تاريخ غرب أفريقيا صـ٤٥) أن طريق فـزان– بـلاد السودان الذي ينتهي عند الجانب الشرقي لانحناءه النيجر فيصل مباشرة إلى مناجم الذهب الرسوبية في أودية النيجر الأوسط وفي أودية السنغال وكان العرب يسمون هذه المنطقة باسم وانجارا التي كانت أقـرب نقطـة على نهر النيجر من الشمال الأفريقي بل وتمثل خط مواصلات طبيعي إلى مصادر الذهب.

[8] بوفيل : المرجع السابق صـ٢٤٧.

كان أحد أطرافها يقدم الذهب وهم أهل وانجارا والطرف الآخر وهم التجار من السودانيين ومن وصل إليهم من المغاربة الذين يقدمون إليهم ملح مغرب وصحراواتها .

ومن هنا لا يسعنا إلا أن نأخذ إلا بما أتى به الإدريسي[٢] فى نزهته عن موقعها العام إذ يذكر أن أرضها متصلة بمملكة غانة وذلك من شرقها وأن بين غانة وأول بلد ونقارة ثمانيـة أيـام[٣] ويذكر من عمالتها.مدينة كوغة[٤] التى حدد مدة السيرإليها من غانة بشهر ونصف[٥]، وعليه فقد كانت وانجارا بلد متسع على هيئة جزيرة تحيط بها مياه النيل "التجير وفروعه" من كـل جهـة سائر أنحاء السنة طولها ثلاث مائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلاً[٦]. وشهرة هذه الجزيـرة الكبرى جاءت من كونها بلاد الذهب الخالص "التبر" الموصوفة به كثرة وطيباً"[٧] وهوغلة أهلها وعليه يعولون ولذلك هم أغنياء لكثرته بأيديهم"[٨] ولهذا أمها تجار المغرب وغيرهم بـالخيرات" المجلوبة إليهم من أطراف الأرض وأقاصيها"[٩] ولكن كان أهم ما يحتاجه أهل وانجارا ويفتقرون إليه افتقاراً شديداً هوالملح والذي تجهز به التجار المغاربة والسودانيون الوسطاء من الـصحراء إليها فيذكرها الإدريسي[١٠] ضمن المدن التي كان يصلها ملح أوليل، ولا شك أن أملاح المـدن الأخرى مثل تغازي وتاوديني والدجيل وغيرها قد وصلت إلى وانجارا وذلك بعـد أن تـوارى دوراً أوليل قليلاً فى أواخر العصور الوسطى ، ولم يكن الملح بالسلعة التي يستغنى عنها أهـل وانجارا ولذلك آثروه على غيره من السلع فيؤكد بوفيل[١١] "أن منتجي الذهب فى وانجـارا لـم

---

(١) راجع ما سيأتي صـ١١٨.

(٢) صـ٢٣ ، ٢٤

(٣) المصدر السابق صـ ٢٤

(٤) المصدر السابق صـ ٢٧ ، ١٠٥

(٥) المصدر السابق صـ ٢٧

(٦) الإدريسي : المصدر السابق صـ٢٤

(٧) المصدر السابق صـ٢٣

(٨) المصدر السابق صـ٢٥.

(٩) الإدريسى : المصدر السابق .

(١٠) المصدر السابق صـ١٦.

(١١) الممالك الإسلامية صـ٩٣.

يكونوا يبادلون به غير الملح" ومن هنا أقبلوا على استخراج الذهب واستهانوا بكمياته الكبيرة مقابل الملح إلى حد أنهم كانوا يبادلونه وزنة بوزنة"[1]

ويشير بعض المحدثين[2] إلى أن أهل وانجارا كانوا يعملون بدور الوساطة فى تجارة الملح بين التجار القادمين من الشمال وهم المسلمين والوسطاء السودانيين وبين دواخل السودان البعيدة وهوما يعني الدور الرائد لوانجارا فى تجارة الملح فى السودان إذا كانت مركزاً للاستهلاك فضلاً عن الاتجار .

- **تمبكتو:-** مدينة ذات شهرة كبيرة ومكانة خاصة فى التجارة بين المغرب وبلاد السودان وقد أهلها موقعها على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى على منحنى نهر النيجر للعب هذا الدور التجاري ولهذا كانت حلقة وصل بين المغرب والسودان فكانت ملتقى للقوافل القادمة من الشمال وتجار السودان من الجنوب[3] ومن هنا كانت التجارة تمثل المصدر الرئيسي لسكانها الذين هيأوا كل أسباب الراحة للتجار القادمين من الشمال فتحولوا إليها منذ تأسيسها[4] بعد أن كانوا يقصدون والاته[5] وقد أمها تجار صنهاجة جميعها[6] وتوافد عليها تجار درعة وسوس وسجلماسة وفاس[7] وفزان وغدامس وورجلة وطرابلس وتوات وغيرها[8] ولهذا عرفت بميناء الصحراء[9] الذي

---

[1] البكري : المغرب صـ١٧٤، العمري : مسالك حـ٤ صـ١٢٨، القلقشندي: صبح الأعشى حـ٥ صـ٢١١. محمد عبد الفتاح إبراهيم: صفحات من التاريخ الأفريقي أفريقيا فى السنغال إلى جوبا ، القاهرة سنة ١٩٦١ صـ٩٥.

[2] راجع Kevin shillington:History of Africa, Mecmillen,1999 P 98, Levtzion: Western PP 369. 375

[3] محمد عبد الفتاح: المرجع السابق صـ١٠٤ ، Levtzion Op.Cit,P 374, McDougall:Op.Cit p21

[4] اختلف فى وقت تأسيس المدينة وأغلب الأراء تذكر أنها تأسست أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي على أيدي طوارق مقشرن راجع الهادي مبروك: مملكة مالي صـ٩١.

[5] الهادي مبروك : المرجع السابق صـ٩٦

[6] من مسوفة وجدالة ولمتونة السعدى: المرجع السابق صـ٢١ راجع الهادي مبروك : المرجع السابق .

[7] السعدى: المرجع السابق ، بوفيل : الممالك الإسلامية صـ١٢٠.

[8] السعدى: المرجع السابق، حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا صـ١٨٣ ، الهادي مبروك : المرجع السابق .

[9] محمد عبد الفتاح : المرجع السابق صـ١٠٤.

حطت فيه بضائع الشمال وكان على رأسها الملح مدار التجارة البينية بين المغرب والسودان وأكثر ما كان يأتيها من تغازي[1] وقد ذكر شاهد عيان أن الحمل التغازي(٤ ألواح) كان يباع بـ ٨٠ دينار[2] ثم من تاوديني إذ ترددت عليها قوافل الملح من هاتين الجهتين ليحمل بعد ذلك إلى داخل السودان عن طريق الوسطاء أوعن طريق تجار المغرب أنفسهم . فلا عجب بعد ذلك أن يقول فيج[3] عنها وعن مدينتي جاو وجني "أنها مثلت شبكة التجارة فى السودان الغربي".

## ج- اهتمام الحكام بتجارة الملح مع السودان:-

بين مراكز تجارة الملح واستخراجه في بلاد المغرب والصحراء وبين مراكز تجارته فى أطراف الصحراء الجنوبية وبلاد السودان ترددت القوافل التجارية التي تحمل الملح كسلعة رئيسية في بضائعها أو تحمله مفرداً ولذا أسميناها قوافل الملح وسلكت الطرق بين هذه المراكز التي يمكن أن نطلق عليها أيضاً طرق الملح وبالذات فيما بين الصحراء والسودان

وذلك لازدهار تجارة الملح المقابل لذهب السودان تلك السلعة التى صارت قوافلها أشهر القوافل فى فترة الدراسة بعكس الذهب رغم شهرة تجارته فما وجدنا بين أيدينا من مصادر أو فيما كتب حديثا فى النشاط الإقتصادي بالمغرب وعلاقته بالسودان مكتوب تحدث عن قافلة الذهب أو لأي سلعة أخرى كانت تصدر أو تأتى إلى المغرب ، وذلك من قبيل أن القافلة التجارية الصحراوية فى الذهاب والإياب كانت تحمل سلعا متعددة ،ولكن كانت هناك بعض السلع قد حازت نصيب الأسد فى هذه القوافل التجارية العابرة للصحراء جنوباً أو شمالاً مثل الذهب الذى كان يعبر الصحراء شمال ولكن مع سلع أخرى مثل العاج والدقيق وغيرهما ومع ذلك لم نجد قافلة تسمى قافلة الذهب،وذلك بعكس الملح القادم من الشمال قد غلب اسمه على القوافل التى تحمله وغيره من السلع أو كانت تحمله مفردا وخاصة من مدن الصحراء المنتجة له إلى السودان ولهذا حق لنا استعمال اسم قوافل الملح على القوافل المتجهة إلى السودان والتى ما بقى لنا إلا الحديث عنها والتي ما كانت لتترد إلا لأهمية السلعة التى كانت تحملها خصوصاً وكما سنعلم أنها تعرضت لمخاطر ومشاق وطول الطريق أي مصاعب جمة ، كما كان استمرارها أيضاً مرتبطاً إلى حد كبير باهتمام الحكام على كلا الطرفين نظراً لأهمية السلعتين المتاجر بهما أو المتبادلين خاصة

---

(١) الوزان : وصف صـ٥٤٠.

(٢) ابن الوزان: المصدر السابق .

(٣) تاريخ غرب أفريقيا: صـ٦٤.

وهما الذهب الذي يحتاجه حكام المغرب والملح الذي كان ملوك السودان فى حاجة ماسة إليــه، ولذا كانت العلاقات فى مجملها طيبة من أجل المحافظة على ديمومة سير القوافل بين المنطقتين و بذل حكام الطرفين مجهودات كبيرة من أجل ذلك[1] نلمسه جيدا منذ القرن الخامس الهجرى / الحادي عشر الميلادى إذا أن مصادرنا قبل ذلك القرن قد أمدتنا بمعلومات ذات أهمية عن الملح وتجارته مع السودان وقوافله التى تحمله وإن كان ذلك لا ينفى وجود هذه التجارة كما ذكرنا آنفا ، إلا أن مصادرنا أفصحت بعد ذلك عن القوافل التى تعبر بحر الصحراء من مدن المغــرب أو موانئه على هذا البحر إلى الموانى على الشاطئ الأخر حيث مرتكزات تجــارة الملــح ومــدن توزيعه ولاشك أن ذلك راجع إلى ازدياد الطلب على الذهب من جانب الحكام المــسلمين تلــك المادة الثمينة التى لا يمكن الحصول عليها إلا بتوفير الملح الذى ازداد الطلب عليه أيضاً فى بلاد السودان[2] إلى حد أن حاولت إحدى دول السودان وهي مملكة غانة كسر احتكار تجارة الملح من جانب قوى الشمال المغربى من زناته وذلك بالاستيلاء على المدينة الرئيسية فى هــذه التجــارة وهي مدينة أودغست وتحقق لها ذلك[3] ولكن بعد وقت قصير خرجت من الصحراء قوة مــن صنهاجية غيرت مجرى الأحداث ومسار الأمور بالمنطقة وهي قوة المرابطين والتى استطاعت أن تحتكر طرق التجارة إلى السودان الغربي وفرضوا أنفسهم لحماية المتاجر التى تعبرها مــن المغرب إلى السودان [4] كما ان طريق المحيط زادت أهميته وبدأت القوافل تسلكه وهــو يمــر بديار جداله ولمتونه[5] فكانت النتيجة أن تحكمت قبائل المرابطين بهذه الطرق بــل واحتكــرت التجارة بين المغرب والسودان[6] بل وناضلوا مملكة غانة وغيرها من الممالك الزنجية دفاعا عن

---

[1] راجع **Levtzion : The sahara, P 650**

[2] راجــع **Levtzion: Op.Cit p 667, Baril Davidson : Africa in hiatory Themes and outlines, London (S.D) p 75,, philip Curtun and Othrs: Op. Cit, p 94**

[3] **ابن خلدون : العبر م صــ٢٦٤ ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين صــ٦٩-٧٠ فيج: تــاريخ غــرب أفريقيا صــ٤٧-٤٨.**

[4] **راجع هوبكنز : المرجع السابق صــ١٦٩-١٧٠**

[5] **حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ، صفحة مشرقه من تاريخ المغرب فى العصور الوســطى، دار الفكر العربي القاهرة سنة ١٩٩٦م ط٢ صــ٨١.**

[6] **حسن أحمد محمود: المرجع السابق صــ٤٧، ٨١.**

الثروات التى تأتيهم من هذه الطرق التجارية ولما لبثوا أن انتزعوا مدينة أودغست من غانـة[1] وهوالأمر الذى وفر الأمن والأمان فى الطرق السالكة إلى الجنوب لقوافل التجارة وتزيد علـى ذلك أن رجال الملثمين مثل قبيلة لمطة بسطوا نفوذهم على المنطقة الممتدة من جبال درن حتى وادي نون محتلين بذلك موقعاً ممتاز يسيطر على الطريق التجاري الهام الذي يـسير بجـوار البحر[2] وأنشأوا مدينة نول لمطة التى أصبحت من أهم المراكز التجارية وخاصة لقربها مـن مراكز إنتاج الملح فى المنطقة تلك السلعة الهامة لبلاد السودان والتجارة معها [3] وقبيلة جدالـة إلى الجنوب من مضارب لمطة والتي وصلت ديارها إلى قرب حوض السنغال وبذلك سيطرت على النهايات الجنوبية للطرق التجارية الهامة بين الشمال والجنوب[4] أما قبيلة مسوفة فقد امتدت ديارها بين سجلماسة فى الشمال وأودغست فى الجنوب ممتدة شرقاً حتى تـصل إلـى تادمكـة وكوكو فسيطرت بذلك على الطريق الجنوبي بين سجلماسة وأودغست حتى زمن ابن بطوطة [5] وفرضوا أنفسهم كأدلاء وتجار ومستخرجين للملح من مراكزه فى الصحراء عن طريق عبيدهم والتى كانت فى نفس الوقت على طرق التجارة المتجهة إلى السودان وقوافلها[6]مما زاد الأمـان للتجار فى المنطقة وصدق أحد المحدثين[7] حين قال "ضمنت دولة المرابطين لتجارة القوافل كل شروط النجاح "، ونضيف لذلك انها ضمنت لنفسها مورداً هاماً جداً للذهب الذى يأتيهـا مـن الجنوب ساعدها في ضرب دينار كان له قيمته العالمية المعتبرة[8] وذلك بفضل تجارة الملح مع

---

(1) البكري:المغرب صـ ١٦٨ ، حسن محمود: المرجع السابق صـ ٧١، ٨١، ١٣٢ عبد الـرحمن زكـي : الإسلام والمسلمون فى غرب أفريقيا ، صـ٢١.

(2) حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا صـ١٧٢.

(3) راجع حسن محمود : المرجع السابق صـ٨١.

(4) حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا صـ١٧٢ ، قيام دولة المرابطين صـ٤٧.

(5) حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص٤٧.

(6) عن دور قبائل الملثمين فى تجارة الصحراء راجع، حسن محمود : قيام دولة المرابطين صـ٤٦- ٤٨ ، صـ٨٠- ٨١ .فيج : تاريخ غرب أفريقيا صـ٥٥

(7) محمد زنيبر : المغرب فى العصر الوسيط ، Levtzion:The sahara P 650

(8) إذ كان ذا وزن عال ما بين ٤,١٠ إلى ٤,٧٢ وهى الأوزان التى عرفت بها مـشاهير الـدنانيرفى عـالم العصر الوسيط مثل دينار عبد الملك بن مروان والدنانير الأغلبية وقد تميز هذا الدينار المرابطى والذى عرف بنفس الاسم فى أوربا الغربية بنسبة الذهب العالية فيه والتى وصلت إلى ٩٥% ولهذا انتشر انتشاراً واسـعاً

السودان وفى هذا الصدد يذكر مكدوجال[1]"انه اذا كان الملح فى السابق للهدايا والنوايا الحسنة لكنه أخيرا صار ضروريا لمواد الطعام وللتصدير المربح ومصدر للضرائب وفي بعض المناطق استخدم ملح الصحراء كعملة متداولة فكانت السيطرة عليه والتحكم فيه ضرورة استراتيجية للحكومات وهوما فطن له المرابطون كما رأينا ومن بعدهم الموحدون الذين خلفوا المرابطين فى الاهتمام بطرق التجارة وتوفير الأمان لمرتاديها بشتى الطرق الممكنة [2] ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الضرب على أيدي قطاع الطرق ولصوص القوافل فيروى معاصر لهذه الفترة "القرن السادس الهجرى / الثانى عشر ميلادى وهوابن حمويه السرخسى[3] عن شاهد عيان وهوأحد الفقهاء وقوله دخلت على السيد أبي الربيع سليمان[4] بقصر سجلماسة

---

فى عالم العصور الوسطى كعملة محلية ودولية بحيث صار العملة الوحيدة المعترف بها فى الغرب المسيحى فى جميع الميادين وكان إقبال الناس عليه كبيرا ولهذا عثر على كميات كبيرة منه فى شمال إسبانيا وغرب فرنسا وقد استمر استعمال هذا الدينار فى أوربا الغربية حتى بداية القرن السادس عشر الميلادي/العاشر الهجرى، عن الدينار المرابطي وانتشاره وخصائصه راجع صالح بن قربة :انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحي في القرون الوسطى ، ضمن ندوة الغرب الإسلامى والغرب المسيحى خلال القرون الوسطى ، تنسيق محمد حمام ، منشورات كلية الأداب ، الرباط سنة ١٩٧٠ صـ١٧٥-١٨٠، الحبيب الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي (الحياة الإقتصادية والاجتماعية) ، سلسلةعالم المعرفة ٣١٩ لسنة ٢٠٠٥ صـ٢٢٥- ٢٢٦ راجع كذلك Levtzion:The Western, P 348

(١) Op. Cit PP 20- 21

(٢) Levtzion: Op. Cit p 348

(٣) هو أبو أحمدعبد الله بن عمر بن حمويه السرخسى المولود سنة ٥٧٢هـ، شيخ الشيوخ بدمشق، أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين، له مؤلفات وكتب عدة منها "أصول الأشياء والسياسة الملوكية "وكانت له رحلة إلى المغرب حيث كانت أمه منها بدأها سنة ٥٩٣هـ وبقى فى المغرب حتى وفاة يعقوب المنصور ثم عاد إلى الشام سنة ٦٠٠هـ راجع ترجمته ، أحمد بن علي المقري التلمساني: نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، حـ٣، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت سنة ١٩٩٧ ط٢ صـ٩٩ وما بعدها.

(٤) هو أبو الربيع سليمان بن عبد المؤمن بن علي، كان شاعراً وقائداً حربياً شارك فى الأعمال الحربية ضد بني غانية ومن ولاة بني عبد المؤمن الناجحين فى بجاية ثم فى سجلماسة، حسن السياسة يقظاً ، وصفه السرخسي" بهي المنظر ، حسن المخبر ، فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية" وأورد له بعض الأشعار راجع ما كتبه عنه السرخسي وسيرته من المقري : نفح الطيب حـ٣ صـ١٠٥ – ١٠٧.

وبين يديه أنطاع عليها رءوس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار من سلجماسة إلى غانة وهو ينكت الأرض بقضيب من الأبنوس[1] .

ومن وسائل توفير الأمان لقوافل التجارة أيضا الحرص على إقامة علاقات ودية مع ملوك السودان فى دولة مالى ومن تبعهم من ملوك وذلك حرصا على استرسال التجارة والجلاية فى السفر بين المغرب والسودان وليس أدل على ذلك عندنا من رسالة بعث بها سابق الذكر أبو الربيع سليمان وكان يلى مدينة سلجماسة وما يليها إلى ملك السودان "مالى" بغانة [2] ينكر عليه تعويق التجار ويعكس فلسفة الموحدين من وراء حسن سياسية الجوار وحسن معاملة التجار فيقول له " نحن نتجاور بالإحسان وان تخالفنا فى الأديان ونتفق على السيرة المرضية ونتألف على الرفق بالرعية ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك فى حكم السياسة الفاضلة والجور لا تعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده ،وتردد الجلابة إلى البلد مفيد لسكانها ومعين على التمكين من استيطانها ولو شئنا لاحتبسنا من فى جهاتنا من أهل تلك الناحية لكننا لا نستصوب فعله ولا ينبغى لنا أن ننهى عن خلق ونأتى مثله والسلام"[3] .

وقد سار ورثة الموحدين ببلاد المغرب على منوال أسلافهم فى حفظ ورعاية طرق التجارة الموصلة إلى بلاد السودان فرغم الخلافات التى كانت بينهم إلا أن تجارة السودان جمعتهم على الاهتمام بها نظرا إلى أهميتها بالنسبة لاقتصاد دولهم فبالنسبة للحفصيين يشير ابن خلدون [4] إلى علاقتهم الطيبة المستمرة مع ملوك السودان وخاصة مع ملوك زغاوة والكانم فيقول "كانت لهم مهادنة مع الدوله الحفصية منذ أولها " ويبدو أن الحفصيين رضوا بتلك المهادنة حرصا على

---

(1) المقري : المصدر السابق صـ ١٠٧

(2) وهو Sumanguru Konto وهو من أسرة Niak hate التي خلفت قبيلة الـ Diafonke فـي حكـم غانة ويذكر أنه تحرش بالتجار من المسلمين وعذب بعضهم فهرب التجار من غانة إلى Biro وهـي قريـة سونكية صغيرة عرفت بالاسم البربري والاته بعد ذلك راجع Levtzion :The Western Maghrib PP 351-2

(3) المقرى : المصدر السابق صـ١٠٥

(4) تاريخه حـ ٦ صـ٢٣٥ .

التجارة البينية بينهما والمحافظة على المكاسب من ورائها [1] واستمر ذلك حتى أخر دولتهم ومعه استمرت القوافل والتجارة بين الطرفين .

أما عن الزيانيين بتلمسان فان قصة شركة إخوان المقرى[2] تدل دلالة واضحة على حسن العلاقات والجوار بين الطرفين واستمرار التجارة وسير التجار بين الدولتين حتى إن إخوان المقرى اتصلوا بملك التكرور فأكرم مثواهم ومكن مقيمهم فى ولاته من التجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الأحب والخلاصة الأقرب وصار يكاتب من بتلمسان منهم يستقصى منهم مآربه فيخاطبه بمثل هذه المخاطبة ولم تقتصر مخاطبتهم على ملوك التكرور بل خاطبهم أيضا ملوك المغرب ويذكر حفيدهم المقرى صاحب النفح أنه [3]"عنده من كتبه أي ملك التكرور وكتب ملوك المغرب والملوك الزيانيين ما ينبئ عن ذلك" ونتيجة لكل ذلك يقول المقرى[4] "فلما استوثقوا من الملوك تذللت لهم الأرض للسلوك فخرجت أموالهم عن الحد وكادت تفوق الحصر والعد" .

ومما يذكر فى اهتمام بنى زيان بأمور تجارة الصحراء أن أبا حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن(٧٠٧-٧١٨هـ/١٣٠٧-١٣١٨م) أوجب حفظ أمن التجار الذين يسلكون الطريق إلى السودان[5] لأنه كان عارفا بشئون التجارة ويكرم أهلها ويتمنى لو أنه بقى فى بلاده تاجر فكان يقول "لولا الشناعة لم أزل فى بلادى تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذى كل أمر الدنيا له تبع"[6]وفى هذا إشارة صريحة على إزدهار التجارة البينية بين المغرب الأوسط وبلاد السودان برعاية بنى زيان وملوك السودان.

أما عن سلاطين بنى مرين من المغرب الأقصى فقد كان لهم اهتمام خاص بالتجارة مع السودان من أجل ذلك كانت لهم علاقتهم السياسية مع ملوكها طيبة جدا وكان يتبادلون السفارات

---

[1] للمزيد راجع منى سيد عبد العزيز: الحياة الاجتماعية والإقتصادية بالدولة الحفصية. صـ ١٤٦ وما بعدها.

[2] المقري : نفح جـ ٥ صـ٢٠٦.

[3] م ٥ صـ٢٠٦

[4] نفسه

[5] Levtzion : Op.Cit . p369

[6] نفسه

فى الانتصارات والانكسارات مما يدل على عمق العلاقات الطيبة ومنها على سبيل المثال لما تمكن السلطان أبو الحسن المرينى من الاستيلاء على تلمسان ٧٣٢هـ/١٣٣٤م بادر معاصره منسا موسى بإرسال وفدا من أهل مملكته للتهنئة بهذا الانتصار فقابل أبو الحسن المرينى الوفد بكل ترحاب وأكرم وفادتهم وشملهم بكريم رعايته[١] ولكن أثناء وجود الوفد وردت أخبار بوفاة منسا موسى فحزن السلطان المرينى لذلك وتعبيرا عن هذا الحزن ومجاملة للسلطان الجديد أرسل وفدا برئاسة كاتب الديوان محملة بالهدايا الثمينة من تحف المغرب وخزائن دار السلطان[٢] وتوطيدا لتلك الأواصر رد منسا سليمان الملك الجديد بسفارة إلى السلطان المرينى أبى الحسن [٣]واستمرت هذه السفارات بين الطرفين مدللة على حسن العلائق وطيب الجوار[٤] ولذا صارت القوافل بين الشمال والجنوب فى أمان تام دون خشية الخلافات السياسية التى قد تلحق بهم الإضرار ثم أن بنى مرين حرصوا كل الحرص على تأمين طرق التجارة ودأبوا على الضرب على أيدي كل من تسول له نفسه الاعتداء على الأموال ويذكر فى ذلك أن السلطان أبا يوسف يعقوب توجه سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م إلى منطقة درعة فى الطريق إلى بلاد السودان لتأديب بعض القبائل العربية التى تعتدى على الأموال الناس بل نقلهم معه إلى مراكش وجعلهم تحت رقابته [٥] كما سهروا على تأمين الطرق بين المدن المختلفة [٦] حتى قال ابن مرزوق [٧]"فلا يزال المسافر كأنه فى بيته وبين أهله فى ذهابه وإقباله" ولهذا كله سارت القوافل فى أمن

---

(١) ابن خلدون : تاريخه حـ ٦ صـ ٢٣٩، الناصري : الاستقصا ، حـ٢ صـ ١٥١- ١٥٢.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، الناصري : المصدر السابق صـ ١٥٢

(٣) الهادي مبروك: مملكة مالي صـ١٤٧.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق ، للمزيد عن هذه العلائق الطيبة راجع محمد عبد العال أحمد: منسا موسى سلطان التكرور ورحلة حجه الشهيرة ، القاهرة سنة ١٩٨٧م،صـ٣٢ وما بعدها

(٥) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب صـ ٤٠١.

(٦) وذلك من خلال ما عرف عندهم باسم الرتب وهي عبارة عن خيام تقام على مسافات متساوية تقدر باثني عشر ميلا للحراسة وتوفير الزاد والطعام ورتبوا كذلك فرقاً عرفت باسم الغرباء مهمتها حراسة الطرق وخدمتها راجع ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ،دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ،تقديم محمود بو عياد ،الجزائر ١٩٨١،صـ٤٢٩.

راجع الملحق رقم (٥) .

(٧) ابن مرزوق :المصدر السابق

وأمان وازدهرت معها تجارة الملح بين المغرب والسودان وما بقى لنا إلا أن نتحـدث عـن قوافلها .

## د ـ قـــــوافل الملح* :-

توافرت إذا العوامل التى شجعت التجار السفار من المغامرين للاتجاه إلـى الجنـوب فـى رحلاتهم الطويلة فبعد الإرادة القوية والشجاعة اللازمين لمواجهة أخطار الصحراء تـوفر لهـم الأمن والأمان فى الطريق بفضل اهتمام الحكام والحرص على تجارة الجنوب فتنطلق القوافـل بعد اجتماع التجار وبعد أخذ قرار السفر يوقروا أحمالهم على الجمال [١] ذلك الحيـوان الـذى صار أساسا فى تجارة القوافل لقوته وشدة تحمله [٢] تلك الجمال التى تختلف أعدادها من قافلـة إلى أخرى[٣] ولكن كلما كانت القافلة كبيرة العدد من التجار والإبل كان من الأفضل وهـو مـا حرص عليه السفار ، لان ذلك يتيح لهما خلال الطريق الطويل التغلب على الكثير من المخاطر وبالذات من الطبيعة الصعبة للمحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم كما يتيح لهم ذلك حسن التنظيم وتوزيع الاختصاصات بين أفراد الركب حتى بين الإبل التى خصص بعضها لحمل البـضائع والبعض الثانى لحمل قرب المياه والثالث لحمل الطعام وزاد الطريق[٤]وهكذا .
وفى العادة كانت تنطلق القوافل فى الصباح الباكر ويغدو الركب فى السير ويجدون فى ذلك إلى أن تشتد الحرارة حين ذاك تتوقف القافلة من أجل الاستراحة [٥] وكانوا يتخيرون أماكن تتـوافر

---

(١) يذكر المؤرخون المحدثون أن الجمل تواجد فى بلاد المغرب والصحراء قبل الفتح الإسـلامي وأنـه كـان موجوداً منذ القرن الأول قبل الميلاد وكان معروفاً خلال القرون الأولى المسيحية فى شمال أفريقيـا وتوسـع المسلمون فى استعماله وقال البعض عن استخدامه للجمل أنه كان أعظم ابتكار أدخله المسلمون فى النقـل ،. عن الجمل وتاريخه فى الشمال الأفريقي راجع فيج: تاريخ غرب أفريقيا صـ ٤٢، بوفيل : الممالك الإسلامية صـ ٧٥، هوبكنز : التاريخ الإقتصادي صـ ١٤٢، ١٥٨ ، كيرلانسكي: تاريخ الملح صـ٤.

(٢) راجع : هوبكنز: التاريخ الإقتصادي صـ١٤٢- ١٤٣ ، Kevin shillington: History of Africa .P78-79, 81.

(٣) فيذكر الإدريسى على سبيل المثال أن التجار كانوا يسوقون ما بين السبعين إلى المائة جمل راجع النزهـة جـ١ صـ٢٣٢.

(٤) ابن بطوطة : الرحلة جـ ٢ صـ٧٩٧.

(٥) الإدريسي : المصدر السابق صـ١٠٧.

فيها المياه للتزود والكلأ والعشب للإبل حتى تتقوت[1]ثم تنطلق القافلة بعد ذلك جادة فى السير حتى يغشاها الليل فتحط الرحال من جديد إلى الفجر[2] وهكذا تكون أيام الرحلة الطويلة التى لا تقل عن عشرة أيام وتزيد عن شهور عدة يؤخذ ذلك من تحديد ابن حوقل [3] الأوقات بين المدن الرئيسية فى شمال المغرب والمنطلق منها إلى الجنوب فمن فاس إلى سجلماسة ثلاثة عشر مرحله ومن سجلماسة إلى أودغست شهران ومن زويلة إلى فزان خمس عشرة مرحله ....إلخ

وهكذا حتى تصل القافلة إلى مدن موانئ الصحراء الشمالية سجلماسة مثلا فهناك من التجار من يبيع إلى تجار القوافل المتجهين إلى الجنوب أولأهل مدينة سجلماسة ويعود إلى الشمال مره أخرى ومنهم من يحمل بضائعهم من الملح وغيره ويشارك فى قافلة جديدة متجهة إلى السودان رغم الأرض الموحشة الأقطار المجهولة المسالك فى هذا الطريق إلا أن التاجر يسلكها رغم خطرها وما يحمله على ذلك إلا الفائدة العظيمة في السودان فأنهم يتوجهون بما لا قيمة له عندهم ويعودون بالذهب الصامت وقر ركائبهم[4] لتقطع القافلة الجديدة شهورا أخرى عبر الصحراء والفيافي الموحشة التى لا أنيس فيها[5] فيذكر انه بين زويلة وميرندا داخل السودان شهران[6] ومن فزان إلى زغاوة شهران[7] ومن سجلماسة إلى أودغست شهران[8]ومن أودغست إلى غانة بضعة عشر يوما[9] ومن غانة إلى كوغة شهر ومن كوغة إلى سامة دون الشهر[10] ويحدد لنا صاحب تحفة الألباب[11] هذه الشهور التى تستغرقها

(1) الإدريسي : المصدر السابق صـ ١٨ صـ١٠٧ ، ابن بطوطة : الرحلة جـ ٢ صـ٧٧٤.

(2) الإدريسي : المصدر السابق صـ١٠٧.

(3) صورة الأرض صـ ٩١.

(4) العمري : مسالك جـ٤ صـ ١٢٩- ١٣٠.

(5) المصدر السابق صـ١٠٧

(6) ابن حوقل : صورة صـ٩١

(7) ابن حوقل : المصدر السابق

(8) نفسه

(9) نفسه

(10) نفسه

(11) ابو حامد الغرناطي:تحفة صـ٤٢

الرحلة بستة أشهر كاملة يقطعها أهل المغرب من بلادهم إلى بلاد السودان فى هذه الصحراوات. ........إلخ

ويلاحظ انه عند نهاية المرحلة الأولى فى الطريق إلى السودان وعندما تحط القوافل رحالها فى الموانئ شمال الصحراء ان الملح فى هذه القوافل كان سلعة ضمن سلع القافلة ولكن عندما تبدأ مرحلتها الثانية من هذه الموانئ يكون الملح على رأس هذه السلع فيذكر العمري[1] عن سجلماسة أن " فيها يدخل التجار إلى بلاد السودان بالملح والنحاس والودع ويذكر أخرون[2] ان التجار يسافرون من مدينة سجلماسة إلى مدينة على حدود السودان يقال لها غانة وجهازهم الملح وعقد الخشب والصنوبر وغيرها من السلع أو يكون هو الأوحد فى القافلة علي الأقل منذ أن تحط هذه القوافل رحالها فى مدن إنتاج الملح فى الصحراء كمدينة تغازى على سبيل المثال التى كان عمالها يستخرجون الملح على هيئه ألواح ويحتفظون به حتى تأتى القوافل لتشتريه منهم وتمكث على الأقل ثلاثة أيام أي الوقت اللازم لتحميل الملح [3] ولكن السؤال لماذا يحرص التجار المسافرون إلى السودان على حمل الملح بهذا الشكل؟

لاشك ان هناك أسبابا موضوعيةدعت أولئك التجار إلى فعل ذلك نجملها فيما يلى :-

١- إن التاجر السفارعلى درجه كبيرة من تنظيم أموره وترتيب أحواله حرصا على الربح وتجنبا للخسارة ومن ثم كان يرنو ببصره دائما للسلعة التى تجلب إليه الربح، ومن خلال أسفاره المتتالية يعرف حاجة سوق كل بلد يحط فيه فيحمل إليه ما يحتاجه هذا السوق ووصل البعض فى هذا الصدد إلى تكوين شركات تجارية لها مقرات فى مدن التجارة الرئيسية فى طريق السودان كانت على اتصال دائم ببعضها البعض وذلك من أجل تنظيم القوافل وتحميلها بالسلع التى يحتاجها السوق ومعرفة الأسعار ومدى ارتفاعها أو انخفاضها كل ذلك لضمان الربحية العالية والمثل الواضح عندنا فى ذلك شركه إخوان المقرى أجداد المقرى صاحب نفح الطيب أيام الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط وهم خمسه من ولد يحيى بن عبد الرحمن أبى بكر بن على المقرى عقدوا الشركة بينهم فى جميع ما ملكوه أو ما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال ووزعوا أنفسهم على مدن التجارة الرئيسية إلى السودان آنذاك فكان أبو بكر ومحمد الجدين

---

[1] مسالك حـ ٤ صـ١٢٩.

[2] راجع ياقوت : معجم البلدان حـ٢ صـ١٢.

[3] ابن الوزان:وصف أفريقيا صـ ٥٤٠.

المباشرين لصاحب النفح بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلى وهما الشقيقان الصغيران بايوالاتن "والاته"[1]، يقول المقرى[2] فكان التلمسانى يبعث إلى الصحرواى أى الذى بوالاته بما يرسم له من السلع أى السلع التى عليها الطلب فى السودان ويبعث إليه الصحرواى بالجلد والعاج والجوز والتبر، أما وظيفة من بسجلماسة يمدها معا بالأسعار وأحوال التجارة فى البلدان فكان كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكاتبها بأحوال التجار وأخبار البلدان "وذلك حتى اتسعت أموالهم وارتفعت فى الضخامة أحوالهم[3] "ولهذا ربحت تجارتهم فى السودان وغيرهم من التجار لأنهم وجدوا سوقا متعطشة لهذه السلعة الهامة وهى الملح ولذا صاروا على يقين بأن هذه ستباع ولا ترد ولن يخسروا من ورائها ولهذا أقبل الجميع على حملها مع غيرها أو مفردة ومما يثبت لنا كل ذلك عمليا حسبة بسيطة أجراها أحد المحدثين وهوDevisse على أساس النص الذى ذكره ابن حوقل لما يحمله الجمل الواحد من الملح وهوحسب تقديره ما بين ١٢٥:١٥٠ كيلو بحوالى ٢٠٠ إلى ٣٠٠ دينار يقول ديفيس" أننا إذا أمام ملح يساوى ثمنا غاليا جدا فإذا قدرنا أن الدينار يزن قيمته المتوسطة ٣,٨٠ جرام يكون حمل الجمل يساوى فى حده الأدنى ٧٦٠ جرما من الذهب وفى حده الأعلى ١١٤٠جراماً [4].

٢- إن حسن التنظيم ومعرفة أحوال بلاد السودان من جانب التجار جعلهم يدركون جيدا أن ملح بلاد السودان قليل وينتج عندهم فى مناطق من الصعب الحصول على ملحها وبالذات الأكثر بعدا عن المغرب الذين انعدم الملح عندهم ومصادره الرئيسية بعيده عنهم[5] فيذكر العمرى[6]عن مملكة مالى أن الملح عندهم موجود بخلاف الجوانيين" ومن ثم حرص التجار على حمل الملح الذى ارتفعت أسعاره كلما ازداد توغل التاجر فى بلاد السودان كما سنرى.

---

[1] راجع المقرى : نفح الطيب جـ٥ صـ٢٠٥

[2] المصدر السابق

[3] نفسه

[4] راجع محمد زنيبر : المغرب فى العصر الوسيط صـ٤١٢.

[5] هوبكنز: التاريخ الإقتصادي صـ ٩٢، نياني : المرجع السابق صـ١٨١.

[6] مسالك الأبصار ، م٤ صـ١١٣ .

٣-فطن التجار المسلمون أن السودانيين كانوا يفضلون الملح الصخرى عن ذلك الجريش الذى كان يحمله تاجر الملح من الشمال[١] ومن ثم لجأ أغلبهم إلى التصرف فيما معهم من ملح مدن الشمال إلا إذا كان ما معه صخريا ثم يصحب قوافل السودان ليشترى غيره من مقاطع الملح الصخرى المنتشرة فى الصحراء الذى كان مقدرا جدا ومطلوبا داخل السودان[٢]ليحمله إلى بلاد السودان ويبادله هناك بالذهب ويمكن أن نزيد على ذلك أن الملح الصخرى لا يفسد بطول الطريق كالملح الجريش[٣] فلا يسبب أية خسائر لهذا التاجر ومن ثم أقبل على حمله دون غيره حتى من السلع الأخرى.

كما أن هذا التاجر أدرك أهمية الملح وخاصة الصخرى منه لأهل السودان لأن منهم من كان يستعمله نقودا ويتصارف به بعد تقطيعه أو تشكيله[٤] ومن هنا لم يخش بوار تجارته بل كان ينظر إلى المزيد من الأرباح من حمل هذه السلعة النفيسة والرائج تجارتها داخل السودان.
لكل هذا واصل التجار رحلتهم من خلال القوافل بعد أن يتم تحميل الملح وخاصة الصخرى منه من مناطق إنتاجه المنتشرة فى الصحراء مثل تغازى أو تاوديني حيث كان الجمل الواحد يحمل لوحين اثنين[٥] أو أربعه ألواح[٦] وهو ما يدفعنا إلى القول بأن الجمل كان يحمل حسب قوته واعتبارات المسافة واعتبارات أخرى ترجع إلى المشتغلين فى استخراج هذا الملح ما دلتنا عليه إحدى فتاوى الونشريسى[٧] من أنهم كانوا يحملون الجمل لوحين أحدهما على الجانب الإيمن والأخر على الجانب الأيسر ويسمون ذلك حمل ملح وهي أحمال مختلفة الأنواع ومختلفة فى الكبر والصغر موزنة كانت أو تقاس بالشبر فيقولون مثلاً خمسة أشبار فى طول اللوح وثلاثة

---

(١) الهادي مبروك: مملكة مالي صـ١٣٧ ويذكر المؤلف أنه زار مدينة تمبكتو ورأي أن أهل تمبكتو على هذا الحال حتى الآن بل أن سعر الملح الألواح أغلى من الملح الجريش، راجع هامش ١ صـ١٣٧.

(٢) Fisher: Op.Cit p 86, Mcdougall: Op. Cit, P 20

(٣) Ivor Wilks: Wangara, Akan and Portuguse in the Fifteenth and Sixteenth Centuries, (II) The Struggle for Tarde, in Journul of African history Vol 23, Cambridge University Press, Great Britain, 1982. P 463

(٤) ابن بطوطة : رحلته حـ٢ صـ ٧٧٣.

(٥) نفسه.

(٦) ابن الوزان الزياني : وصف صـ٥٢٦

(٧) المعيار حـ٥ صـ١٣٦- ١٣٧ .

أشبار فى عرضه فهي ليست غليظة جداً ولا رقيقة جداً وسطاً كما تعارف بينهم ، وفـــى كـل الأحوال تسير القافله في طريق طويل جدا أو ربما فى أوقات صعبه فـــى صـــحارى وفيـافي وبرارى منقطعة قليلة المياه والمرعى يقول ابن حوقل [1] "وبين المغرب والبلاد التى ذكرت وبلد السودان مفاوز وبرارى منقطعة قليلة المياه متعذرة المرعى لا يسلكها التجار وحسب قولـه إلا في الشتاء ، تخفيفا للمعاناة أو لأنه فصل تتوقف فيه الملاحة البحرية فيتجه التجار إلى الملاحـة البرية والقوافل كما ذكر جواتيابن[2] ، ودلل على ذلك بكثرة القوافل التى كانت تمر بـسجلماسة فى هذا الفصل وعددها بثلاثة قادمة من الجنوب[3]، ولكن ذلك يعنى عندنا عدم الارتباط بوقـت للإنطلاق والسفر وإلا متى تعود هذه القوافل إلى الجنوب ؟ ومن نزهة الإدريسى[4] يتأكد لدينا أن تلك القوافل كانت تسير فى الصيف والخريف والربيع كذلك كما أن هناك شواهد كثيرة عنـد غيره من الجغرافيين والرحالة يؤكد على أن تلك المسالك تسلك فى غير الشتاء فينقل أبوالفدا[5] عن ابن سعيد " وغربي أودغست صحراء يقطعها المسافرون بين سجلماسة وغانة وهى طويلة عريضة يكابدون فيها شده العطش والوهج وربما هبت عليهم ريح جنوبية فتقشفت مياههم بقربهم " وقد لمس ابن بطوطة بنفسه تلك المتاعب فى رحلته إلي السودان ٨٥٣هـ/١٤٤٨م والتى يتأكد منها أنها صيفية فهو يستعد من فاس لتلك الرحلة الشاقة بعلف جماله أربعة اشهر كاملة[6] وسار فى رفقة جماعة من تجار سجلماسة قاطعين الصحراء[7] حتى وصلوا إلى مدينة الملح تغـازى بعد خمسة وعشرين يوما وأقام بها عشر أيام[8] استقوا منها ورفعوا معهم الماء استعداد لـدخول الصحراء التى بعدها وهى مسيرة عـشر أيام لا ماء فيها إلا النادر فإذا وجدوا مكانـا يـصلح

---

(١) صورة الأرض صـ ١٠٠.

(٢) دراسات فى التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق د/ عطية القوصي، الكويت سـنة ١٩٨٠ صـ٢١٩.

(٣) نفسه

(٤) راجع الصفحات مثلا صـ١٠٧–١٠٨ ، راجع كـذلك Roland Oliver, Anthony Atmore: The Africa in Middle ages, P 7.

(٥) تقويم البلدان صـ ١٥٥– ١٥٦.

(٦) رحلته جـ ٢ صـ٧٧٣

(٧) نفسه

(٨) نفسه

الرعى رعوا فيه الدواب[1] وقطعوها حتى وصلوا إلى تاسرهلا حيث تنزل القوافل القادمة من الشمال لاشتمالها على الماء حيث استراحوا ثلاثة أيام وأصلحوا أسقيتهم وملؤها بالماء وخيطوها بالتلاليس خوف الريح أن تجفها [2] ومن هذا المكان أرسلوا دليلهم ليتقدمهم إلى ايوالاتن حيث يخبر الناس ليخرجوا للقائهم بالماء على مسيرة أربعة أيام يقول ابن بطوطة[3] وربما هلك صاحب التكشيف وهو الدلال فى هذه الصحراء الممتدة بين تاسرهلا وايوالاتن فلا يعلم أهل ايوالاتين بالقافلة فيهلك أهلها أو الكثير منهم فى تلك الصحراء الثائرة رمالها وفى أخرها قابلهم الناس بالماء [4] ولكنهم بعد ذلك دخلوا صحراء شديدة الحر ولذا كانوا يسيرون من صلاة العصر ويسرون ليلا حتى الصباح وذلك حتى وصلوا إلى ايوالاتن بعد سفر متواصل استمرشهرين كاملين منذ خروجهم من سجلماسة[5] ويؤكد لنا ما يلاقيه تجار الملح من متاعب ابن الوزان الزياتى[6] إذ أعطانا جزءا آخراً من الصورة حيث يذكر أنه حول الآبار غالبا ما ترى جلود حيوانات وعظام لأخرى نافقة من شدة الجهد والتعب ولم يقتصر ذلك على الحيوانات بل شمل ذلك أيضا الإنسان حيث كانت تهب فى فصل الصيف الرياح الجنوبية العاصفة التى تطمرالآبار بالرمال فلا يجد لها التجار اثرا ولذا كان فيهم من يموت عطشا وتتناثر جثثهم هنا وهناك تحرقها أشعة الشمس المحرقة .ولكن أولئك المغامرين من التجار تغلبوا على تلك المشاكل وخاصة مشكلة المياه وقلتها بسبب انطمار الآبار وتنشيف الرياح لقرب المياه رغم حفظها بأنهم كانوا يحتالون بأن يصطحبوا معهم جمالا فارغة من الأحمال ويعطشونها قبل ورودهم الماء الذى يدخلون منه فى تلك البرارى ثم يوردوها على الماء فتنهل منه حتى تمتلأ أجوافها ثم يشدون أفواهها كى لا تجتر فتبقى الرطوبة فى أجوافها فإذا نشف ما فى أسقيتهم واحتاجوا إلى الماء نحروا جملا جملا وترمقوا بما فى بطونها وأسرعوا بالسير حتى يردوا مياه

---

(١) المصدر السابق صـ٧٧٤.

(٢) نفسه

(٣) نفسه

(٤) المصدر السابق صـ٧٧٥.

(٥) المصدر السابق صـ٧٧٦

(٦) نقلا عن بوفيل : المماليك صـ١٩٨.

أخرى يحملوها منها فى أسقيتهم[1] وهكذا حتى يصلوا إلى الموضع الذى يحجز بينهم وبين أسواق الملح وأصحاب التبر[2] ولعل ما يؤكد لنا معاناة تجار الملح وقوافلهم فى الصحراء[3] ويثبت لنا كذلك انتظام هذه القوافل دون انقطاع ما قاله السلطان المنصور السعدى المتوفى ١٠١٢هـ/١٦٠٣م لمن حوله والذين عارضوا حملته على السودان متعللين بالبعد البين واتساع الصحراوات التى لا ماء فيها ولا مرعى وأخطار الطريق[4] "إنكم تتحدثون عن أخطار الصحراء التى نجتازها مثل الوحدة القاتلة وقلة الماء و المرعى ولكنكم نسيتم أن التجار الذين لا يملكون استعدادا كاستعداد الجنود يقطعون هذه الصحراء فى انتظام راكبين وراجلين ولم يتوقفوا يوما عنها[5] كما أكد كلام المنصور السعدى ما ورد عن انتظام القوافل طوال العصور الوسطى فى المصادر وكتب للرحلات مثلما جاء عند ابن حوقل[6] فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادي" وسالكها أى الصحراء فى حينه متصل السفر دائم الورود و الصدور" وذلك رغم الصعوبات ورحلة ابن بطوطة تثبت لنا وثائقيا وعمليا استمرارية هذه القوافل اذا تنبأنا أن الرجل سلك طريق الصحراء أثناء رحلته إلى بلاد السودان مع رفقة وتجار من مدينة سجلماسة ، وكذلك سفرة ابن الوزان فى بداية العصور الحديثة تؤكد عدم انقطاعها ، وتأتى رحله بارث Barth فى القرن التاسع عشر لتدمغ استمراريتها طوال العصورالحديثة إذ وصل الرجل إلى بلاد السودان فى صحبة إحدى قوافل الملح من بالما والمكونة من ثلاثة آلاف حمل بعير والذى أكد أنها رحلة سنوية وقدر الواردات من ملح النطرون بما لا يقل عن حمولة ألفي بعير[7] ويورد هوبكنز[1]،ان تلك القوافل استمرت حتى أواخر القرن

---

[1] القزويني: آثار البلاد صـ١٩ راجع كذلك أبو الفدا : تقديم صـ١٥٥-١٥٦.

[2] القزويني: المصدر السابق .

[3] وعلى الرغم من هذه المعاناة إلا أننا لم نسمع عن قافلة كاملة تاهت فى الصحراء أو قضى عليها العطش مما يدل على التنظيم الجيد والاستعداد التام من جانب التجار لهذه الرحلات الشاقة بعكس ما حدث فى العصور الحديثة فيذكر أنه فى سنة ١٨٠٥م هلكت قافلة مكونة من ألفي رجل و ٨٠٠ جملاً فى الطريق من تمبكتو إلى تغازي وذلك لقلة الماء وعطش رجالها وجمالهم. راجع بوفيل : الممالك الإسلامية صـ٣٠٤.

[4] راجع الفشتالى : مناهل الصفا صـ١٢٦-١٢٧

[5] الفشتالى : المرجع السابق صـ١٢٧ الناصري السلاوي : الاستقصا، جـ ٢ صـ ١١٣.

[6] صورة الأرض صـ١٠٠.

[7] راجع عبدالله عبد الرازق إبراهيم : الإسلام والحضارة صـ١٨٣

التاسع عشر ما بين تمبكتو وتاوديني والعكس وكانت تشتمل خمسة وعشرين أو ثلاثين ألف جمل وتحمل ما بين أربعة وخمسة آلاف طن من الملح من تاوديني .

وتكتب أوديت بوبنادو ١٩٣٧م بما يؤكد انتظام هذه القوافل حتى القرن الماضى فقد كتبت عن رحلتها الشخصية واشتراكها فى إحدى قوافل الملح المتجهة من تمبكتو إلى تاوديني والعكس ، واصفة نفس الطريق بمتاعبه وما يحدث لقافلة الملح ورجالها وما تحمله القافلة وكيفية السير حتى الوصول إلى مكان مناجم الملح وكل صغيرة وكبيرة فى هذه القافلة منذ أن تخرج من تمبكتو باستعدادتها حتى تصل إلى مناجم الملح فى تاوديني تلك الرحلة التى استغرقت ثلاثة أسابيع كاملة لتقطع ٧٥٠كم تصل بعدها إلى مناجم الملح حيث رأت مئات الجمال القادمة والراحلة من تاوديني محملة بالملح إلى تمبكتو، في تفاصيل لم تزد كثيرا عما كان يحدث لقافلة العصور الوسطى من تنظيم وإعداد وأحداث طريق وان كانت قد أفادتنا أن الأدلاء فى الصحراء سواء كانوا فى العصور الوسطى أوالحديثة يهتدون ليلا بنجم بلهادى فى الوصول إلى مناجم الملح دون بوصلة وتتساءل لماذا البوصلة مادامت هذه النجمة فى مكانها منذ عشرات ومئات القرون؟!(٢) وذلك كما كانوا فى العصور الوسطى إذ أخبرنا أبوحامد الغرناطى أن هؤلاء الأدلاء كانوا يهتدون بالنجوم والجبال فى القفار(٣)

وفى كل الأحوال كان تجار الملح يصلون به إلى مراكز تجارة الملح الجنوبية فى السودان المذكورة آنفا و التى كانت من خلال وسطائها يوزعون الملح على بلاد السودان بطريقتهم الخاصة(٤)، والذى لا شك عندنا فيه أن بعضا من التجار المغامرين من المغاربة والمسلمين

---

(١) التاريخ الإقتصادي صـ٩٣.

(٢) أورينت برس: مناجم الملح الصخري،اكتشفها البربر واعتنقوا الإسلام، منتديات العراق ،iraq.iraq.ir للمزيد من التفاصيل عن قوافل الملح الحديثة هذه ومزاحمة الشاحنات لها راجع الملحق رقم (٦)

(٣) تحفة الألباب صـ٤٢

(٤) وقد قاموا بدور الوساطة التجارية هذه على سبيل المثال السونك Sonnke الغانيين الذين كانت مواقع ديارهم متوسطة بين حقول الذهب فى بامبوك وأعالي النيجر وبين الصحراء . راجع Kevin Shillington: Op.Cit P 82- 3, McDougall: Op.Cit p 26 كما قام بدور أهل واتجارا فى الغرب وديولا فى الشرق والوساطة بين أهل الجنوب السوداني البعيد وبين أهل الشمال ، حيث كانوا يترددون بالملح وغيره إلى الجنوب ثم يحملون الذهب إلى والاته وتادمكة وتمبكتو وجاو وجني Shillington: op. Cit, P 98, Levtzion:The Westren Maghrib P 369, 375

تعدى هذه المرتكزات التجارية إلى الجنوب[1] محاولاً الوصول إلى مصادر الذهب فـى بـلاد السودان أو المعاملة المباشرة مع منتجى الذهب ومبادلته بالملح والحصول على أكبر قدر منـه وهوما تؤكده لنا أسعار الملح المتدرجة الارتفاع كلما اتجهنا جنوبا وذلك لتقدير السودانيين للملح وعظم أهميته فى حياتهم فإذا كان ابن بطوطة[2] يذكر أن حمل الملح يباع فى مدينة والاته بسعر يتراوح ما بين ثمانية إلى عشرة مثاقيل من الذهب فإنه يباع فى مدينة مالى بسعر يتراوح بـين عشرين إلى ثلاثين مثقال ذهب وربما انتهى إلى أربعين مثقال ليخبرنا ابن حوقل[3] أن حاجـة أهل السودان للملح كانت ماسة ولذلك بلغ سعر حمل الملح فى داخل بلاد السودان وأراضيه مـا بين مائتين أو ثلثمائة دينار ويذكر ابن الوزان الزياتي[4] أن ثمن الرطل من الملح وصل سـعره إلى نصف دينار في المناطق الداخلية بالسودان حيث ينعدم الملح. كما كـان سـكان الغابـات يشترونه بثمن أعلى[5] بل يذكر الشنقيطى[6] أن حاجة السودانيين إلى الملح جعلتهم يضحون بكل شيئ حتى الأنفس فبعدما يتحدث عن أن تجارة أهل شنقيط الرئيسية كانت فى الملح يذكر أنهـم كانوا يسافرون به إلى بلاد السودان ليحصلوا فى مقابله على كل شيئ فى السودان مـن خيـل وثياب وزرع وكذلك عبيد فكان العبد يقدر بمقاس قدمه أو حذائه من الملح فيكون له ذلك قيمـة وعندما اتسعت تجارة الملح وكثر وصوله إلى السودان صار الثمن المألوف للعبد أو الأمة حمل جمل الملح ولكن يذكر ما هوأشد.وأفظع على الإنسان وهوأنهم كانوا يبيعون أولادهم فى الملح ، ولا ريب أن ذلك كان فى المناطق الأكثر فقرا إقتصاديا والأشد حاجة إلى الملح ،كما كان فـى المناطق التى كانت يتصارف فيها أهل السودان بالملح دون الذهب والفضة فكان الملح أغلى من

---

(1) فيسجل الإدريسي عند حديثه عن ونقارة (وإنجارا) وجمع أهلها للذهب من جزيرتهم أنه بعد جمع الـذهب كان أكثر ما يشتريه منهم أهل وارجلان والمغرب الأقصى . راجع نزهة جـ١ صـ٢٤ ويتأكد ذلك من رحلـة ابن بطوطة الذي قابل العديد من الشخصيات المغربية وحتى المشرقية والمصرية فى العديد من المـدن التـي جابها فى بلاد السودان وقد تعامل مع بعضهم وضيفه البعض الآخر وسار فى قوافل آخـرين راجـع الرحلـة جـ٢ صـ٧٧٧ ، ٧٧٨، ٧٩٥ ، ٧٩٧ الخ

(2) رحلته جـ ٢ صـ٧٧٣.

(3) صورة صـ٩٩.

(4) وصف التقاسيم صـ٦٥٧

(5) .نياني : تاريخ أفريقيا العام ، م ٤ صـ٦١٧.

(6) أحمد أمين الشنقيطى : الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط ، مصر ١٩١١ صـ ٤٦٣ – ٤٦٤

ذلك بكثير وإذا كان المقدسى[١] قد عمم هذا الأمر على كل السودان ثم خص فيهم القرماطيون الذين تعاملوا بالملح فقد خص البكرى[٢] منها مدينة سلى القريبة من التكرور وكذلك أهل جاو أو كوكو ولا شك عندنا أن هؤلاء هم الذين كان يتعامل معهم التجار المسلمون بوزنة من الملح مقابل وزنة من الذهب[٣] وفي بعض الأحيان كما يذكر أبوحامد الغرناطى[٤] مقابل ضعفه أو أكثر وذلك تبعا للسوق والكميةإذ يقول " فإذا وصلوا إلى غانة باعوا الملح وزناً بوزن الذهب وربما وزناً بوزنين أو أكثر على قدر كثرة التجار وقلتهم" وذلك في تجارة أطلق عليها التجارة الصامتة بين الطرفين تلك التى كان أول من أشار إليها المسعودى فى المروج[٥] واستمرت حتى أواخر العصور الوسطى بل فى العصور الحديثة وذلك نتيجة حرص السودانيين على الملح من ناحية وعلى عدم معرفة غيرهم لمصادر الذهب وحقوله من ناحية ثانية وملخص هذه التجارة كما أفادتنا مصادرنا أنها طريقة تعارف عليها الطرفين واتفق على الالتزام بها متى جاء تجار الملح من الشمال ووصلوا إلى المنطقة أوالموضع الذى يحجز بينهم وبين منتجى الذهب حيث تنتشر جداول الأنهار وتكثر الجزرالتى يعيش فيها السودانيين[٦] وعند الوصول عند الشواطئ كان التجار من المغاربة يضربون الطبول يدعون بها السودانيين العراة الذين كانوا يعيشون فى كهوف تحت الأرض لا يخرجون منها إلا فى حضور تجار الملح الذين يعرضون الملح أكواما على ضفة النهر ثم يتوارون بعيدا عن أنظار السودانيين والذين كانوا بدورهم يخرجون ويضعون أكواما من الذهب إلى جانب أكوام الملح ثم ينسحبون إلى كهوفهم فيأتى التجار ليأخذوا ما وضع مستخرجى الذهب[٧] ويتراجعوا ضاربين طبولهم ليعلنوا انتهاء هذه السوق الوقتية[٨]

---

[١] أحسن التقاسم صـ٢٤٢.

[٢] المغرب صـ١٧٣ ، ١٨٣

[٣] راجع البكري: المغرب صـ ١٧٤، العمري ، مسالك جـ ٤ صـ ٧٦.

[٤] تحفة الألباب صـ٤٢ .

[٥] جـ ٢ صـ٢٧٢.

[٦] راجع بوفيل صـ٢٥٢ -٢٥٣.

[٧] راجع العمري: المسالك جـ٤ صـ٧٦، القلقشندي: صبح جـ٥ صـ٢٩١

[٨] بوفيل : الممالك الإسلامية صـ١١٠.

دون أن يعرف التجار مصدر هذا الذهب أو أن يتكلموا مع الزنوج أو يروهم ويذكر بوفيل[١] أن التجار في إحدى المرات حاولوا اكتشاف مصدر الذهب عن طريق أحـد أسـر الزنوج الـذين استنطقوه كرها ولكن الأخير فضل الموت على أن يقول كلمة واحدة فكان نتيجة ذلك أن توقفت التجارة ثلاث سنوات ثم عادت من جديد لأن السودانيين لم يكن عندهم وسيلة أخرى للحـصول على الملح فاستمر السر واستمرت معه التجارة الصامتة بين المـسلمين والـسودانيين بـنفس الطريقة حيث جاء وصفها على لسان كادامو ستوCadamasto[٢] أحد قواد هنرى الملاح خلال القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادي فيخبرنا عن قوافل الملح التى تخرج من تغازى وتسافرإلى الجنوب حيث تمبكتو فمالى حيث ينقل الملح على ظهورالجمال إلى رءوس الرجـال. فى المنطقة المعدة للتبادل بين التجار والسودانيين والتى لا تصلح لسير الجمال فتكثر ألواح الملح إلى قطع صغيرة ويحمل كل رجل قطعة وينقلونه إلى مسافات بعيدة حتى يصلوا إلى مكان على الشاطئ حيث يتقدمون ويكوم كل رجل ملحه على مجـداف بعـد أن يـضع علامـة عليـه ويتراجعون قرابة نصف ميل فيأتي الزنوج فى قوارب كبيرة ويبدو أنهم قادمون من الجزيـرة واذا ما رأوا الملح يضعون قدرا من الذهب أمام كل كوم ويعيـدون أدراجهـم تـاركين الملـح والذهب[٣] ويقول كادامستو" إنى حصلت على هذه المعلومات من تجار كثيـرين مـن العـرب وصنهاجة وكذلك أشخاص يمكن أن يوثق بهم "[٤] .

وكل هذا يعكس لنا أهمية الملح فى التجارة البينية بين المغرب والسودان العربي ويعكس مدى حرص الطرفين على استمرار تجارتهم بحاجة السودانيين إليه والمسلمين للسلعة التى يبادلونهـا بها وهي الذهب ولكن يجب أن ننوه فى النهاية إلى أن الذهب لم يكن السلعة الوحيدة التى يقايض بها الملح بل كان التاجر المسلم الجوال فى بلاد السودان يحتاج دائما على الزاد والطعام والـذى

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أحد قواد ورجال البحر الذين أرسلهم الأمير هنري الملاح إلى هذه المناطق فى محاولة لاكتـشاف منـاجم الذهب فى هذه المنطقة وإن كان غرضهم المعلن ادعاء هو نشر الإنجيل بين السكان فى هذه المنطقة راجـع بوفيل : المرجع السابق صـ٤٢

(٣) راجع بوفيل : المرجع السابق صـ٢٥٢- ٢٥٣

(٤) المرجع السابق صـ٢٥٣.

لا يستطيع توفيره إلا إذا كان معه ملحا أو حليا من الزجاج أو ودعا ففى رحلة ابن بطوطـــة [١] بمالى لم يكن يحمل معه سوى الملح والحلى الزجاجية ويشترى بهما الزاد والطعام ويؤكد كـل ذلك ما أثبتناه سابقا من أن أهل السودان كانوا يتصارفون به ويتبايعون وكان هذا مدعاة للطرفين من المغاربة والسودانيين إلى تقدير الملح كقوه شرائية تفوق قوة الذهب نفسه والنتيجة النهائيـة ازدهار تجارة الملح واستمرارها بين الطرفين متخطية المصاعب الطبيعية والعوائق الـسياسية التى انتابت تاريخها الطويل بين الجانبين.

## ٣-أثر تجارة الملح الخارجية على المغرب الإسلامي:-

وقد يتساءل البعض عن مردود وجود الملح واستخراجه والاتجار به خارجيا علـى بـلاد المغرب والواقع أن ذلك كان من الأسباب الرئيسية فى التطور الإقتصادي لبلاد المغرب لكونـه دعامة أساسية من دعامات هذا الاقتصاد وسلعة ضرورية كان الطلب عليها فى ازدياد مـستمر خارج بلاد المغرب ومن ثم كانت أساسا قويا لازدهار النشاط التجارى بين المغـرب وأوربـا وبين أوروبا والمغرب من ناحية وبلاد السودان من ناحية ثانية وذلك النشاط الذى عـاد علـى الإطراف المشاركة فيه وخاصة بلاد المغرب بالعوائد والفوائد المادية التى بها وعليهـا سـائر الأنشطة وبها تبنى حضارات الدول ولم لا ؟ وقد كان الملح لبلاد المغرب وأوربا خاصة سبب فى رواج سلع كانت تقاس بها قوة الدولة من عدمها ألا وهي الذهب الذى كان المعدن الأسـاس فى سك النقود وعمل دور الضرب وسريان نشاط الدول من عدمه وكان إذا توقف جلبـه مـن مصادره توقفت القوة السياسية عن ضرب سكتها وقل نشاطها العام مثلما حدث مع البرتغال التى توقفت عن سك عملتها خمسين سنه كاملة فيما بين سنتي ١٣٨٣-١٤٥٠م بسبب توقف تجارة الذهب وندرته فى هذه السنوات[٢] أى أن الملح لم يكن إلا سـلعة إسـتراتيجية عـادت بـالنفع الكبيرعلى بلاد المغرب والدول التى تاجرت معها فيه ومن هنا وجدنا الملح سببا للتنافس الشديد بين القوى التجارية الأوربية والصراعات المحتدمة على الفوز بتجارته بل واحتكارهـا والـذى فازت به مدينة البندقية لتصير قوة سياسية كبيرة أساس اقتصادها الملح والمورد الذى اعتمـدت

---

(١) الرحلة جـ٢ صـ٧٩٥.

(٢) **Levtzion:The Westren Maghrib, P 450**

عليه فى نهضتها الحضارية[1] وما يهمنا فى ذلك أن صراعها مع زميلاتها الأوروبيات وبالذات أخواتها الإيطاليات على هذه السلعة الهامة كان لها مردود سياسى واقتصادي إيجابي على بلاد المغرب الإسلامي حيث كان الملح من الضرورات التى أجبرت هذه القوى السياسية والتجارية على تحسين علاقتها السياسية والإقتصادية بالقوى السياسية فى بلاد المغرب والذى كان من أهم مظاهره المعاهدات التجارية المعقودة بين الطرفين والتى وفرت فى كثير من الأحيان الاستقرار السياسى لبلاد المغرب أولا ومنع القرصنة الأوروبية وتوقف أعمال الجهاد البحرى الإسلامي فى البحر المتوسط ثانيا وكل هذا أفضى فى النهاية إلى المردود الإقتصادي الكبير على بلاد المغرب ومن ناحية أخرى فإن الملح مثل الكفة التى يمكن أن توازن بها القوى السياسية ببلاد المغرب الخلل فى الميزان التجارى بينها وبين أوروبا بل الكفة الراجحة فى هذا الميزان بسبب حاجة أوروبا وقواها السياسية والتجارية لهذه السلعة الهامة وعن طريق غير مباشر فإن الملح لعب نفس الدور بالنسبة لسلعة الاستراتيجية أخرى وهى الذهب الذى كانت أوربا فى أشد الاحتياج إليه وما تيسر لهم الحصول عليه من مصادره الأصلية ببلاد السودان إلا فى أواخر العصورالوسطى ومن ثم لعب المغرب دور الوساطة الذى لابد منه ومن هنا كان لابد من تحسين العلاقات من أجل استمرار هذه التجارة بين الطرفين.

وعلى مستوى آخر لعبت مداخيل الملح وتجارته دوراً هاما فى إنماء الاقتصاد المغربي بصفة عامة من خلال العشور والضرائب المفروضة على هذه التجارة[2] التى كثرت منافذها على الساحل المغربي كما رأينا حيث نشط التجار الأوربيين الداخلين ببضائع أوربا والخارجين منها بالملح وغيره من بلاد المغرب والمثل الواضح فى ذلك ميناء تفتته مرسى بلاد حاحة على المحيط الذى كان به مكس للضرائب ومنفذ للضريبة على الملح خاصة والمصدرإلى أوربا[3] زد على كل ذلك أن الوساطة التى لعبتها بلدان المغرب بين أوروبا والسودان الغربي قد أدى إلى تنشيط التجارة عامة بين بلاد المغرب والسودان وتجارة الملح بخاصة وذلك لحاجة السودانيين إليه فنشط استخراج الملح واهتم بمناجمه المختلفة المنتشرة فى الصحراء وعلى

---

(1) كيرلانسكى : تاريخ الملح ،صـ٧١.

(2) ابن حوقل : صورة صـ٧٦.

(3) الوزان الزياتى وصف صـ١٢٠ .

السواحل وذلك من أجل إعداده للتصدير إلى بلاد السودان ومبادلته بالذهب الذى كان جـزء اً معتبراً فى التجارة البينية بين أوربا وبلاد المغرب الإسلامي.

أما بالنسبة إلى مردود الملح وجودا أو استخراجا وتجارة مع بلاد السودان على المغـرب فقد أعاد الملح وتجارته حقيقة على بلاد المغرب بالخير العميم والفوائد الوفيرة إذ هانـت كـل الصعوبات والمشاق التى كان يلاقيها التجار فى القوافل المتجهة إلى الجنوب أمام الربح الـوفير والذهب الخالص الذى كان يأتي به هؤلاء التجار مقابل الملح وإذا كانت أوربا تضع المعاهدات والاتفاقيات التجارية مع حكام المغرب من أجل ضبط الأسعار واستغلال مناجم الملح بما يفيدها فى تجارتها ويعود عليها بالأرباح الوفيرة ويعود بعض نفعه على بلاد المغـرب ممـا يعنـى المشاركة غير المتكافئة فى الأرباح إلا أن تجارة الملح مع السودان كانت بأيدي المغاربة الذين كانوا يقطعون الفيافى والصحارى ويتجهون إلى بلاد السودان متى يشاءون ويبيعون هذا الملـح بأسعار تحكموا هم فيها وكانت كما رأينا مرتفعه وصلت إلى وزنة من الملح بوزنة من الـذهب وذلك لعظم أهمية الملح عن السودانيين عامة فى الطعام والتجارة والمعاملات وكثـرة الـذهب عندهم وهذا مما نشط العلاقات عامة بين المغرب والسودان على مر العصورالوسطى بالـذات فى القرون المتأخرة الأمر الذى أدى إلى النفع الكبير للمغرب والـسودان والـصحراء نفـسها فبالنسبة للمغرب فقد أدى طلب الملح على الملح فى بلاد السودان إلى نشاط البحث عن المنـاجم واستخراج الملح من أجل تصديره وادي ذلك إلى الرواج التجارى الداخلى فضلا على النـشاط التجارى المستمر مع بلاد السودان والذى جنت القوى السياسية من وراء قوافله الأموال الكثيرة نتيجة ما يؤخذ من عشور على هذه التجارة فالقافلة المتجهة إلى السودان غالبا ما تمر بمستقرات ومدن حضارية تستفيد منها وتفيدها فيذكر ابن حوقل [1] مثلا عن إجدابية أن أميرها وصاحب صلاتها كانت له لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان[2] ووصفه أيضا لمدينة سجلماسة يجسد لنا المنفعة المتبادلة بين الحكومات وتجار القوافل وفى النهاية الرواج التجارى إذ يذكر أن هذه القوافل كانت تجتاز سجلماسة وسكنها اهل العـراق وتجـار البـصرة والكوفـة والبغداديون الذين يقطعون هذا الطريق هم وأولادهم وتجارتهم دائرة ومفردتهم دائمة وقـوافلهم

---

(1) صورة صـ٧٠.

(2) فينبأنا موريس لومبار أن ما يجبيه الفاطميون من وراء تجارة القوافل مع السودان خلال القـرن العاشـر بلغ أربعمائة ألف دينار سنوياً راجع الإسلام فى مجده الأول صـ٣٣٥.

غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابغة قلما يداينها التجار في بلاد الإسلام سعة حال ولقد رأيت سكا كتب بدين لأحد تجار سجلماسة على آخر بأودغست وشهد عليه العدول باثنين وأربعين الف دينار[1] أما بالنسبة للحكومات فينبأنا عن ذلك بقوله " ولم يزل المعتز أيام ولايتها وهو أميرها يجتبيها من قوافل خارجه إلى بلد السودان وعشر وخراج وقوانيين قديمة على ما يباع بها ويشترى من إبل وغنم وبقر إلى ما يخرج عنها ويدخل من نواحي أفريقيا وفاس والأندلس والسوس وإغمات[2] أما بالنسبة للصحراء المغربية وأهلها فقد عادت عليهم تجارة الملح وقوافلها بالخير العميم إذ من خلال البحث عن الملح واستخراجه نشأت مستقرات ومحطات اقتصادية منتجة ومستراحات هامة للقوافل نافعه في هذا الطريق الموحش صعب الاجتياز بين المغرب والسودان فلم تكن تغازى وتغازى الغزلان أو تاوديني أو الدجيل والعجيل إلا نتاج تجارة قوافل الملح زد على ذلك ما كان يحفر في هذه الصحراء من آبار على طول الطريق اهتم بها الحكام [3] والبدو [4] والتجار أنفسهم [5] كان سببا من أسباب التيسير على التجار بسلوك هذا الطريق مما أدي إلى قطع الوحشة والتغلب على المصاعب الناتجة عن نقصان المياه والمرعى وفوق كل هذا وذاك فان تجارة الملح كانت سببا في الرواج الإقتصادي

---

(1) صورة الأرض صـ ٩٦.

(2) المصدر السابق صـ٩٧

(3) وذلك منذ فترة مبكرة من الوجود الإسلامي ببلاد المغرب فيذكر عن عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي حكم المغرب ما بين ١٢٧ - ١٣٨ هـ / ٧٤٤ - ٧٥٥م. أنه حفر آباراً في الطريق الممتد من تامدلت إلى مدينة أودغست إحداها يسمى بير الجمالين وكان عمقها أربع قامات وأخرى بعد مراحل بعد ماء نزر يقال له تازقي احتفرها في حجراً ادعج أصلب طولها أربع قامات وبعدها بمرحلة مباشرة حفر بئراً آخراً يسمى ويطوفان وهي كبيرة لا تنزف ماؤها ثلاث قامات راجع البكرى : المغرب صـ١٥٦-١٥٧ ، وعن مجهودات ابن حبيب في هذا المضمار راجع Levtzion: The Sahara and Sudan P 642

(4) فالطوارق هم الذين حفروا العديد من آبار الصحراء وحافظوا عليها من أجل سقى الرعاة ورجال القوافل المارة ، ورغم أن السيطرة على الآبار والمراعي مثار نزاع بين أبناء هذه القبائل إلا أنها لم تكن سبباً أبداً في التأثير السلبي على التجارة الضرورية لحياتهم راجع بوفيل: الممالك الإسلامية صـ٧٣.

(5) ونذكر في ذلك إخوان المقري أشهر التجار مع بلاد السودان الذين عملوا على تنظيم تجارتهم في الصحراء والعناية بها "فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير " المقري : نفح جـ ٥ صـ٢٠٥.

بالصحراء وانتعاش أهلها ماليا إذ أن هذه التجارة الرابحة جذبت إليها الصحراويون للعمل بهـا استخراجا ودلالة وتجارة حيث أخذت قبائل الصحراء من الطوارق بكل أسباب المشاركة فى هذه التجارة اذ استخرجوا الملح من مناجمه وأعدوه للتصدير إلى بلاد السودان وحملتـه قـوافلهم واتجهت به جنوبا للمتاجرة مع أهله وذلك على مدار العصور الوسطى والحديثة و من اشـهر الامثلة في ذلك قبائل مسوفة [1] والهجار الطوارقية[2] ومن لم يعمل منهم فى اسـتخراج الملـح والاتجار به عمل دلالا للقوافل فى عملية سميت بالتكشيف كان لها دور رئيـسى فـى تجـارة القوافل[3] وقد علق بهذه المهنة العور والعميان منهم وكانوا يتقاضون مقابل هذه الدلالـة مبـالغ كبيرة وصلت إلى مائه مثقال ذهبا [4] بل إن هؤلاء البدو الصحراويين تحكموا فى أحايين كثيرة من مراكز التجارة الملح المتجهة إلى الجنوب كتغازى ،سجلماسة وأودغست على سبيل المثـال [5] وكل هذا درعليهم فى النهاية خيرا كثيرا واستقرارا فى حياتهم التى تعودوا خلالها المشاركة فى تجارة قوافل الملح بفاعليه لأجيال متعاقبة وقرون طويلة وجنوا من وراء ذلك أموالا وفيرة

---

(1) عن مسوفة ودورها فى تجارة الجنوب والسودان راجع ابن بطوطة : الرحلة جـ٢ صـ٧٧٧-صـ٧٧٨ راجع كذلك **Levtzion: Op. Cit P 652**

(2) فالتجارة لها مكانة تاريخية عن طوارق الهجار ونظامه الإقتصادي والمادة الأولى فى هذه التجـارة هـي الملح الذي شكل حجر الزاوية فى التبادل التجاري بل والعملة الصعبة أيضاً لهذا التبادل فى الصحراء كلهـا. فقد كانوا يرسلون خدمهم إلى منجم أمدور لاستخراج الملح ثم ينقلونه على ظهـور الجمـال إلـى المراكـز التجارية على الحدود الشمالية لنهر النيجر وهناك تجرى المعاملات التجارية لمدة شهرين بالملح ، كما كـانوا يمارسون حراسة القوافل وسيطروا على طرق التجارة الممتدة من أوزان حتى شـمال نيجيريـا عـن هـذا الموضوع راجع إسماعيل العربي: الحياة الإقتصادية والاجتماعية عند طوارق أهجار، مجلـة الأصـالة سـنة ١٩٧٩م /١٣٩٩هـ. عدد خاص عن تاريخ منطقة الهوقار صـ٤٢ وما بعدها .

(3) حيث كانت مهمة الدلال فيها ليس معرفة الطريق الصحيح بل كان يسبق القافلة قبل دخول المدن الكبيـرة المحطات ليخبر أهلها بقدوم القافلة فيتقدمون إليهم بالمياه كما حدث مع قافلة ابن بطوطة قبل أن يدخل والاته راجع الرحلة جـ ٢ صـ٧٧٥.

(4) نفسه

(5) ألم ينبأنا ابن بطوطة فى رحلته أن سكان ولاته وتغازي من قبيلة مسوفة راجع الرحلة جـ٢ صـ٧٧٧. وهذه القبيلة لونظرنا إلى الخريطة نجدها تقطن المنطقة الواسعة الممتدة من تغازي فى الشمال إلى والاته فى الجنوب إلى جاو فى الشرق.راجع كذلك **McDougall: Op. Cit P 21**

وازداد جاهها ونعمت بحياة ليست جافيه ولاغليظة على حد تعبير الدكتور حسن محمود [1] أما السودان أو جنوب الصحراء فقد كفتهم تجارة الملح المغربية الحاجة إليه وأعطتهم سلعه كانت معدومة عندهم وكانوا فى أمس الحاجة إليها ومن هنا حرصوا على تجارة الملح وعدم توقفها مهما كانت الأسباب وقد كان هم الحكام الأول فى السودان هو تخفيض سعر الملح دائما وكان رجال الجمارك يراقبون حمولات الملح فى دخلوها وخروجها مراقبة صارمة وذلك لأن الرسوم المفروضة على الملح تمثل نصيبا لا بأس به من مداخيل الحكام[2] وهانت عندهم أكوام الذهب الذى أجهدوا أنفسهم فى استخراجه والتقاطه في سبيل الحصول على الملح، زد على ذلك أن تجارة الملح وشده الحاجة إليه فى السودان بنيت عليه مدنا وتأسست كما اشتهرت بسببه مدنا أخرى وهي المراكز الجنوبية لتجارة الملح التى ذكرناها انفا وفوق كل هذا وذاك فقد أفادت تجارة الملح السودانيين أفادة عظمى بوصول الإسلام إليه عن طريق تجاره الذين كانوا فى الغالب قدوة بسلوكهم وأخلاقهم وتصرفاتهم أمام السودانيين حكاما ورعية ولذا كانوا سببا فى دخول أغلب حكام السودان ومن تبعهم فى الإسلام[3] ومع كل هذا فإن تجارة الملح حسنت العلاقات السياسية بين المغاربة ومن جاورهم من حكام السودان ورائهم من حكام مسلمين كانوا أو كفارا ، والمثل لذلك جد صريح فى علاقة دولة إنبيه الصنهاجية بأودغست مع ملوك

---

(1) قيام دولة المرابطين صـ٤٧.

(2) راجع ج . ت نياني: العلاقات بين مختلف المناطق ضمن تاريخ أفريقيا العام الفصل الخامس والعشرون المجلد الرابع أفريقيا من القرن الثانى عشر إلى القرن السادس عشر بإشراف نياني بيروت لبنان صـ١٩٨٨ صـ ٦١٦- ٦١٧.

(3) راجع إسلام ملك السلماني وراء غانة وأهل بيته وعقبه على وخاصته على يد أحد المسلمين البكري: المغرب صـ١٧٨ وما أوصل الإسلام إلى كوغة الا التجار المصدر السابق صـ١٧٩ للمزيد عن هذا الموضوع راجع حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة الغربية صـ١٧ وما بعدها إبراهيم طرخان : إمبراطورية غانة صـ٤١ وما بعدها ، طرخان : إمبراطورية البرنو الإسلامية ، المكتبة العربية رقم ٦٦ الهيئة العامة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٥ صـ ٦٦ وما بعدها ، طرخان : قيام إمبراطورية مالى الإسلامية ، مستخرج من مجلة جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، العدد الأول سنة ١٩٧٠ صـ ٢٦ وما بعدها .
أحمد إلياس حسن: الطرق التجارية صـ١٨٢ وما بعدها

**Philip Curtin and Others: African history from earlist time to independence, PP 78- 81, Michel Berit: Islam and Tarde in the Bilad Al Sudan Tenth – Eleventh century PP 431- 439.**

السودان كلهم وقد استمرت هذه العلائق حسنة بين الطرفين طالما كانت المصلحة تقتضى ذلك فالسودانيون فى حاجة إلى الملح والمغاربة فى حاجة إلى الذهب وذلك حتى أوائل العصور الحديثة إذ تدخلت بين الطرفين قوى أخرى شرقية وغربية وضعت نصب عينيها ثروات المغرب والسودان وضيقت الخناق على الطرفين فى المتاجرة وتصريف المنتجات مما أوقع المنطقتين فى خلافات جعلت حكامها ينظرون إلى مصادر الثروة عند جاره بعين الطمع إذ كان ملح تغازى متاح للسفار من التجار وغيرهم لاستغلاله وحمله إلى بلاد السودان وغيرها من المناطق المجاورة لتغازى فلما تولى المنصور السعدى أمور السلطنة بالمغرب الأقصى رأى أن ذلك تضييع لأموال المسلمين وأراد أن يضم تغازى التى كانت آنذاك فى ملك الصنغاى إلى بلاده فراسل من أجل ذلك إسكيا داود وطالبه بالتنازل له عن ملح تغازى وخراجه فأجابه أسكيا بأن أرسل إليه عشرة الآف ذهبا هدية ، فكان ذلك سبب المحبة والوصلة ، ولكن بعد وفاة داود وتولية ابنه إسكيا الحاج محمد هاداه المنصور ولكن الأخير رد رداً سيئا بالإغارة إلى أطراف المغرب فما كان من المنصور إلا أن أرسل قوة أحتلت مدينة تغازى بملحها سنة ٩٩٤هـ/١٥٨٦م وفرض ضريبة دينارعلى كل حمل ، فساءت العلاقات بين الطرفين خاصة بعد أن أمر الحاكم الصنغي رعاياه بعدم الذهاب إلى تغازى وجلب الملح منها ، وهوما دفع المنصور السعدى لغزو السودان ، والنظر طمعا لذهبه ومصادره [1] وتم ذلك بالفعل سنة٩٩٨هـ/ ١٥٩٥ م مسقطا لدولة الصنغاى[2] ومن هنا تأزمت العلاقة السياسية بين الطرفين لكن يجب أن نقرر فى النهاية حقيقة هامة وهي أن قوافل الملح رغم هذا استمرت حتى أوائل القرن العشرين متغلبة على الصحراء ومشاكلها والسياسة وتقلباتها [3].

*********************

[1] عن هذا الموضوع: راجع الناصري: الاستقصا جـ٢ صـ١١١ وما بعدها .

[2] عن هذا الموضوع وتفاصيله راجع السعدى : تاريخ السودان . صـ ٧١ وما بعدها ، الفشتالى : مناهل الصفا صـ١٢١وما بعدها ، السلاوي : الإستقصا جـ٢ صـ١١١ وما بعدها ، باتيكار : الوثنية والإسلام صـ١٥١ وما بعدها .

[3] راجع الملحق رقم (٦)

## خاتمة

نضع إذاً هذه المعلومات أمام من تجاهلوا تاريخ الملح فى عـالم الإسـلام لنقـول إن عالمنـا الإسلامى لم يكن مجهولاً فى أى جانب من جوانب الحضارة وهذه المعلومات تخـص منطقـة واحدة من عالم الاسلام فما بالك لو بحثنا الموضوع فى كل هذا العالم العـريض الممتـد مـن الصين شرقا إلى الأندلس غربا ، إذ استجد المزيد عن تاريخ هذا المعدن النفيس شديد الأهميـة لحياة الإنسانية . ويمكننا أن نلخص ما توصلنا إليه نتائج البحث فى النقاط التالية:-

١-إن الحاجة البيولوجية للملح دفعت المسلم بغريزته كغيره من البشر إلى البحث عن الملح من أجل الإستخدام فى طعامه وأغراضه الأخرى الحياتية.

٢- إن معرفة المسلم لله تبارك وتعالى والتفكر فيما خلق والتمسك بشريعته قرآنا وسنة أوصلت المسلم فى مشرق العالم الإسلامى ومغربه إلى الإهتمام باستخراج ثراوت الأرض ومنها معـدن الملح.

٣- لم يهتم المسلمون بالملح لإصلاح الطعام وحفظه وفقط بل دفعتهم غريزة البحـث ومحبـة المعرفة إلى الاهتمام بمعدن الملح ومعرفة كنهة وكيفية تكوينه وكثرة أنواعه ومن ثـم تعـددت مجالات استخدامه كيميائياً وطبياً وصناعياً بل وعلى المستوى السياسى والإقتصادي كذلك.

٤- نتيجة لإدراك المسلمين بالمغرب أهمية الملح فى كافة مناحى الحياة اهتموا بالبحـث عـن أماكن تواجده فرصدوا أماكن كثيرة منتشرة فى بلادهم مـن مـشرقه إلـى مغربـه سـاحلية وصحراوية لنضع بهذه النتيجة الحقيقة التى تجاهلها كيرلانسكى وغيره ألا وهى كثـرة أمـاكن تواجد الملح الطبيعية فى عالم الإسلام ومن ثم لا يجب دراسة تاريخ الملح فى العالم بعيدا عـن المصادر الطبيعية لهذه المادة فى عالم الإسلام وخاصة بلاد المغرب التى قل أن توجد فى مكان على وجه البسيطة وهو مارصدناه بتحديد هذه الأماكن جغرافيا من خلال مسح شـامل لمنطقـة بلاد المغرب من خلال مصادرنا الإسلامية.

٥- ولكثرة تواجد الملح طبيعيا أقبل المسلمون فى بلاد المغرب علـى اسـتخراجه ومعالجتـه وإعداده للإستهلاك وذلك فى الملاحات البحرية التى يتواجد فيها الملح على سطح الأرض.

أما المناطق التى يتواجد فيها الملح تحت الأرض وهوالملح الصخرى فقد أبدع المسلم المغربـى فى استخراجها عن طريق الحفر والتقطيع والإخراج كاستخراج الرخام تماما.وقد أثبتنا بمـا لا شك فيه أن المسلمين فى المغرب استغلوا المياه المالحة المحيطة بالمغرب من الشمال والغـرب

وكذلك المتواجدة فى الأودية المالحة والبحيرات المالحة وكذلك العيون المالحة ليهيئوا ملاحـات يستخرجوا منها الأملاح بالتبخير الشمسى وعن طريق البرك التى كانوا أول من نبغ فيها فـى العالم ليستخرجوا أنواع الملح الطيب الجريش والناعم.

٦- ترتب على اهتمام المغاربة باستخراج الملح وصناعته أن اكتفى المسلمون فى بلاد المغـرب بملاحاتهم فى الاستهلاك المحلى وأن الملح كان سلعة فى الغالب قريباً مـن الملاحـات لا تبـاع وتشترى وإنما كانت الملاحات الطبيعية ملكا للجميع إلا ما هيئ من جانب الأفراد ولهـذا أثبتنـا أيضاً وجود تجارة داخلية نشطة للملح نتيجة لزيادة الملح فى منطقة وافتقار مناطق أخرى للملـح مما شجع التجار على الانتقال به بين هاتين المنطقتين.

٧- لم يترتب على الإستهلاك المحلى قلة الإنتاج أو تناقصه بل كان العائد الغير مجزى بالنـسبة للتجارة الداخلية شجع منتجو الملح على إيجاد أسواق خارج بلاد المغرب ودفع التجار السفار إلى حمله خارج البلاد بعدما رأوا حاجة أوربا والسودان الشديدة للملح ومن هنا كان النشاط التجـارى للملح خارجيا.

٨-ترتب على النشاط التجارى النشط مع الأوربيين وكثرة الطلب على ملح بلاد المغرب تنـافس القوى الأوربية البحرية على ملح المغرب ومحاولات أغلبها احتكار تجارته فى المتوسط كالبندقية وجنوة وغلبة البندقية فى النهاية على ما عداها فى هذا السبيل إن لم يمنع هذا مـشاركة القـوى البحرية الأخرى فى تجارته ونقله من بلاد المغرب إلى أوربا كجنوة والقطلان بالإضـافة إلـى التجار المسلمين فلم تفتر تجارة الملح رغم الصدامات المستمرة بين القوى الـسياسية والتجاريـة التى تصارعت من أجل الحصول عليه مرات وتصالحت وتعاهدات عليه مرات عديدة من أجـل استمرار تجارته كسبا للأرباح وضمانا لاستمرار الحياة وتطورها .

٩-إذا كان إنتاج الأوربيين من الملح قليل واحتاجوا إلى ملح المغرب لـسد الـنقص فـإن أهـل السودان لم يكونوا كذلك إذ افتقرت بلادهم وبشدة فى إنتاج الملح فاحتاجوا إليه وما كان أقرب من المغرب الإسلامى إليهم فاعتمدوا عليهم فى استهلاكهم لهذه المادة مستغلين كثرة إنتـاج الـذهب عندهم فبادلوه بالملح مضحين بالذهب حتى ولو وزنه منه بوزنة من الملح فصدق من قـال " إن البشرية يمكن أن تعيش بدون ذهب ولكن ليس بدون ملح"ولهذا فقد نشطت تجارة هذه المادة بين البلدين وترددت القوافل بين مراكز التجارة فى كلا البلدين طوال العصور الوسطى بل حتى فـى العصور الحديثة رغم بعد المسافة ومشقة الطريق وكثرة المخاطر .

١٠- كان الملح سلعة استراتيجية فاقت الذهب فى هذا المضمار عادت بالنفع الكبير علـــى بـــلاد المغرب فمردود التجارة فيها كان إيجابياً على المستويين السياسى والإقتصادي ، فمــن الناحيــة السياسية أجبرت حاجة أوربا والسودان للملح فى أحايين كثيرة القوى السياسية على المحافظة على علاقاتها الودية ببلاد المغرب مما أدى بصورة واضحة على استقرار الأحوال السياسية الداخليــة وعلى الجانب الإقتصادي كان الملح الكفة التى ضبطت بها المغرب الميزان التجارى بـل رجــح الملح الكفة المغربية فى العلاقات التجارية بينها وبين أوربا والسودان فضلا عن إنماء الاقتــصاد المغربى بأشكال متعددة وصور شتى .

١١-أخيرا أوصى زملائى وإخوانى الباحثين بالبحث والدراسة فى تاريخ الملح فى بقية منــاطق العالم الإسلامى ونحن على يقين أنهم سيجدون المادة التــى يــستطيعون مــن خلالهــا معالجــة موضوعاتهم وأطروحاتهم فى هذا الصدد لتخرج فى النهاية عملاً متكاملاً عن تاريخ الملــح فــى العالم الإسلامى خلال العصور الوسطى لتسد فجوة فى تاريخ الملح فى العالم تركت عمدا أو جهلا لطمس معالم هذه الحضارة الإسلامية وإسهاماتها فى الحضارة الإنسانية.

# الملاحق

## الملحق رقم(١)

### جزء من قصيدة يذكر فيها الشاعر معادن الأرض وغيرها*

قال صفوان[٢] يخاطب بشارا، ويذكر معادن الأرض وغيرها :

زعمتَ بأن النار أكرم [عنصرا][٣] وفى الأرض تحيا بالحجارة والزند[٤]

وتُخْلَق فى أرحامها وأرومها أعاجيب لا تحصى بخَطٍّ ولا عقد

وفى القعر من لُجِّ البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد

كذلك سر الأرض فى البحر كله وفى الغيضة الغَنَّاء والجبل الصلد[٥]

وفى الحَرِّة الرَّجْلاَءِ تُلفى معادن لهن مغارات[٦] تَبَجَّسُ بالنقد[٧]

من الذهب الابريز والفضة التى تروق وتُصبى ذا القناعةِ والزهد

وكل فِلزٍ[٨] من نحاس وآنُك ومن زئبق حَيٍّ ونوشادر يُسدى[٩]

---

(١) هذه قراءة م . ور . أما ك فتقول : يجابة وهو خطأ .

(٢) الأصل : صفان ، والصواب ما أثبتناه ، وهو صفوان بن صفوان الأنصارى المعتزلى معاصر بشار بن برد ، وقد وجدت القصيدة كاملة فى الجزء الأول من البيان والتبيين للجاحظ ، ص ٢٧ وما بعدها من طبعة الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، وهى طبعة غاية فى الدقة والإتقان . وقد اعتمدت عليها وعلى شروحها وتعليقاتها فى تقويم هذه الأبيات وشرحها .

(٣) بياض فى الأصل ، والتكملة من البيان والتبيين ١ / ٢٧

(٤) الأصل : بالحايا ، والتصويب من البيان والتبيين ١ / ٢٧

(٥) بعد هذا البيت ستة أبيات أسقطها المؤلف . راجعها فى البيان والتبيين١ / ٢٧

(٦) الأصل : مغايات .

(٧) الحرة أرض حجارتها سوداء . الرجلاء : التى لا يستطاع المشى فيها حتى يترجل فيها لخشونتها . تبجس بالنقد : تتفجر بالذهب والفضة .

(٨) الأصل : فار .

(٩) الفلز جواهر الأرض كلها . الآنك الأسرب ، وهو الرصاص القلعى الأسود . وقيل إنه القزدير (القصدير) . وفى ملحق القواميس لدوزى أنه أوكسيد الرصاص Litharge, oxyde de plomb . ووصف الزئبق بأنه حى لسرعة حركته . والنوشادر بضم الدال . ويقال أيضا نوشاذر . وفى الفرق بين الفرق ص ٤٠ : ونوشادر سندى (عبد السلام هارون) .

| | |
|---|---|
| وفيها زرانيخ وكُحل ومرتَكٌ | ومن نرختيشا[1] غير كاب ولا مُكد |
| وفيها ضروب القار والشَّبِّ والمها[2] | وأصناف كبريت مطاولة الوَقْد |
| ترى العرق منها فى المعادن[3] لا يحا | كما قَدَّت الحسناء حاشيةَ البُرد[4] |
| ومن إثمدٍ جُونٍ[5] وكلسٍ وفضةٍ | ومن توتياءٍ فى المعادنِ من هِند[6] |
| وفى كل أغوارِ البلاد معادن | وفى ظاهر البيداء من مستوٍ نجد |
| فذلك تدبير ونفع وحكمة | وواضح برهان على الواحد الفَرد[7] |

---

(١) كذا فى الأصل وفى البيان والتبيين ، وصححه بالميم والقاف : مرقشيتا وهى الصيغة الأرمنية للفظ . وفى السريانية مكشيتا ، وأصل اللفظ غير معروف ، والغالب أنها ما يعرف الآن بالبزموت . فقد قال دوزى فى ملحق القواميس أنها وردت فى بعض النصوص مرقشيطة القصدير . وهى البزموت bismuth . وجاء فى القانون لابن سينا (١ / ٣٦٦) : حجر هو أصناف : ذهبى وفضى ونحاسى وحديدى . وكل صنف منه يشبه الجوهر الذى ينسب إليه فى لونه . والفرس يسمونه حجر الروشنا أى حجر النور ؛ للمنفعة للبصر .

(٢) المها جمع مهاة وهى البلورة التى تتألق لشدة لمعانها

(٣) المعادن هى المناجم .

(٤) الأصل : الرند ، والتصويب من البيان والتبيين .

(٥) الأصل : ومن الموجود ، والتصويب من البيان والتبيين .

(٦) البيان والتبيين : فى معادن هندى .

(٧) ترك المؤلف بين هذا البيت والسابق عليه أبيات داخلة فى موضوع المعادن والأحجار ، ولهذا فقد رأينا أن نأتى بها هنا :

| | |
|---|---|
| وكل يواقيت الأنام وحليها | من الأرض والأحجار فاخرة المجلد |
| وفيها مقام الخل والركن والصفا | ومستلم الحجاج من جنة الخلد |
| وفى صخرة الخضر التى عند حوتها | وفى الحجر المهى لموسى على عمد |
| مفاخر للطين الذى كان أصلنا | ونحن بنوه غير شك ولا جحد |

وصخرة الخضر المشار إليها فى البيت الثالث هى الصخرة التى نسى عندها الحوت . قال الله تعالى فى سورة الكهف ﴿إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت﴾ . والحجر المهى من أمهى الحجر أى ظهر ماؤه ، وهى إشارة إلى ضرب موسى الحجر بعصاه .

وبقيت من القصيدة كما وردت فى البيان والتبيين أحد عشر بيتاً كلها هجاء لبشار وأصحابه ممن كانوا يتهمون بالزندقة .

* ابن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة صـ ٤٢-٤٣

# الملحق رقم (٢)

## البند الرابع

## من الإتفاقية المعقودة بين أمير طرابلس وجربة المستقل عن الدولة الحفصية أحمد بن مكى ومدينة البندقية فى ٩يونية ١٣٥٦



النص بالاتينية

4. Item, quod dictus dominus Ameth teneatur et debeat dare, pro quolibet caffisio salis Rassamabesii [1] mensuras tres pro caffisio, mensuratas cum mensura que noviter de Veneciis ad has partes per ducale dominium est transmissa, bullata et sigillata cum bulla comunis Veneciarum, que mensura stare debet in manibus consulis Venetorum. Et debet recipere et habere dictus dominus pro quolibet caffisio salis predicti, miliaresios duos. Et pro arabis salinarum [2], pro quolibet caffisio salis miliaresios duos; et pro illis de camellis, qui salem ad mare defferunt [3], pro quolibet caffisio salis, miliaresios duos; et pro illis de carabis qui ad navem salem deportant, pro quolibet caffisio salis miliaresium unum et quartam unam miliaresii; quod totum ascendit ad summam miliaresiorum septem et quarte miliaresii. Et debent habere arabi saline, secundum consuetudinem, barile unum vini pro quolibet centenario caffisiorum. Et debent habere arabi pro toto carico navis, saccos quatuor biscoti unius cantarii pro quolibet sacco, et rotulos viginti quinque casei, qui dividentur secundum beneplacitum et mandatum patroni, de die in diem, donec navis complecte fuerit onerata. Et habere debent illi de carabis pro quolibet viagio, quo vadunt caricati ad navem, rotulum unum panis, pro quolibet, et rotulos tres casei pro omnibus illis de carabis.

النص باللغة العربية

يتعين على السيد المذكور أحمد أن يرسل ثلاث شحنات من ملاحة رأس السبيل وذلك إلى جانب ما يتم جلبه على أيدي البنادقة وفق الإتفاقيات المحلية المقررة والتى تم الإتفــــاق عليـــــها، ويكون الإشراف على جلب هذه الكميات تحت نظـــــر القناصـــــل البنادقة ، ويجب كـــذلك على السيد المذكور أن يتولى تأمين الحصول على كمية الملح محل التعاقــد والتى تزن سبـــعة آلاف وربع الألف من الأرطال ،و كذلك الأمر بالنسبة للملاحات العربية التى يحمل منها كمية بنفس المقدار، كما يجب عليه حماية الإبل التى تحمل هذه الكميات من أماكنها حتى تصـــل إلى المراسى على البــــــحر وتحط عنها تلك الحمــــــــولات وشحنها في السفن .ووفق المعتاد يلزم السيد المذكوربتجهيز سفينة في كل شحنة ،إلى جانب تنازله عن خمسة وعشـــرين رطلا والتى يتم توزيعها وفق عمليات التسليم والتســــلم المختلفة من يوم إلى آخر وحســـب كل سفينة ينتهى تحميلها.

# الملحق رقم (٣)

## إقطاع أبي غيث الحكيمي الهناشير الواقعة بين القيروان وسبخة سيدي الهاني وإزالة قبالة ملح السبخة

نص الظهير السلطاني :

الحمد لله والشكر لله، هذه نسخة صدقة كريمة سلطانية متوكّلية (موحديّة)(أ) حفصيّة نصّها

الحمد لله وحده، تصدّق مولانا أمير المؤمنين المولى الهمام حامي الاسلام ، قاطع اهل الشّرك والجور وعبدة الاصنام، ذو العطايا الوافرة والصّدقات الزّاخرة والعلم المنشور والجيش المنصور، الكبير الأشهر مولانا أبو عبد الله (المنتصر) (2) بالله العليّ العظيم القائم بوظائف الاسلام (الرّاجي) (3) رحمة ربنا الكريم الرحمان وشفاعة رسوله صلّى الله عليه وسلّم في يوم الزّحام ،على الشيخ الحاج الصّالح البركة المعتقد الافلح أبي رحمة غيث القيرواني الحكيمي ، اعاد الله علينا من بركاته وافاض علينا من سحائب خيراته ،بالموضع المعروف بهنشير الزربية (4) والخزازيّة والعبيد (5) وهنشير حمباز (6) وكيسان وقنزر وقريح (7)، جميعها متلاصقة الحدود. يحدّ جميعها قبلة عيون الربيع (8) وجوفًا مجرى وادي القذام (9) وغربًا طريقا الخضارة (10) وطريق الحاجب وبحيرة الذّيب، وشرقًا سبخة أم الاصنام (11) وبحيرة المسروقين (12) بجميع أعشار ذلك وأحكاره ووظائفه ولوازمه ، صدقة تامّة (13) ما اختلف الملوان وتعاقب الجديدان، وعلى أولاده وأعقابهم وأعقاب اعقابهم كذلك ما تناسلوا وامتدت (14) فروعهم في الاسلام ، إحسانًا اليه وانعامًا عليه لتوثقه بحبل الله المتين وجريه على السّبيل الواضح المستبين . ومرادنا منه قراءة الفاتح (كذا) والدّعاء الصّالح ولنجلنا [الانعم] (15) رعاه (16) الله .

ورفعنا يدَ سعد (17) الظاهري عن تعاطي ( أمور سبخة أم) (18) الاصنام وملحها (19) الرفع التام، وأبحنا الانتفاع بملحها (20) وغيره لجميع المسلمين على مرور الليالي والأيّام الى انقراض ( الزمان لا يعارضهم فيه معارض بوجه ولا بحال من الأحوال. وأعطينا في ذلك مالاً ) (21) من كسبنا، حين نزول عدوّ الدّين بالحضرة العليّة ، دمّرهم الله وخذلهم ، وقصده بذلك جزيل الثّواب والسّلام .

وذلك (....) المشهورة منه الكتائب لجميع العمّال و [القواد] (22) والفقهاء وأهل (....) جميع عمله على الدّوام .

وبطرة ذلك بخط اليد الكريمة المولوية (23) الحفصيّة السّلطانية ، تحت ما وقع به عنّى (24) ، وبخطّه أيضا، يليه ختمه المعلوم : توكّلت على الله .

مؤرخ ذلك بغرّة شهر ذي الحجّة عام سبعة وسبعين وستمائة هجري .

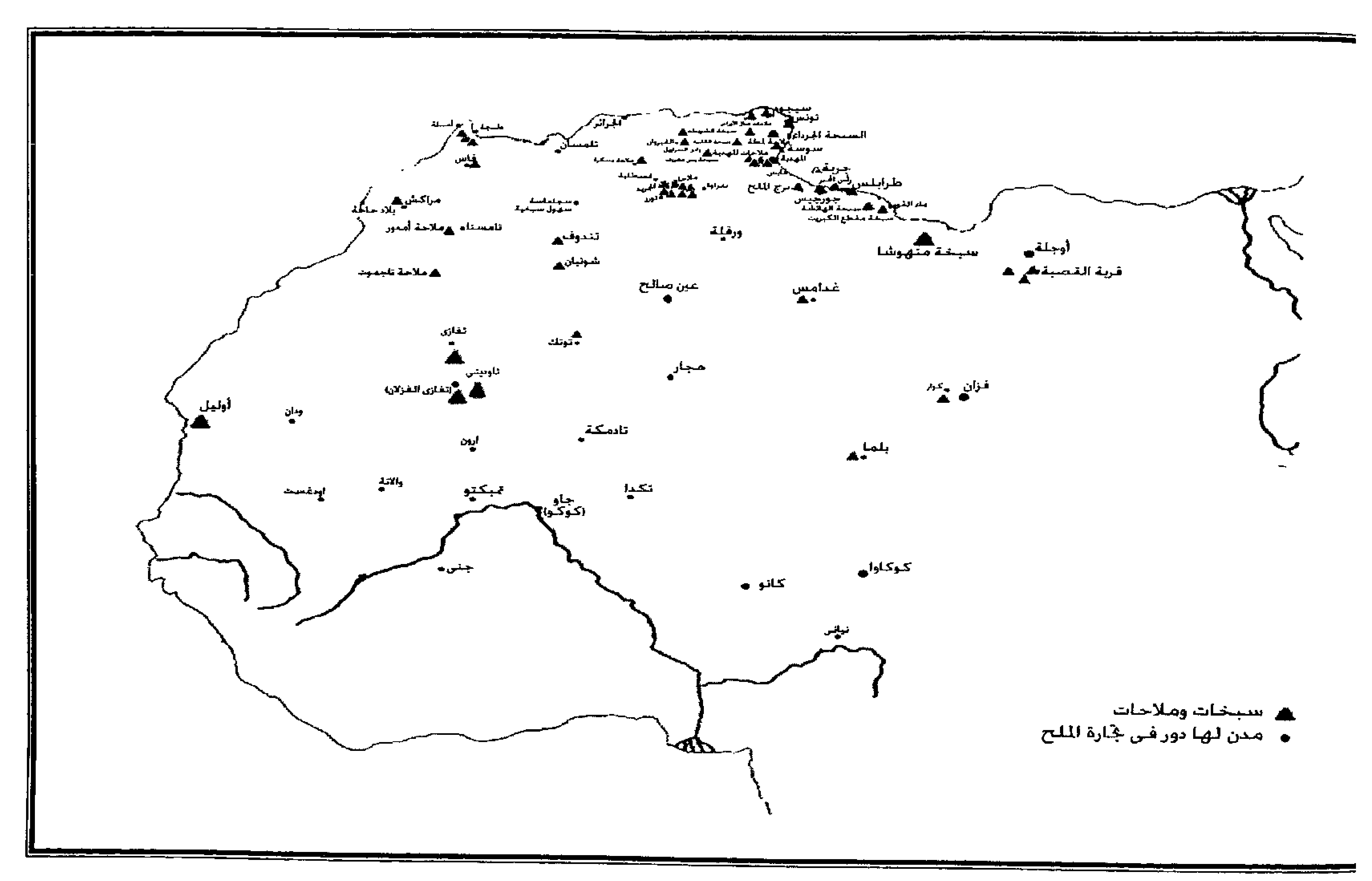
---

* اعتمدنا في تحقيق هذه الوثيقة على نسختين . الاولى وردت في الرّزنامة التونسيّة، 1324هـ، ص58-59. والثانية في تاليف محمّد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون، تونس 1974، ص177. وقد اطلقنا على الأولى تسمية ر، والثانية ج

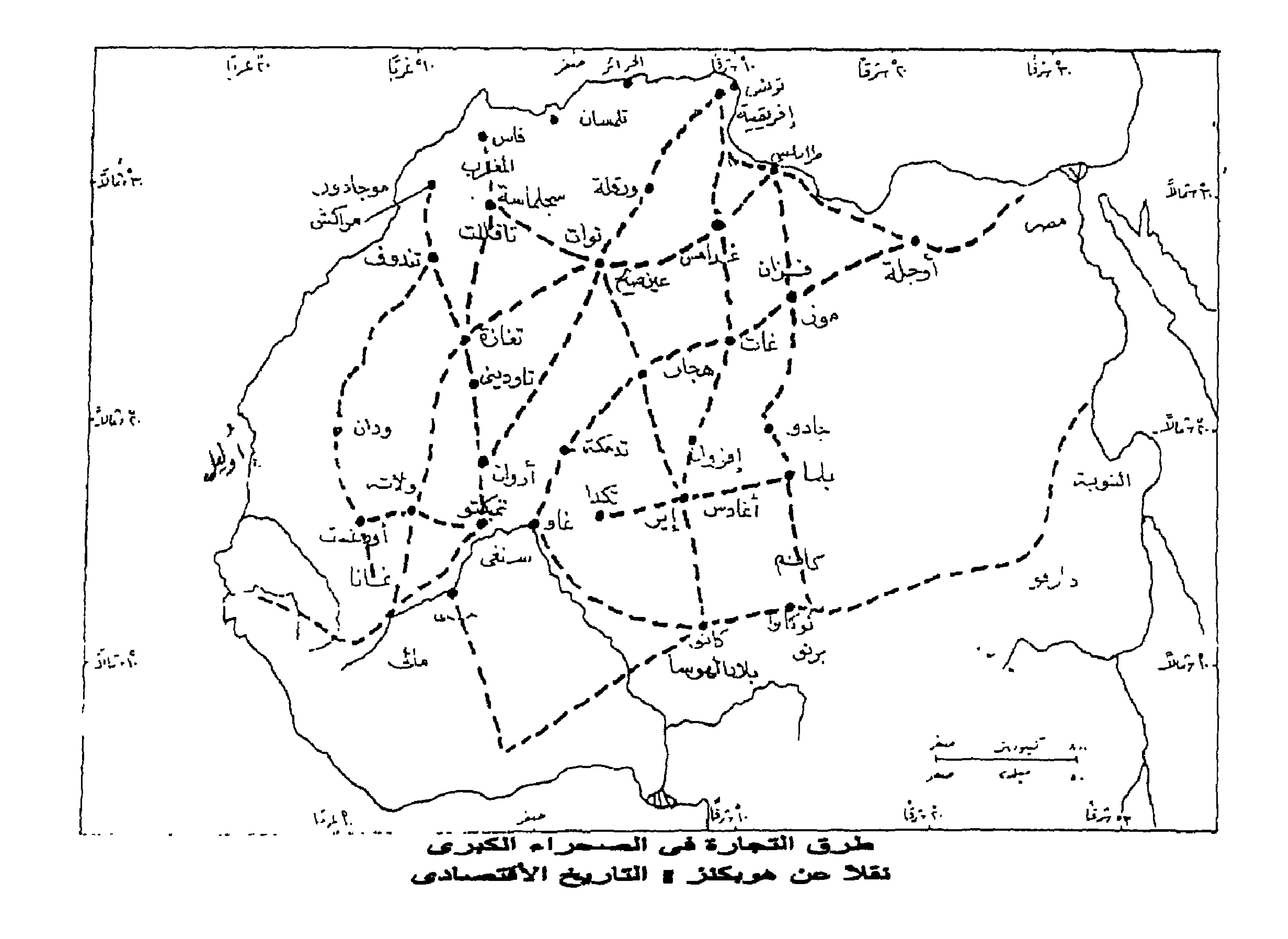
(أ) لم ترد في ج (2) في ج . المصر (3) ساقطة من ج (4) في ر . الزربيّة . (5) في ج : العبية . (6) في ج . الخبار ، ر حمباز وقد أثبتنا الاسم أثناء معاينتنا للموقع الذي ما زال يحمل نفس التسمية (7) في ج بنزر ومريح (8) في ر المريع . (9) في ج العذام (10) في ج الحضارة . (11) في ج . سلنجة أم الاصنام . (12) بحيرة السروقين (13) في ج ثابتة (14) في ج امتدن (15) في ج الانعمة وفي ر الاقعد (16) في ج . رحمة (17) . في ج بوسعه (18) بياض في ج (19) في ج محلها (20) في ج بمحلها (21) ساقطة من ج . (22) في ج بجميع العهود والبلاد في ر لجميع العمال والبلاد (23) ج المولديّة (24) في ر تممتما رقم فيه عنّي

الملحق رقم (٤)

خـــــريطـــــة (١)



# خريطة (٢)



طرق التجارة فى الصحراء الكبرى

نقلا عن هوبكنز = التاريخ الاقتصادى

## الملحق رقم (٥)

## (١) وثيقة لقبالة ملاحة وفقه القبالات في الملح

تقبل فلان بن فلان من فلان بن فلان جميع الأحواض التى بملاحة قرية كذا من عمل كذا وحدود جميع الأحواض كذا بمنافعها ومرافقها الداخلة فيها والخارجة عنها وأقبيتها وسواقيها ونصيبها من شرب بئر هذه الملاحة بعد معرفتهما بقدر ما تعاقدا فيه القبالة ومعرفة الشرب قبالة صحيحة بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار كذا وكذا شهراً أولها كذا أو لعام أوله كذا بكذا وكذا ديناراً دراهم فإن كان دفعها المتقبل ذكرت ذلك وإن كانت منجمة أو تندفع قبالة كل شهر أو كل عام عند انقضائه ذكرت ذلك ثم قلت: وفلان مصدق فى الاقتضاء دون يمين تلزمه فى دعوى القضاء ونزل المتقبل فلان فى الأحواض المحدودة وصارت بيده فإن كانت القبالة بملح قلت بكذا وكذا مديا من ملح أبيض جريش

طيب وهو الغليظ أو رقيق أبيض نقى طيب غاية بكيل كذا يدفعه المتقبل فلان إلى المقبل فلان عند انقضاء أمد القبالة ثم تكمل الوثيقة على ما تقدم.

قال محمد بن أحمد: وتجوز قبالة الملاحة بالملح لأن الملح ليس يخرج منها وإنما يتولد فيها بصناعة بجلب الماء إلى الأحواض وبتركه للشمس فيها حتى يملح وليس هذا كالثمرة التى من طبع الأرض إنباتها تكلف العمل فيها أو لم يتكلف وما قاله رواية فى «العتبية».

قال محمد بن أحمد: ولولا الرواية فى «العتبية» لكان القياس ألا يجوز وقد عمرها بعض الشيوخ وقال تعطى أحواضا وما يكون منه الملح فى ملح إلى أجل ولا يجوز تقديم القبالة فيها إذا لم يكن شربها مأمونا.

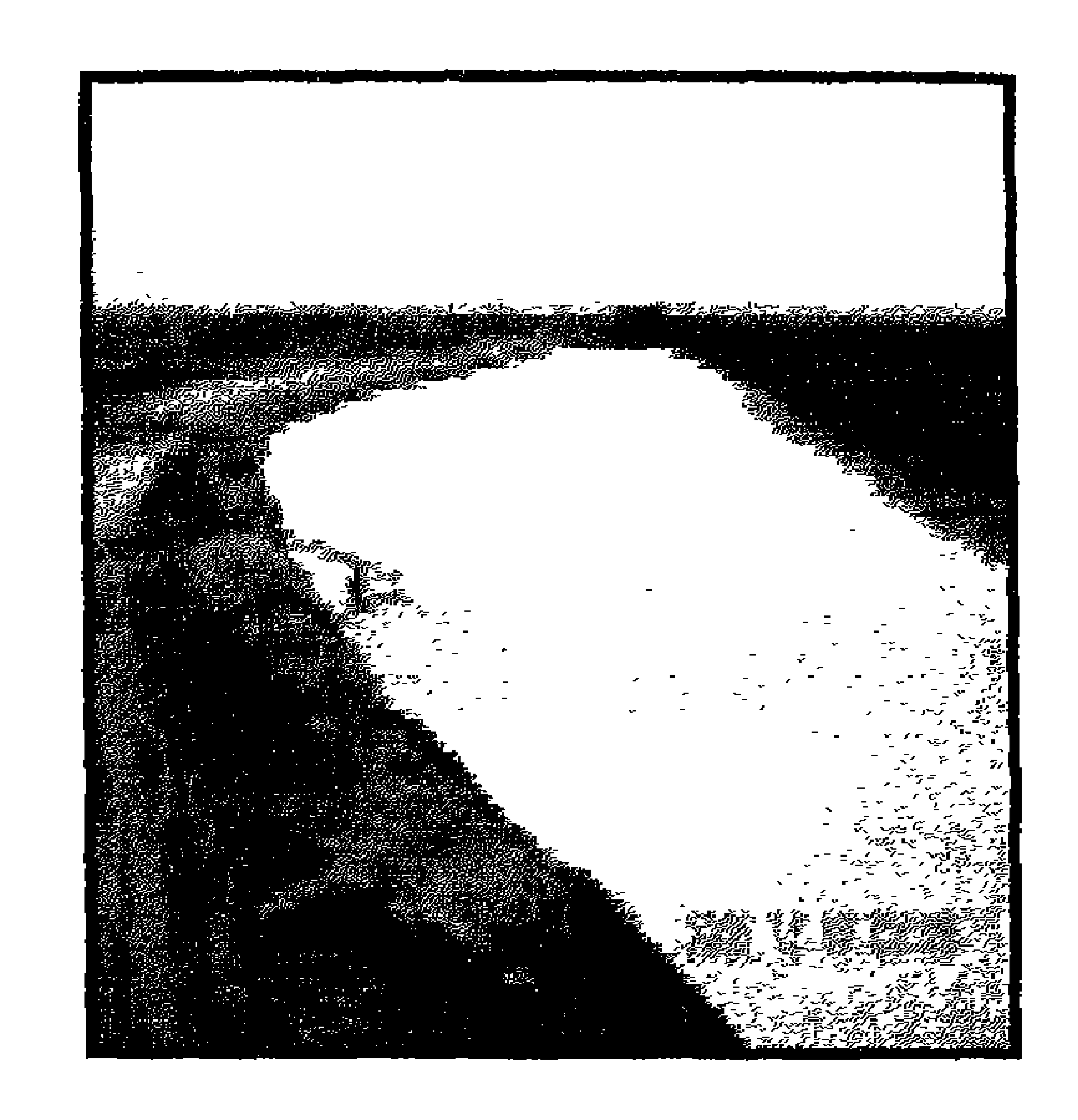
وقال محمد بن عمر: قد تكلم الناس فيها قديما وعللوها وأسقطوها لأنها صريح المزابنة التى ورد النهى عنها ولعجبا كيف أدخلها العتبى فى كتابه ومما احتج محمد بن عمر أن الرطب بالتمر لا يجوز أصلا والرطب قد يجلب إلى الجرين ويترك للشمس حتى يتمر كما يصنع بالملح. وقال محمد بن أحمد: وتجوز المعاملة فى الملاحة على الاجزاء والعقد فى ذلك:

دفع فلان بن فلان إلى فلان بن فلان جميع الملاحة التى بقرية كذا بموضع كذا [٨٥ أ] وحدودها كذا ليسقى فلان أحواضها وسواقيها ويجلب شربها المعد لها من بئر هذه الملاحة إلى أحواضها ويقوم بجميع مؤنتها حتى يملح ويستخرج ويضمه فى قناتها المعد لذلك ويكون ما يحصل فيه للعامل ثلثه أو ربعه ولرب الملاحة فلان ما بقى لعام كذا وعليه الاجتهاد فى ذلك بأبلغ طاقته وعليه أداء الأمانة فى سر أمره وجهره وعرفا قدر ما تعاملا فيه

وتعاقداه وقدر شرب هذه الملاحة وأحاطا علما بمبلغ ذلك كله وشرع فلان فى العمل فإن كان وقت العمل بعيداً سكت عنه ثم تقول: ولهما فى ذلك سنة المسلمين فى معاملاتهم ثم تكمل الاشهاد والكتب نسختان.

وتجوز قبالة الملاحة بالفضة والذهب والعروض والسلع.

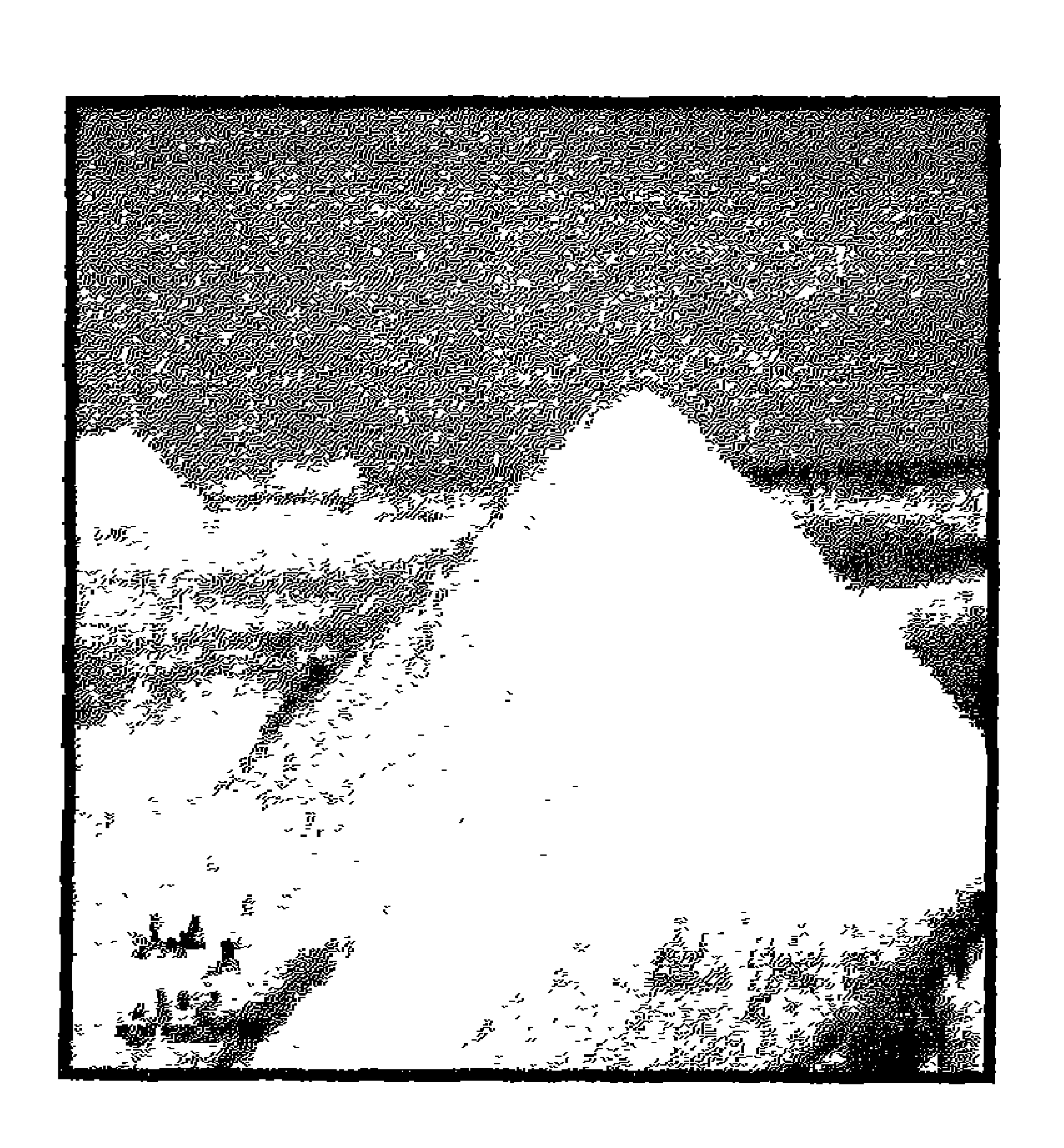
# (٢) صور تمثل استخراج الملح وتجارته



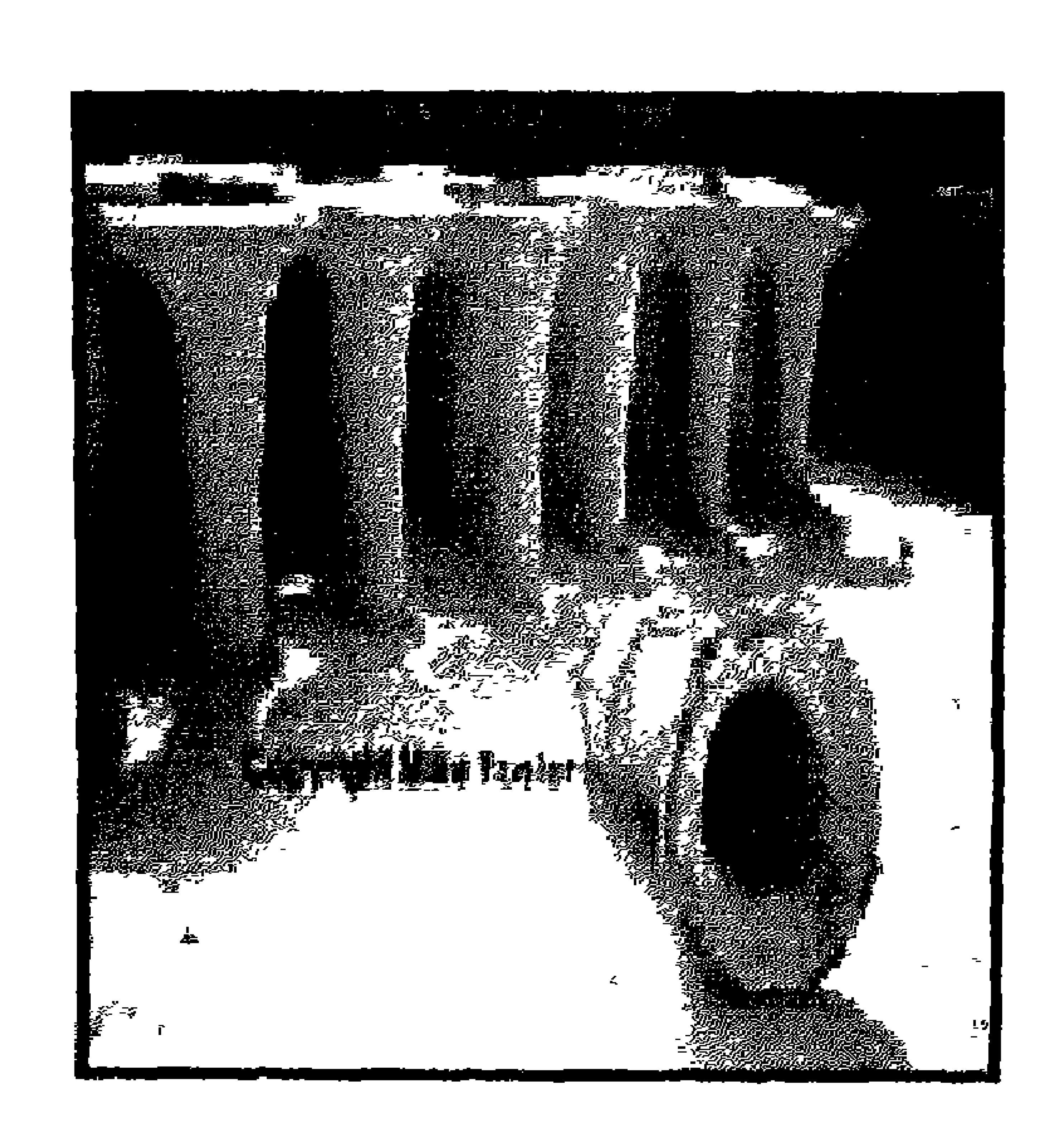
صورة رقم (١)



صورة رقم (٢)



صورة رقم (٣)



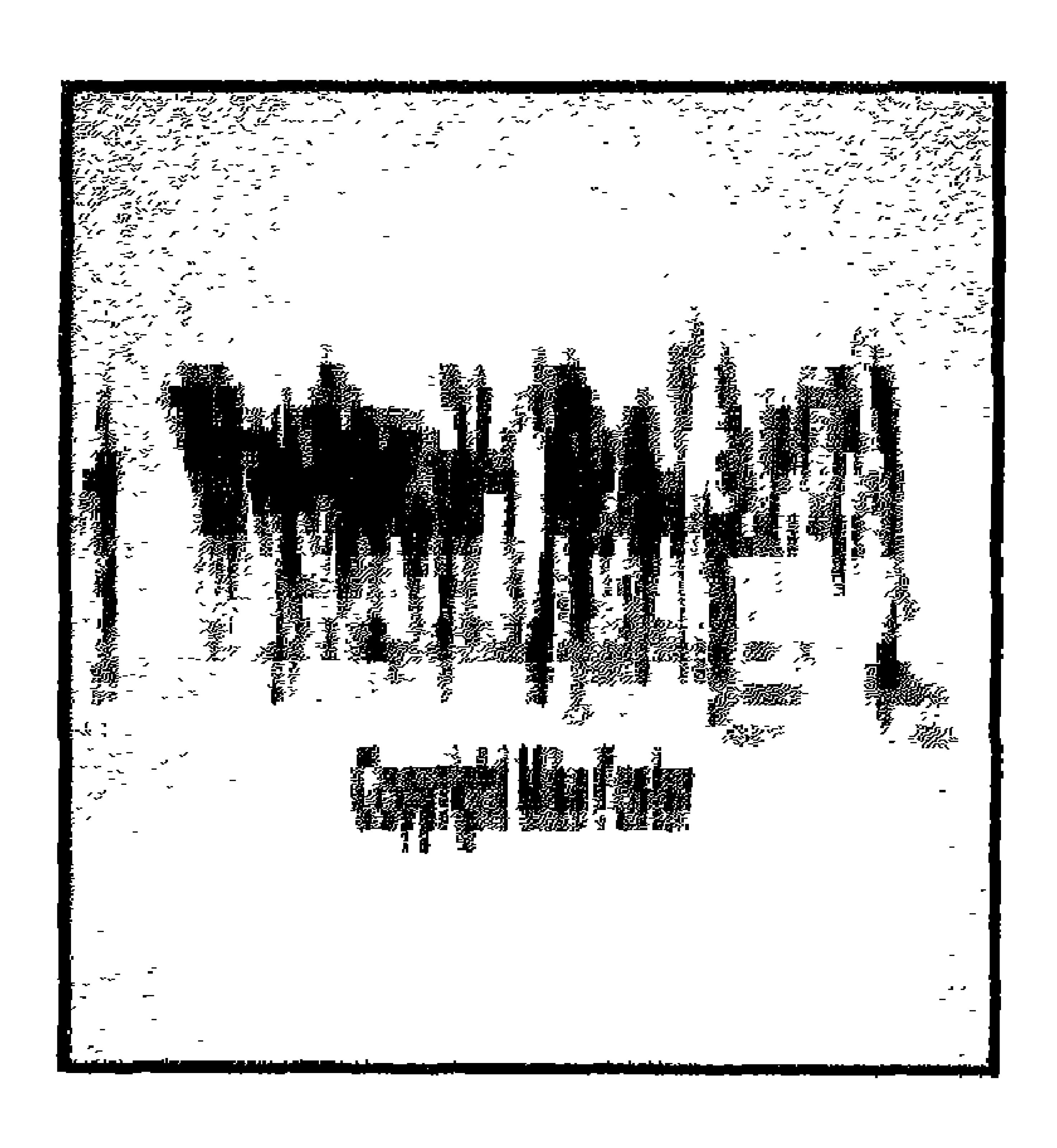
صورة رقم (٤)



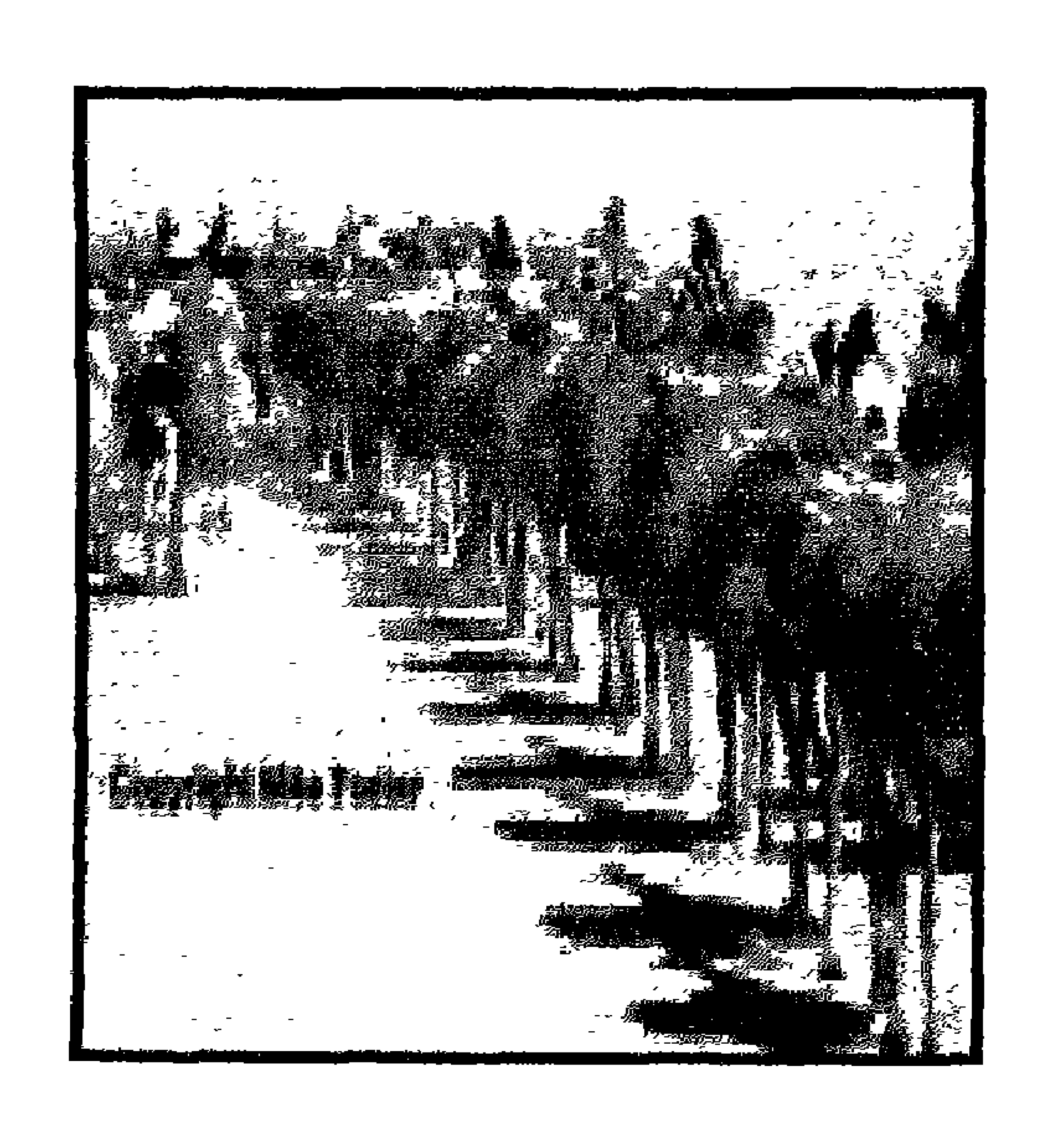
صورة رقم (٥)



صورة رقم (٦)




صورة رقم (٧)




صورة رقم (٨)

# الملحق رقم (٦)

تقريرمن أورينت برس بتاريخ ٢٢ مايو ٢٠٠٥عن قوافل الملح التى تبدأ في العمل من أكتوبر حتى مايو بعنوان: مناجم الملح الصخري ·· اكتشفها البربر واعتنقوا الإسلام

لعله صدام الثقافات بين الشاحنة والناقة· قوافل تقطع ٧٥٠ كيلومتراً من مدينة تومبكتو في مالي إلى مناجم الملح، وسط صحراء جدباء وواحات قليلة·رجال اعتادوا العطش وهم لا يتناولون الماء سوى مرة واحدة كل ثلاثة أيام أحياناً، فيما قد تجد على الطريق هياكل عظمية لنوق نُفقت من شدةالإرهاق· هنا تكون صبوراً جداً أو لا تكون، وكل هذا من أجل الذهب الأبيض الذي تتم مقايضته بالعسل والأرز· الذين يستفيدون من كل هذا هم التجار· أما العمال فلا شيء أكثر من لقمة العيش·

قبيلة برابيش البربرية أول من اكتشف الملح، واعتنقت الإسلام في العام ، 1670هنا تقاليد مثيرة في تومبكتو·

قوافل النوق تتراجع لتحل محلها الشاحنات، كما لو انها ثقافة كبيرة تتلاشى أمام التكنولوجيا·

أورينت برس وضعت هذا التحقيق حول تومبكتو وصولاً إلى تلك الصحراء حيث يحظر المرض، وحيث لا أحد يساعد أحدا:

يرتفع صوت الاذان معلناً انتهاء الليل، ثم تشرق الشمس غارقة في الغبار الكثيف الذي يملأ سماء تومبكتو· ويتمزّق صمت الرمال بصراخ الأطفال وثغاء الماعز·المشهد نفسه يتكرر مع كل فجر، منذ قرون وقرون، في هذه المدينة الواقعة عند بوابات الصحراء، وليس أمام الراغب في زيارة الصحراء سوى انتظار قافلة ينضم إليها وإلا···

تومبكتو، المدينة الأزلية، والتي طالما كانت مدينة السحر والغموض الذي جعل منها مدينة تاريخية مميزة ومنذ أقدم العصور وحتى الآن، يعجز الزائر فعلاً عن إدراك مواطن سحرها: في شوارعها أو أسواقها الرملية، في خضرواتها الهزيلة المتعفنة، أو في بهاراتها وتوابلها، أم في مناجم الملح أم في نسائها اللواتي يبدون وكأنهن مازلن هنا على حالهن منذ قرون غابرة·سحر تومبكتو لا يمكن إدراكه بالرؤية والمشاهدة، بل بالشعور فقط ، كتب الرحّالة الفرنسي سيرنو في القرن السابع عشر· لا تستخدم عينيك بل قلبك لرؤية هذه المدينة··

## قبيلة الملح

مناجم الملح هي أثمن وأهم الموارد الطبيعية في تومبكتو، لكن العمل في هذه المناجم شاق ومضن ومحفوف بالخطر، والأبرع فيه تاريخياً وإلى الآن هم أبناء قبيلة برابيش · والبرابيش برابرة قدامى اعتنقوا الإسلام منذ العام ١٦٧٠، وكانوا قد اكتشفوا مناجم الملح في تاوديني ازلاي ، وبدأوا

باستخراجه منها منذ القرن السادس عشر، وهم مايزالون إلى الآن يطلقون اسم تلك المناجم على قوافلهم المتجهة إليها.

مواسم قوافل الملح تبدأ من تشرين الأول / اكتوبر حتى أيار/ مايو، حيث تكون حرارة الصحراء والمناجم أقل غلياناً من أيام الصيف، وحيث ينقلون محصولهم من الذهب الأبيض على ظهور الجمال التي هي بحق سفن الصحراء.

كتبت الرحالة اوديت بوينادو عام ١٩٣٧ بعدما كانت قد اشتركت في إحدى رحلات قوافل الملح من تومبكتو: العمل في مناجم أزلاي لا قدرة للنساء على القيام به، عمل يستغرق ١٢ ساعةيومياً، ويلزمه رجال أشداء وحتى الرجل الضعيف لا يقدر عليه، والعمل لا يقتصر على استخراج الملح من المناجم فقط، بل الصعوبة والتعب في نقله إلى خارج المنجم وفي تحميله على ظهور الجمال. تضيف: بعد كل ذلك على رجال القوافل أن يعانوا مشقات اجتياز الصحراء في طريق العودة إلى تومبكتو، حيث يكون تجّار الملح في انتظارهم لشراء محاصيلهم، وبأثمان زهيدة تكاد لا تساوي شيئاً بالقياس على ما يتكبدونه من تعب وخطر. !

تضم قافلة الملح عادة أربعة رجال وخمسين ناقة، أما الطريق التي تقطعها من تومبكتو إلى مناجم تاوديني الواقعة في قلب الصحراء فتَبْعد ٧٥٠ كيلومتراً طريق صحراوية جرداء لا نبات فيها ولا مياه ولا شيء إلاّ الرمال. ولأن الماء أثمن من الحياة في الصحراء، فرجال قوافل الملح اعتادوا على العطش بحيث لا يشربون سوى قطرات معدودة طيلة النهار، بل ان منهم من لا يشرب سوى مرة واحدة كل يومين أو حتى ثلاثة. أما بالنسبة إلى الطعام فتكفي الواحد منهم بضع قضمات من اللحم المقدّد والخبز اليابس الذي يحملونه معهم قبل الانطلاق.

النوق، وإن كانت معتادة بطبعها على مقاومة أقصى درجات العطش فهي قد تفقد قوتها وتنهار إذا لم تنل قوتها كل يوم، ولحسن الحظ أن في طريق المناجم بعض أعشاب برية طالعة من وسط الرمال وتكفي لسد رمق النوق الجائعة.ولهذه المسألة تأثيرها المباشر على مسار الرحلة، إذ حيثما تكون رمال الصحراء مزدانة بالأعشاب تسير القافلة بمعدل ست أو سبع ساعات في اليوم لافساح المجال أمام النوق لأخذ وجبتها، أما في الطريق الجرداء كلياً، فتسير القافلة بمعدل ١٢ ساعة يومياً ومن دون توقف.

والواقع أن رحلات الملح هي معاناة في منتهى القسوة، سواء للرجال أو للنوق، وليس غريباً رؤية العديد من الهياكل العظمية لنوق فقدت حياتها بفعل الإرهاق الشديد الذي يتسبب فيه نقل الذهب الأبيض.

## تكون صبوراً أو لا تكون

مع غروب الشمس تتوقف القافلة وتحطّ الرحال، والاستراحة تستمر حتى بزوغ فجر اليوم التالي، وبرغم تعبهم النهاري، فإن رجال القافلة لا يضيعون كل وقت استراحتهم هباء، بل يجمعون ما تيسر من الأعشاب الصحراوية اليابسة ويجدلونها في حبال طويلة يستخدمونها في ربط النوق ببعضها، وفي تقوية سروجها إضافة إلى استخداماتها الأخرى في أمتعتهم الشخصية، كما يستخدمون لبّها، إذا كان نضراً بعض الشيء، في تحضير الدوخم ، أي وجبة الافطار الصباحية، وهي وجبة لذيذة فعلاً، يصنعونها من العسل الممزوج بالطحين إضافة إلى مواد أخرى بحيث تصبح الخلطة أشبه بالكريما المخفوقة،خلال ذلك تكون وجبة العشاء قيد التحضير على قدور فوق مواقد صغيرة يصنعونها من الحجارة ويشعلون تحتها وقود الأعشاب اليابسة· كل الأشياء، مهما كانت صغيرة أو عادية، تستغرق وقتاً طويلاً في الصحراء ··الصبر، والاناة، من أدبيات الصحراء· وهنا تكون صبوراً جداً أو لا تكون أبداً·· المشهد نفسه يتكرر كل يوم، والمعاناة نفسها تتكرر كل يوم، ومع كل يوم جديد تبدو مناجم الملح أكثر بُعداً، ويبدو الوصول إليها كضرب من المستحيل·

بعد عشاء الأرز، كما بعد افطار خلطة العجين والعسل، لابد من كوب صغير من الشاي المساعد على الهضم وعلى تعديل المزاج، ومع أن المفاجآت نادرة الحدوث في الصحراء فلابد من إبقاء النار مشتعلة طوال الليل، كما لابد من نوبات حراسة قرب باب الخيمة عندما تحين ساعة النوم·

## واحة أروان

بعد مسيرة ٧٥٠ كيلومتراً من تومبكتو، تنفرج أسارير القافلة، رجالاً ونوقاً، بالوصول إلى واحة أروان ، حيث الماء والأعشاب النضرة، لكن مرحلة أخرى من العذاب تبدأ بعد الخروج من الواحة، حيث يندر أو حتى ينعدم وجود الماء والأعشاب· وخلال ذلك تتغذى النوق من الأعشاب التي سبق وحملها من الواحة·

لاشيء يوقف القافلة لدى انطلاقها في الصحراء، حتى إذا يشعر أحد رجالها بأية عوارض صحية مهما كانت· القواعد صارمة جداً هنا: عليك أن تتغلب على جسمك وأن تصبر على العارض الصحي مهما كان شديداً وأن تتابع المسيرة على ظهر ناقتك لأن لاشيء يوقف القافلة·رجال قوافل الصحراء لا يعترفون بالألم، ولا أحد يساعد أحداً في أي شيء· لأن على الجميع أن يتدبّروا شؤونهم بأنفسهم·

بعد اجتياز حوالي النصف الأول من الطريق تتغير قوانين السير، يصبح بحدود الأربع عشرة ساعة يومياً مع اختصار شديد في وقفات الاستراحة لتناول الغذاء وبعض النوم، كما يمتد سير القافلة إلى

ما بعد الغروب وإلى ما قبل الفجر ، وبواسطة نجمة بلهادي تستدل القوافل على الاتجاه الموصل إلى مناجم الملح بدون بوصلة أو غيرها، ولماذا البوصلة ما دامت هذه النجمة ثابتة في مكانها منذ عشرات ومئات القرون؟!

## 400منجم

الرحلة تستغرق إلى مناجم تاوديني ثلاثة أسابيع، وفرحة الوصول تنسي ضراوة التعب. الرمال وردية اللون بل شبه حمراء، وبالاقتراب من موقع المناجم ينجلي غبار السماء عن جبل ومئات النوق من القوافل التي وصلت قبل غيرها أو التي تحمّل محاصيلها استعداداً للعودة إلى تومبكتو. عدد المناجم حوالى ٤٠٠، منخورة بفجوات يصل قطر الواحدة منها إلى عدة أمتار، ومن عمق حوالي الخمسة أمتار يعمل الملاّحون على استخراج كتل صخرية من الملح الصخري الأبيض النقي، ثم يقطعونها إلى كتلتين عموديتين مكعبتين، زنة الواحدة منها حوالي ٣٥ كيلوغرام. وللمقاييس والأوزان حسابات خاصة ترتكز على حمولة الناقلة التي ستجتاز بها مسافة ٧٥٠ كيلومتراً وسط رمال الصحراء المضنية.

وطبيعة العمل في مناجم الملح تتطلب خبرة وعناية فائقة الدقة، حيث أن أدنى حركة خاطئة قد تتسبب في تصدع كتلة الملح وانكسارها وربما في تفتيتها أيضاً وخسارتها في الرمال.

## ملح مقابل .. العسل

يوميات العمل في مناجم الملح في تاوديني/ تومبكتو لم تتغير منذ عشرات القرون، المعدات نفسها، التعب والإرهاق نفسه، أغذية العمال نفسها، وسائل النقل نفسها، ولهيب الأرض والسماء نفسه. لكن كل شيء يهون من أجل هذه الحفنان السخية من الذهب الأبيض الخام.

بالوصول إلى أسواق تومبكتو تبدأ عمليات المقايضة، والأسعار شبه ثابتة: كتلة ملح وزنها ٣٥ أو ٣٠ كيلو غراماً تساوي ستة كيلوغرامات من العسل أو ثلاثة كيلوغرامات من الأرز. وإذا كان الملح مصدر رزق العمال وعائلاتهم، فإن أرباحه الحقيقية تذهب إلى جيوب كبار التجار، والذين كانوا حتى أواخر القرن التاسع عشر يستخدمون عبيداً من قبيلة هاراتن الين يعملون في استخراج الملح ونقله إلى تومبكتو مقابل إطعامهم فقط.

رسمياً وعملياً لا تعود ملكية مناجم الملح إلى أحد، بل بإمكان أي كان أن يأتي مع عماله ويستخرج ما يشاء، كما بإمكانه أن يحفر منجماً جديداً إذا أراد، وفيما تصادف فريق عمل مؤلفاً من أبناء قبيلة واحدة يعملون في المناجم كمجموعة واحدة، هناك أيضاً مجموعات من عمّال أجراء، إضافة إلى مجموعات صغيرة العدد ممن يعملون لحسابهم الخاص.

## غزو الشاحنات

جميع عمال مناجم الملح من الرجال الأشداء والذين يقضون ستة أشهر متواصلة معزولين عن باقي العالم، حيث لا مراكز استشفاء حتى لأخطر الحالات الطارئة، وحيث لا وسيلة اتصال حتى جهاز راديو ترانزستور صغير، لاشيء هنا سوى الملح والرمل وسوى لهيب النهار وصقيع الليل، وسوى النوق ورجال الصحراء. وفي الليل ينام العمال في مساحة واسعة من الخيم الصغيرة المنصوبة هنا وهناك، وأمام كل خيمة ألواح الملح التي يكون جرى استخراجها خلال النهار.

ومع إطلالة شهر أيار/ مايو ينتهي موسم العمل في المناجم ويبدأ تحميل النوق وتنظيم قوافل العودة إلى تومبكتو، وبالإضافة إلى النوق، بدأ كبار التجار يستخدمون في السنوات الأخيرة قوافل تعتمد طريقة السير ليلاً والاستراحة والنوم نهاراً، ومسافة الـــ ٧٥٠ كيلومتراً التي تقطعها النوق في ٢١ يوماً، تقطعها الشاحنات في أربعة أيام فقط.

قوافل الشاحنات تهدد فعلاً بزوال وانقراض قوافل النوق، لكن مناجم الملح لن تنقضي مهما طال الزمن، بل ستبقى ذهب تومبكتو الأبيض الذي يزيد من لمعان بريق المدينة الزاهية دوماً في التاريخ كما في الجغرافيا.

# المصادر والمراجع

## أولاً : المصادر


-القرآن الكريم

-ابن أبـي زرع ( أبو الحسن على بن عبد الله كان حياً ٧٢٦هـ /١٣٣٥م ) :الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،تحقيق ومراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م، الطبعة الثانية .

-.....: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة،الرباط سنة ١٩٧

-الإدريسـي (محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشريف الإدريسـى مـن أهـل القـرن السادس) : كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مجلدان ، عالم الكتب ، بيروت سنة ١٩٨٩

-الأبشيـهي (شهاب الدين محمد أحمد بن الفتح الأبشيهي ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦ م) :المـستطرف في كل فن مستطرف،دار الكتب العلمية،بيروت سنة ١٩٨٦ الطبعة الثانية

-الاصطـخري (أبواسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المتوفى في النـصف الأول /العاشر الميلادي):المسالك والممالك ،تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال مراجعة محمد شفيق غربال ،الذخائر رقم ١١٩ الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة ٢٠٠٤.

-البخـاري (أبوعبد الله محمد بن إسماعيل الجعفـي البخـاري ٢٥٦هـ/٨٦٩م): الجـامع الصحيح المختصر ، تحقيق دكتور/ مصطفى ديب البغا ، دار بن كثير اليمامة ،بيـروت سـنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٧٨م ، الطبعة الثالثة.

-البـرزلي(أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي ت ٨٤١ هـ/١٤٣٨م): جامع مسائل الأحكام لما نزل بالمفتين و الحكام ،أجزاء ،تحقيق د/ محمـد حبيـب الهيلـة ،دار الغرب الإسلامي بيروت ٢٠٠٢ م الطبعة الأولى .

-البـغوى ( أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت٥١٦هـ/١١٢٢م) : تفـسير البغـوي المعروف بمعالم التنزيل ، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخـرون ، دار طيبـة للنـشر ، سـنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م الطبعة الرابعة .

-البـكري( أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن مصعب البكري ت : ٤٨٧هـ /١٠٩٤م ) : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، تحقيق دى سلان ،الجزائر سنة

١٩١١م .
-ابن بطـــــوطة(أبــو عبــد الله محمــد بــن محمــد اللــواتي المعــروف بــابن بطوطــة ت٧٧٩هـ/١٢٢٧م) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،جزءان ، تحقيــق د/ علي المنتصر الكتاني ،مؤسسة الرسالة،بيروت ١٤٠٥ هـ) الطبعة الرابعة.
-البيـــــهقي(أبو بكرأحمد بن الحسين بن علي بــن موســى البيهقــي ت ٤٥٨هـــ/١٠٦٥م) : شعب الإيمان ،تحقيق محمد السعيد بسيوني ،دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠هـ .
-التـــــجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني ت٧١٧هـ/١٩١٧م):رحلة التجاني: قام بها في البلاد التونسية والقطر الطرابلس ، تحقيق حسن حسني عبــد الوهــاب ، المطبعــة الرسمية تونس ١٩٥٨م .
-الترمـــــذي (محمد بن الترمذي السلمي ت ٢٩٥هـ / ٩٠٧م): الجامع الصحيح ، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت ، بدون .
- الثعـــالبي(أبومنصورعبدالملك بن محمدبن إسماعيل الثعالبي ت٤٢٥هـــ/١٠٤٧م):يتيمــة الدهر في محاسن أهل العصر ،المجلد الثاني الجزء الثالث،تحقيق محمــد محيــي الــدين عبــد الحميد،دار الفكر للطبلعة والنشر،بيروت ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م الطبعة الثانية .
-الجــزناءي (أبو الحسن على من أهل القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي): كتــاب تاريخ مدينة فاس المعروف بزهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق وتعليق ودراســة مديحــة الشرقاوي ،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) الطبعة الأولى .
-أبوحامــد الغرناطي( الشيخ محمد بن عبد الرحيم المعــروف بــأبي حامــد الغرنــاطي ت سنة٥٦٥هـ/١١٦٩):المعرب عن بعض غرائب المغرب ،ترجمة وتحقيــق انغــرد بيخــارانو ،المجلس الأعلى للابحاث العلمية ،معهد التعاون مع العالم العربي ،مدريد سنة ١٩٩١.
-.......،تحفة الألبــاب ،نــشر وتحقيــق Gabreil Ferrerd فــي Jornal Asiatique ,Juillet-Septenbre,1925.
-الحميــــــرى ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله عبد المنعم الصنهاجي ، ٧٥٠هـــ/١٣٤٩ م): الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق احسان عباس ،مؤسسة ناصر للثقافة بيروت ١٩٨٠م الطبعة الثانية .
-ابن حنـــبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن جنبل الشيباني ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) : مــسند الأمــام

أحمد ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة بدون.
-ابن حـــوقل ( أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي ت ٣٨٠هـــ ٩٩٠م ) : صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ١٩٩٨ م.
-ابن خـلــدون ( عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبـد الـرحمن الحضر ت ٨٠٦هـــ م ١٤٠٦م ) : كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، أجزاء طبعة دار الكتب العلمية بيروت سـنة ١٩٩٢م .
-......:المقدمة ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي ، سلسلة التراث ،مكتبـة الأسـرة ،القاهرة ٢٠٠٦ م.
-الخـــوارزمي (أبو عبد الله محمد بـن أحمـد بـن يوسـف الخـوارزمي الكاتـب ت٣٨٠ /أو٣٨٧):كتاب مفاتيح العلوم ،تحقيق فان فلوتن ،قـدم هـذه الطبعــة د/محمـد حـسن عبـد العزيز،سلسلة الذخائر رقم ١١٨ الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهرة ٢٠٠٤.
-الداعـي إدريـــس عماد الدين المتوفى ٨٧٢ هـ/١٤٨٨م : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار ، تحقيق محمد اليعلاوى ، دار الغرب الإسلامي بيروت سنة ١٩٨٥ الطبعة الأولى.
-أبـــو داود (أبو دأود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م ): سنن أبو داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بدون.
- الـــداودي (الإمام الأغرف أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي ت٤٠٢ هـ/١٠١١م) :كتاب الأموال،تقديم و تحقيق رضا محمد سالم شحاته ،مركز احياء التراث ،الرباط ١٩٨٨.
- الـــدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ت٦٩٦ هـ/١٢٩٦م):معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، جـ٣ ،أكمله وعلق عليه أبو الفضل ابو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة تونس ١٩٦٨م.
- **الدمشـــقي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري ت):نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ،ليبزج سنة ١٩٢٣.**
- الدينـــوري (أبومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الكوفي المروزي الدينوري ت سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م ):أدب الكاتب ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية ،مصرسنة

١٩٦٣ الطبعة الرابعة.
- **ابن رشـــــد** ( أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمـد بـن رشـد القرطبـي المـالكي ت ٥٢٠هـ/١١٢٩م ) : فتاوى ابن رشد ، تحقيق وتقديم وجمع وتعليق الدكتور المختار بن الطاهر التليلي ، دار الغرب الإسلامي بيروت سنة١٩٧٨م الطبعة الأولي .
- **الرقيق القيرواني** : تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق د/ محمد زينهم عزب ، القـاهرة سـنة ١٩٩٤ .
- **الزركشـــي** (ابو عبد الله محمد بن إبراهيم المعـروف بالزركـشي كـان حيـا سـنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م):تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ،تحقيق محمد ماضور ،من سلسلة تراثنا ،المكتبة العتيقة ، تونس ١٩٦٦..
- ابن **ســـعيد** : ( أبو الحسن على بن موسي بن عبد الملك ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م ) : كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان برنيط ،معهد مولاي الحسن ،تطوان ١٩٥٨.
- **الســـيوطي**(جلال الدين عبد الـرحمن بـن أبـي بكر الـسيوطي ت٩١١هـ/١٥٠٥م) وآخرون:شرح سنن ابن ماجه ،مكتبة قديمي خانة ،كراتشى ،بدون .
- **ابن صاحـب الصلاة** ( عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المعـروف بابن صاحب الصلاة ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م ):المن بالأمامة أو تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٧.
- **ابن الصـــغير** (المالكي عاش في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) : أخبار الأئمـة الرسمتين ،تحقيق د/حسن علي حسن ،القاهرة سنة ١٩٨٤ .
- **الطبـــرانى** (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى ت٣٦٠هـ/٩٧٠م) : المعجم الكبير ، تحقيق حمدى بن عبد المجيد السلفى ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
-.......... : المعجم الأوسط ، تحقيق طارق بن عوض ، وعبد المحسن بن إبراهيم ، دار الحرمين سنة ١٤١٥.
- **الطبـــري** (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م ): جامع البيان فى تأويل القرآن ،أجزاء، تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ، سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م الطبعة الأولى .

- عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م :رحلة عبد الباسط بن خليل إلى تونس من كتابه الزوض الباسم نشرها روبرت برنشفيج في Pupliacion de L,institute Orientales de le Faculte des Leteres d,Alger, VII تحت عنوان Deux recits de voyage indits en Afrique nord au XV siecle Abdal Basit.B.khalil et Adorne,Paris 1936 0

- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري ت ٢٧٥هـ / ٨٧١م ) : فتوح أفريقية والأندلس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٧.

- العبدري (ابوعبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي٠٠٠٠هـ/٠٠٠م): رحلته المسماة الرحلة المغربية ،تحقيق محمد الفاسي،سلسلة الرحلات ٤،جامعة محمد الخامس،الرباط ١٩٦٨ .

- ابن عبدون (محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي) :رسالته في الحسبة والقضاء،ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ،المعهد العلمي للآثار الشرقية ،القاهرة سنة ١٩٥٥.

- ابن عذارى (أبو عبد الله محمد بن عذاري المراكشي ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ح٢،تحقيق س كولان، ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٨٣ ، ح٣ تحقيق ليفي بروفنسال دار الثقافة بيروت بدون ، ح٤ (قطعة من تاريخ المرابطين تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٧م، قسم الموحدين تحقيق محمد أبراهيم الكتاني وآخرون ،دار الغرب الإسلامي ببيروت ،الدار البيضاء ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م الطبعة الأولى .

- ابن العطار(الفقيه الموثق محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن العطار ت٣٩٩ هـ/١٠٠٨م) :كتاب الوثائق والسجلات ،اعتنى بتحقيقه ونشره ب.شالميتا وف.كورينطي ،مجمع الموثقين المجريطي والمعهد الأسباني العربي للثقافة /مدريد ١٩٨٣ .

- ابن عمر:(يحيي بن عمر الأندلسي الكناني ت٢٨٩ هـ/٩٠١م):أحكام السوق،تحقيق. حسن حسني عبد الوهاب راجعه وأعده للنشر فرحات الدشراوي ،الشركة العربية للنشر والتوزيع ،تونس ١٩٧٥.

- العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري ت ٧٤٩هـ/١٩٤٨م) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الأول ،تحقيق عبد الله بن يحيي السريجي ،المجمع الثقافي ، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ،السفر الرابع،تحقيق د/حمزة أحمد

عباسي أبو ظبي الإمارات ٢٠٠٢ م.
- **العياشي**(أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي ت١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) :رحلته المسماة ماء الموائد (ليبيا وطرابلس وبرقة) ،تحقيق سعد زغلول عبد الحميد وآخرون ،منشأة المعارف ، الأسكندرية ،١٩٩٦ .
- **عياض** (القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م) : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،الجزء الثالث تحقيق عبد القادر الصحرأوي ، الرباط١٣٨٨هـ/١٩٦٨م،الجزء الخامس ،تحقيق محمد بن شريفة ، المغرب ،بدون،الجزء السادس تحقيق سعيد أحمد اعراب ، المحمدية ١٩٨١
- **الفاسي** (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي ت٦٠٣ أو ٦٠٤ هـ/١٢٠٦أو١٢٠٧م) : المستفاد من مناقب العباد بدينة فاس وما يليها من البلاد ،تحقيق محمد الشريف ،القسم الثاني النص ،منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بتطوان ، الرباط ٢٠٠٢،الطبعة الأولى.
- **أبو الفدا** (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر المشهور بأبي الفدا ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) :تقويم البلدان ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٧م)
- **ابن قتيبة** (ابن قتيبة الفقيه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) :أدب الكاتب ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،المكتبة التجارية مصر ١٩٦٣م الطبع ة الرابعة.
- **القرطبى** ( ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج القرطبى ت٦٧١ هـ/ ١٢٧٣م ): الجامع لاحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربى، بيروت سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- **القزويني**( زكريا بن محمد بن محمود القزويني ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد ،دار صادر ،بيروت ، بدون .
- **ابن القطاع**(أبو القاسم علي بن جعفرالسعدي المعروف بابن القطاع ت٥١٥هـ/١١٢١م) كتاب الأفعال،عالم الكتب،بيروت ١٩٨٣ ،الطبعة الأولى.
- **القلقشندي**( الشيخ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١ هـ/١٤١٨م):صبح

الأعشى في صناعة الإنشا ،الجزء الخامس ،الذخائر ١٣٤، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة يناير ٢٠٠٥م.
-ابن قيـــم الجــوزية (الإمام شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م): زاد المعاد فى هدى خير العباد ،الجزء الثالث، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، مكتبة المنار ، الكويت سنة ١٩٨٧ م الطبعة الخامسة عشر.
- الكـــــتانــــي (الشريف أبو عبد الله محمد بن حعفر بن إدريس الكتاني٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م م) :سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس تحقيق عبد الله كامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة ،الدار البيضاء ١٤٢٤هـ/٢٠٠٦م .
- ابن كثـــــير (أبوالفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت٧٧٤ هـ/١٣٧٣م): تفسير القرآن العظيم ،أجزاء، تحقيق سامي محمد سلامة،دارطيبة للنشر سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م.
- ابن ماجة (أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني المشهوربابن ماجة ت٢٧٣هـ/٨٨٦م) : سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، بدون.
- المالكــــــــي( أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي،نهاية القــرن الرابــع الهجــري/ العاشر الميلادي).: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان أفريقية وزهــاد هــم وعبــادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم جزءان ، تحقيق بــشير البكــوش ، محمــد العروسي المطوي ، بيروت طبعة سنة ١٩٩٤م.
- مجهــــــول : الاسبتصار في عجائب الأمصار ، تحقيق د/ سعد زغلــول عبــد الحميــد الإسكندرية سنة ١٩٥٨م .
-٠٠٠٠٠ : ذكر مشاهير بعض أهل فاس في القديم بتحقيق عبد القادر زمامه ، مجلة البحــث العلمي ، المركز الجامعي للبحث العلمي سنة ١٩٦٤م ، ١٩٦٥م عدد ٣،٤،٥ .
٠-٠٠٠٠:كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس،نسره هويثي ميراندا ،صحيفة معهــد الدراســات الإسلامية ، المجلدان التاسع والعاشر ،مدريد ١٩٦١-١٩٦٢ م.
- المراكشــــــي ( محيي الدين أبو محمد عبد الواحد بن على المراكــشي ت ٦٤٧هــــ/ ١٢٤٩م ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب " تحقيق محمد زينهم عــزب ، القــاهرة ســنة ١٩٩٤ .

-.......:وثائق المرابطين والموحدين ،تحقيق حسين مؤنس ،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة١٩٩٧ ط١.

- ابن مرزوق (محمد بن أحمد بن محمد بنأبي بكر بن مرزوق التلمساني ت٧٨١هـ/١٣٧٩): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيجيرا ،تقديم محمود بو عياد الجزائر ١٤٠١هـ/١٩٨١م

- المسعودى ( أبو الحسن على بن الحسين المسعودى ت ٣٢٦هـ / ٩٣٧م ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ٢ تحقيق مفيد محمد قميحه دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٩٨٦ .

- مسلم (الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابوري ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م) : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون .

- المقدسى ( شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشارى ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار صادر ،بيروت،عن طبعة ليدن ١٩٠٦م .

- المقريزى ( تقي الدين أحمد بن على المقريزي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١-١٤٤٢م ) :جنى الأزهار من الروض المعطار،تحقيق محمد زينهم عزب ،الدار الثقافية للنشر،القاهرة ١٤٠٦ هـ/٢٠٠٦ م .

- المقري (أحمد بن المقري التلمسانى ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م) : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب مجلدات تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت سنة ١٩٩٧م

- ابن منظور : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت بدون .

- النسائى ( أبو عبد الرحمن أحمد شعيب النسائى ت ٣٠٣ هـ/٩١٥م): سنن النسائى الكبرى ، تحقيق عبد الغفار بن سليمان البندارى وسيد كسروى حسن ، دار الكتب العلمية ،بيروت سنة ١٤١١هـ /١٩٩١م.

- النيسابوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم المعروف بالحاكم النيسابوري ت٤٠٥هـ/١٠١٤م): المستدرك على الصحيحين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٩٠م .

- النـــــويري ( شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري٧٣٣/١٣٣٢م) :نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر التاسع،سلسلة تراثنا ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣ م.

- ابن الـــــوردي(زين الدين أبو حفص عمر بن الوردي ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) :تاريخ ابـن الوردي ، نشر S.Hylander لندن سنة١٨٢٣م.

- ابـن الـوزان الزيـاتي (الحـسن بـن محمـد بـن الـوزان الزيـاتي أو جـان ليـون الافريقي٨٣٢هـ/١٤٢٩م): وصف أفريقيا ، ترجمه عن الفرنسية د/ عبد الرحمن حميدة ،سلسلة التراث ،مكتبة الأسرة ،القاهرة٢٠٠٥ .

- الونشـريسي (أحمد بن يحيي محمد بن عبد الواحد بن على ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) : المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب ، أجزاء مجموعـة مـن الفقهاء أشراف الدكتور محمد حجي دار المغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨١ .

- ياقــــوت ( أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمـوي الرومـي البغـدادي ت٦٢٦هـــ / ١٢٢٦م) : معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ،بدون.

- اليــعـقوبى ( أحمد بن أبي يعقوب بن جعفربن وهب بن واضح الكاتب ت٢٨٤هـ/٨٩٦م): كتاب البلدان ضمن المجلد السابع من الآعلاق لابن رسته، ليدن سنة ١٩٨٢ .

-......:تاريخ اليعقوبي ،المجلد الأول،دار صادر بيروت،بدون.

- ابن يوسف الحكيم (أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم الفاسي ،عاش في النصف الثاني مـن القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي): الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، حققه وذيله بجامع مفردات د/ حسين مؤنس ، دار الشروق القاهرة ١٤٠٦هـ /١٩٨٦ م.

## ثانـيا:المراجع

- ابتسام مرعــــى خلف (دكتـور): العلاقات بين الخلافة الموحديـة والمـشرق الإسـلامى ٥٢٤-٩٣٦هـ/١١٣٠-١٥٢٩م ، دار المعارف القاهرة سنة ١٤٠٥هـ/سنة١٩٨٥م

- إبراهيـم حركـــات (دكتـور): النشاط الإقتصادي الإسلامى فى العصر الوسـيط حتـى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادي إفريقيا الشرق سنة١٩٩٦م.

-**إبراهيم سعيد فهيم محمود (دكتور):** العالم العربى فى نظر الرحالة الأوربيين مصنف آل ادرونى كمصدر أوربى من تونس فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الهجرى دراسة مقارنة ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب بعنوان أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب حصاد ٦ القاهرة سنة ١٤١٩هـ/سنة١٩٩٨م.

-**أحمد الياس حسين :** الطرق التجارية عبر الصحراء حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب ، ماجستير سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

-...................: العلاقات بين مملكة غانة والمغرب العربى فيما بين القرنين الثانى والخامس الهجريين ، الثامن والحادي عشر الميلاديين دكتوراه ، قسم التاريخ، معهد الدراسات الأفريقية جامعة القاهرة سنة ١٩٨٢م.

-**أحمد بن أبى الضياف :-** إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الزمان الجزء الأول تحقيق لجنة من كتابه الدولة للشيئون الثقافية والأخبار ، تونس سنة ١٩٦٣م.

- أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ،الدار البيضاء سنة ١٩٩٧ م،الأولى .

-**أحمد عزاوى:** رسائل موحدية مجموعة جديدة، جزءان ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة ، سلسلة نصوص ووثائق رقم ٢ سنة ١٤٢٢هـ/سنة ٢٠٠١م. .

-**إسماعيل العربى (دكتور):** الحياة الإقتصادية والاجتماعية عند طوارق أهجار مجلة الأصالة ، السنة الثامنة رمضان سنة ١٣٩٩هـ أوت سنة ١٩٧٩م عدد خاص عن تاريخ منطقة الهوقار بمناسبة إنعقاد الملتقى ١٣ للفكر الإسلامى بعاصمتها تمزاست.

-**أمين توفيق الطيبى :** دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والأندلس ، الجزء الثانى الدار العربية للكتاب سنة ١٩٩٧م.

-أورينت برس:مناجم الملح الصخري، اكتشفها البربر واعتنقوا الإسلام ،منتديات العراق iraq.iraq.ir

-**بانيكار (ك. مادهو):** الوثنية والإسلام (تاريخ الإمبراطورية الرنجية فى غرب أفريقيا ، ترجمة وتعليق أحمد فؤاد بلبع ، المشروع القومى للترجمة رقم ٣٠، المجلس الأعلى للثقافة سنة ١٩٩٨ ، الطبعة الثانية.

- **برنشفيك (روبار)**: تاريخ أفريقية فى العهد الحفصى من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر ، جزءان نقله إلى العربية حمادى الساحلى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت سنة ١٩٨٨ط١.

- **بوفيل (أ-و)**: الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء . ترجمة دكتور زاهر رياض مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة سنة ١٩٦٨م.

- **جواتيباين (س.د)**: دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق دكتورعطية القوصى وكالة المطبوعات . الكويت سنة ١٩٨٠.

- **جوزيف نسيم (دكتور)**: دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية سنة ١٩٨٨.

- **الحبيب الجنحانى (دكتور)**: المجتمع العربى الإسلامى (الحياة الإقتصادية والإجتماعية)، سلسلة عالم المعرفة رقم ٣١٩ الكويت سبتمبر سنة ٢٠٠٥م.

- **حسن أحمد محمود (دكتور)**: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى ، دار الفكر العربى القاهرة سنة ١٤١٦هـ/سنة١٩٩٦م.

-...............:- الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا دار الفكر العربى، القاهرة سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

- **حسين مؤنس(دكتور)**: فتح العرب للمغرب ، القاهرة بدون .

...........................: عالم الإسلام ، الزهراء للأعلام العربى ، القاهرة سنة ١٩٨٩م.

- **دائرة المعارف الإسلامية**: المجلد السادس مادتى جربة وتونس والمجلد الحادي عشر مادة سبخة.

- **رضوان البارودي (دكتور)**: جزيرة جربة التونسية دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى فى العصر الإسلامى ، دار الفكر العربى القاهرة سنة ١٩٩٠م.

-روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ،ترجمة نيقولا زيادة ، سلسلة مراكز الحضارة ،مكتبة لبنان ١٩٦٧

-سحر عبد العزيز سالم (دكتور): أضواء على بعض المراكز التجارية فى المغربين الأوسط والأقصى ندوة ضمن طرق التجارة العالمية عبر العالم العربى على مر عصور التاريخ ، حصاد ٨، اتحاد المؤرخين آداب القاهرة سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

-السعدي(الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن أبي عامر السعدي: تاريخ السودان تحقيق هوداس وتلميذه بنوه ، المدرسة الباريسية لتدريس الآداب الشرقية ،باريس ١٩٦٤

-سعيد عبد الفتاح عاشور(دكتور): بعض الأضواءعلى العلاقات بين بيزا وتونس في عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب،جامعة القاهرة ،م ٢٦جـ١،٢ مايو ،ديسمبر ١٩٦٤ صـ٥٢ .

- سمير محمد إبراهيم نعنيع: علاقات مصر التجارية بمدينة أمالفى فى العصور الوسطى، ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربى على مر عصور التاريخ حصاد ٨ اتحاد المؤرخين العرب القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

- سليمان فياض: عمالقة العلوم التطبيقية وإنجازاتهم العلمية فى الحضارة الإسلامية ٢٠١-١٠٠٠هـ/٨٠١-١٦٠٠م مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية القاهرة سنة ٢٠٠١م

- السيد عبد العزيز سالم(دكتور): تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة الأسكنرية .بدون

- السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : أحمد مختار العبادي (دكتور):تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر المتوسط البحرية الإسلامية المغرب والأندلس الجزء الثانى ، مؤسسة شباب الجامعة الأسكندريةسنة ١٩٩٣م.

- صبحى لبيب(دكتور) : الفندق ظاهرة سياسية واقتصادية ، قانونية ضمن أعمال ندوة مصر وعالم البحر المتوسط إعداد وتقديم د/رؤوف عباس حامد ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع القاهرة سنة ١٩٨٦ط١.

- صالح بن قربة : انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحى فى القرون الوسطى، ضمن ندوة الغرب الإسلامى والغرب المسيحى خلال العصور الوسطى ، تنسيق محمد حمام ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط سنة ١٩٩٥م الطبعة الأولى.

- **عبد الفتاح مصطفى غنيمة (دكتور):** ميادين الحضارة العربية الإسلامية وآثارها فى الحضارة الإنسانية ، الجزء الرابع ، جيولوجيا التعدين والمعادن ، ضمن سلسلة التواصل الحضارى ، الأسكندرية سنة ١٩٩٤م

- **عبد الله عبد الرازق إبراهيم (دكتور):** الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٨٤م.

- **عز الدين موسى :** النشاط الإقتصادي فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى دار الشروق ، القاهرة بيروت سنة ١٩٨٣ طـ١.

- علي بن بالي القسطنطيني:خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام ، تحقيق د/ حاتم صالح الضامن ،مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣ الطبعة الثانية .

- **فاضل أحمد الطائى (دكتور):** أعلام العرب فى الكيمياء ، الأعمال العلمية ضمن مكتبة الأسرة القاهرة سنة ٢٠٠٠م

- الفشتالي (أبو فارس عبد العزيز الفشتالي ت ١٠٣١ هـ/١٦٢١ م): مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ،دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم ،منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ،الرباط ٢٠٠٥الطبعة الثانية .

- **فيج(جى - دى):** تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق د/السيد يوسف نصر مراجعة د/بهجت رياض صليب ، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨٢طـ١.

- **كيرلانسكى (مارك):** تاريخ الملح فى العالم (الإمبراطوريات - المعتقدات ثورات الشعوب والإقتصاد العالمى ترجمة أحمد حسن مغربى سلسلة عالم المعرفة العدد ٣٢٠ الكويت أكتوبر سنة ٢٠٠٥م

- **لومبار (موريس) :** الإسلام فى مجده الأول من القرن٢إلى القرن ٥هـ/ 8-١١م . ترجمة وتعليق اسماعيل العربى ، منشورات دار الآفاق ، المغرب سنة ١٩٩٠م.

- **لويس (ارشيبالد ):**القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ٥٠٠ - ١١٠٠م. ترجمة أحمد محمد عيسى مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال مكتبة النهضة المصرية القاهرة بدون.

- **محمد الأمين البزاز:** حول نقل البحرية المسيحية لحجاج الغرب الإسلامى تأملات فى رحلة ابن جبير ضمن ندوة الغرب الإسلامى تأملات خلال القرون الوسطى ، تنسيق محمد حمام ، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة ١٩٩٥م الطبعة الأولى .

- **محمد حسن(دكتور) :** المدينة والبادية بافريقية فى العهد الحفصى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة تونس سنة ١٩٩٩م.

- **محمد زنيبر(دكتور) :**المغرب فى العصر الوسيط الدولة – المدينة الاقتصاد ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط . سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢٤.

- **محمد الطالبى:** الدولة الأغلبية التاريخ العباسى ١٨٤- ٢٩٦هـ / ٨٠٠-٩٠٩م تعريب المنجى الصيادى مراجعة وتدقيق حمادى الساحلى ،دار الغرب الإسلامى بيروت سنة ١٩٩٥ ط٢.

- **محمد عبد الرحمن مرحبا (دكتور):** الجامع فى تاريخ العلوم عند العرب ، منشورات عويدات ، بيروت باريس سنة ١٩٨٨م ط٢.

- **محمد عيسى الحريرى (دكتور) :** الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامى ، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس ١٦٠ هـ-٢٩٦هـ دار القلم الكويت سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

- **محمد غريب جودة :** عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية فى العلوم الطبيعية والطب ، الأعمال الفكرية مكتبة الأسرة ، القاهرة سنة ٢٠٠٤م.

- **محمد فتحة (دكتور) :**النوازل الفقهية والمجتمع ، أبحاث فى تاريخ الغرب الإسلامى من القرن ٦ إلى ٩ هـ /١٢-١٥م منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء سلسلة الأطروحات والرسائل، الدار البيضاء سنة ١٩٩٩م.

- **محمد محمد عبد القادر(دكتور):** دويلة بنى مدرار ١٤٠-٢٩٦ هـ/٧٥٧-٩٠٨م ، القاهرة سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- **محمود عبد الرزاق إسماعيل (دكتور):** الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى – القاهرة سنة ١٩٨٦ط٢.

- **محمود مصطفى سليمان :** تاريخ العلوم والتكنولوجيا فى العصور القديمة والوسطى، مكتبة الأسرة ، القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

- **مصطفى حسن محمد الكناني (دكتور):** العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى ١٠٩٥ -١١٧١م / ٤٨٨ -٥٦٧م رقم ١ أضواء جديدة على الحركة الصليبية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب الأسكندرية سنة ١٩٨١م.

- مولاي عمر: الماء والملح والكبش عند الأمازيغ مقالة منشورة في موقع www.atlaselmagrebmaktooblong.com

- **ناجلا محمد عبد النبى (دكتور):** مصرو البندقية ، العلاقات السياسية والإقتصادية فى عصر المماليك ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية القاهرة سنة ٢٠٠١م ط١

- **نيانى (ج.ن):** العلاقات بين مختلف المناطق والمبادلات ضمن تاريخ افريقيا العام ، المجلد الرابع : افريقيا من القرن الثانى عشر إلى السادس عشر، بيروت سنة ١٩٨٨.

- **نعيم قداح:** أفريقيا الغربية فى ظل الإسلام ، الجزائر سنة ١٩٧٥ ط٢

- **الهادى روجى إدريس:** - الدولة الصنهاجية وتاريخ أفريقية فى عهد بنى زيرى من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي ، نقله إلى العربية حمادى الساحلى، جزءان، دار الغرب الإسلامى بيروت سنة ١٩٩٢ ط١.

- **هالة خيرى الدقاق:** دور قبائل المغرب الأوسط والأقصى فى حركة التجارة إبان القرن الثالث الهجرى /التاسع الميلادي ، ماجستير معهد الدراسات الإفريقية جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ

- **هوبكنز (أ.ج):** التاريخ الإقتصادي لأفريقيا الغربية ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع تقديم محمد عبد الغنى سعودى المشروع القومى للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة سنة ١٩٩٨.

- **هونكة (زيغريد):** شمس العرب تسطع على الغرب"أثر الحضارة العربية على أوروبا ،نقله إلى العربية فاروق بيضون وكمال دسوقي راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت١٩٦٩ ط٢.

- **هيل (دونالد.ر):** العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية ، لبنات أساسية فى صرح الحضارة الإنسانية . سلسلة عالم المعرفة رقم ٣٠٥ الكويت يوليو سنة ٢٠٠٤م.

ثالثا: المراجع الأجنبية

- **Amari (Michele):** Diplomli Arabi Del .R. Archivio Floraantino , Testo Originale con la Tradeuztione Eillustrezton, Firenze1863.

- **Arie(Rache) :** Espana Muusulmana ( SiglosVII-XV)Tomo III en History de Espana, Dergida por Manuel Tumon de Lara , Editorial labor S.A. Barcelona 1984.
- **Brett (Michael):** Islam and Tarde in the Bilad Al Sudan , Tenth - Eleventh Century A.D. In The Journal of African history . volume 24, Number 4. Combridge University press 1983.
- **Collins (Robert.O):** African history , Text and Readings , New York 1971.
- **Curtin (philip) and others:-** : African history , from Eaerlest times to independence. London and New Yourk.1995
- **Davidson (Basil) :** Africa in history , Themes and outlines, London . (S.D).
- **Dufourcql(charles ammanuel):** Prix et Niveaux de Vie dans Les Pays Catalans et Maghribins a la fin du XIII[e] et du debut du XIV[e] siecles , En L'Iberie Chretienne et Le Maghreb.XII[e] - XV[e] siec les , Variorum Hampshire, Great Britain . 1996.
-......................: Commerce du Maghreb Medieval avec l'Europe, en L'Iberie Chretienne et Le Maghreb,XII[e] -XV[e]Siecles , Varlorums Great Bretain 1990.
- **Fisher (H.J)** : The Sentral Sahra and Sudan . in the Cambridge history of Africa . Volume 4 From c 1600 to c. 1790. Edited by Richard Gray, Cambridge University press . 1994
- ............:The Eastern Maghrib and Central Sudan , in the Cambridge history of Africa,volume 3,from c.1050 to c1600 ,Edited by Roland Oliver ,Cambridge,S.D.
- **Lalatrie (De mas)**: Traites de paix et de commerce et documents divers concernant Les Relations des chretiens avec les Arabes de L'Afrique Sptentrionale au moyen age, Paris 1866.
- **Levizton (Nehemia):-** The Sahara and the Sudan from the Arab conquest of the Magraib to the Rise of the Almoravids. In the Cambridge history of Africa Volume 2 ,from c .500 Be. to Ad 1050- edited by J.D.Fage. Combridge University Press 1988.
- .....................:The Western Maghrib and Sudan , in the Combridge history of Africa, volume from c.1050 to c. 1600 edited by Roland oliver, Combridge University
- **Malfante (Antonius):-**: Tawat and the WesternSudan Tarde in African history,text and Readings, university of California, Santa Barhara , Random House, New york 1971.

- **Mcdougall (E. Ann):** The View from Awdaghust, War. Trade and Social change in the South Western Sahara from the Eighth to the Fiften Century , in the Journal of African history , Volume 26 , Number 1 , Cambridge University Press 1985.
- **..................:-** : Stories and of Salt, Salvery and life in the Sahara, University of Alberta 2001 ,from www.humanitiesulberta.ca
- **Oliver (Roland) and Anthony Atmore**: The African middle Ages, 1400-1800,Cambridge University Press, S.D.
- **Shillington (Kevin)**: History of Africa , Macmilean 1995.
-**Wilks ( I vor )**: Wangara , Akan and portuguese in the fifteen th and sixteenth Centuries (I) The Matter of Bitu, in the Journal of African History, volume 23 Number 3, Cambridge University Press 1982.
**...........:**: Wangara , Akan and portuguese in the fifteen th and sixteenth Centuries part II : The Straggle for Tarde, in Journul ofAfričan history Vol 23, Cambridge University Press, Great Britain, 1982.

| دار التيسير للطباعة والنشر بالمنيا |
| --- |
| رقم الإيداع بدار الكتب |
| ١٤١٣٦ / ٢٠٠٨ |
| الترقيم الدولي .I.S.B.N<br>977 - 397 - 164 - 3 |
| الملح وتجارته بالمغرب الإسلامي |